الجامعـــــة الإســـــلامية - غـــزة
عمــــــادة الدراســــــات العليـــــا
كليـــــــة أصـــــول الـــــــدين
قســـم التفســير وعلـــوم القــرآن

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والأربعين من القرآن الكريم

(من الآية 24 من سورة سبأ إلى الآية 27 من سورة يس)

analytical study for the objectives and purposes of the forty-fourth party from the Quran (verse 24 of Surah Saba to 27 of Surah Yasin)

إعداد الطالبة
انشراح محمد عفانة

إشراف الأستاذ الدكتور
رياض محمود قاسم

قدمت هذه الرسالة استكمالًا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

1437هـ – 2016 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إقــــــرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والأربعين من القرآن الكريم

(من الآية 24 من سورة سبأ إلى الآية 27 من سورة يس)

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، وإن هذه الرسالة ككل أو أي جزء منها لم يقدم من قبل لنيل درجة أو لقب علمي أو بحثي لدى أي مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

DECLARATION

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification

Student's name — اسم الطالب/ة: انشراح محمد عفانة

Signature — التوقيع: انشراح

Date: — التاريخ: 10/ 04 / 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الإسلامية – غزة
The Islamic University - Gaza

مكتب نائب الرئيس للبحث العلمي والدراسات العليا هاتف داخلي 1150

الرقم: ج س غ/35/ Ref

التاريخ: 2016/03/15م Date

نتيجة الحكم على أطروحة ماجستير

بناءً على موافقة شئون البحث العلمي والدراسات العليا بالجامعة الإسلامية بغزة على تشكيل لجنة الحكم على أطروحة الباحثة/ انشراح محمد أحمد عفانة لنيل درجة الماجستير في كلية *أصول الدين*/ قسم التفسير وعلوم القرآن وموضوعها:

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والأربعين من القرآن الكريم
(من الآية 24 من سورة سبأ إلى الآية 27 من سورة يس)

وبعد المناقشة العلنية التي تمت اليوم الثلاثاء 06 جمادى الآخر 1437هـ، الموافق 2016/03/15م الساعة الثامنة والنصف صباحاً بمبنى اللحيدان، اجتمعت لجنة الحكم على الأطروحة والمكونة من:

أ.د. رياض محمود قاسم	مشرفاً و رئيساً	....
أ.د. جمال محمود الهوبي	مناقشاً داخلياً	....
أ.د. عصام العبد زهد	مناقشاً خارجياً	....

وبعد المداولة أوصت اللجنة بمنح الباحثة درجة الماجستير في كلية أصول الدين/ قسم التفسير وعلوم القرآن.

واللجنة إذ تمنحها هذه الدرجة فإنها توصيها بتقوى الله ولزوم طاعته وأن تسخر علمها في خدمة دينها ووطنها.

والله ولي التوفيق ،،،

نائب الرئيس لشئون البحث العلمي والدراسات العليا

أ.د. عبدالرؤوف على المناعمة

بسم الله الرحمن الرحيم

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الإهداء

- إلى معلم البشرية وهادي الأمة محمد ﷺ.
- إلى ملاكي في الحياة إلى من كان دعاؤها سر نجاحي وحنانُها بلسم جراحي أمي الغالية.
- إلى النور الذي ينير لي درب النجاح أبي الحبيب.
- إلى رفيق دربي وعوني فى الحياة أخي مؤمن.
- إلى أخواتي العزيزات على قلبي ميرفت، ورشا، وسومة، وألفت، وفداء حفظهن الله تعالى.
- إلى روح أخي الشهيد محمد، وابن أختي الشهيد نور الإسلام –رحمهما الله تعالى– وأسكنهما فسيح جناته.
- إلى جميع شهدائنا الأبرار الذين رووا بدمائهم الطاهرة تراب الوطن الغالي.
- إلى أستاذي الدكتور: رياض قاسم –حفظه الله ورعاه– وأدامه دخرًا للإسلام والمسلمين.
- إلى من أرى التفاؤل بأعينهنَّ صديقاتي الحبيبات، وأخص بالذكر صديقاتي في كلية الدعوة الإسلامية قسم القراءات القرآنية.
- إلى الأسرى الذين ضحوا بزهرة شبابهم من أجل حرية وكرامة شعبهم وأرضهم ومقدساتهم.

إليهم جميعًا أهدي هذا البحث

الباحثة

انشراح عفانة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد والشكر لله ﷻ الذي وفقني وهداني لهذا العمل وما كنت لأهتدي لولا أن هداني ربي ووفقني إليه.

وانطلاقًا من قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: 7]، وقول الرسول ﷺ: (مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ)(1).

واعترافًا بفضل أهل الفضل والعرفان، فإنَّه لَيسُرُني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلي والديّ الكريمين أمد الله تعالى في عمرهما.

كما وأتقدم بجزيل الشكر إلي فضيلة الأستاذ الدكتور: رياض محمود قاسم –حفظه الله ورعاه– الذي تفضل بالإشراف على هذه الرسالة، على ما بذله من جهد مميز ومتابعة مستمرة، وكان له الدور الرئيس في إنجاز هذه الرسالة، فجزاه الله خير الجزاء.

كما وأتقدم بالشكر لأستاذيَّ الفاضلين عضوي لجنة المناقشة:

الأستاذ الدكتور الفاضل/ جمال محمود الهوبي–حفظه الله– مناقشًا داخليًّا.

والأستاذ الدكتور الفاضل/ عصام العبد زهد–حفظه الله– مناقشًا خارجيًّا.

اللذين تفضلا بقبول مناقشة هذه الرسالة، وإبداء ملحوظاتهما عليها، وتصويبهما بتوجيهاتهم النافعة لتخرج بأبهى صورة، وأجمل حُلة، فجزاهما الله تعالى خير الجزاء.

كما وأتقدم بالشكر والتقدير إلى جامعتنا الجامعة الإسلامية –بغزة– صرح العلم وموئل العلماء. وشكري موصول لكلية أصول الدين، خاصة قسم التفسير وعلوم القرآن.

وأخيرًا أشكر كل من أعانني على إخراج هذه الرسالة بهذه الصورة، وكل من ساهم بمساعدتي بأي شكل كان، ولو كان دعاءً لي في ظهر الغيب فجزى الله تعالى الجميع عنِّي خير الجزاء.

---

(1) سنن الترمذي، أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ح (1954)، (4/ 339)، قال الترمذي: حديث صحيح، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (2/ 1122).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله حمد الشاكرين، والحمد لله الذي امتنّ على عباده بنبيه المرسل، وكتابه المنزل، ليخرجهم من ظلمات الكفر والجهالة إلى نور الإسلام والهداية، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن عبودية العباد إلى عبودية رب العباد والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه ومن سار على دربه، واستن بسنّته إلى يوم الدين، وسلم تسليمًا كثيرًا، وبعد:

فإنَّ هذا القرآن الكريم هو دستورنا الأعظم، وشرعه تعالى للإنسانية جمعاء، فما زال هذا القرآن بحرًا زاخرًا بأنواع العلوم والمعارف، يحتاج من يرغب في الحصول على لآلئه الغوصَ في أعماقه ولا يكون ذلك إلا من خلال علم التفسير، الذي هو أشرفُ العلوم وأجلُها وأعظمها أجرًا وأنبلها مقصدًا، وأرفعها ذكرًا. فلذلك حثّ الله ﷻ عباده المؤمنين على تدبر كتابه وفَهمِ معانيه، والغوص في أعماقه للكشف عن لآلئه، قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: 29].

فالله ﷻ أمرنا بالتدبر والتأمل في كتابه العزيز لمعرفة المراد من كلامه والعمل به، وليس المقصود بالتدبر هو النظر في عباراته وألفاظه دون النظر إلى مقاصده وأهدافه ومراد الله تعالى به، وما تهدى إليه سوره وآياته من الهدايات والدلالات التي يتحقق بها الفهم والعمل في كتاب الله تعالى، ومن هنا يتبيَّن لنا أهمية التفسير التحليلي لمقاصد وأهداف السور والآيات، إذ أنَّه يركز على تحقيق مراد الله تعالى، فلذلك أحببت أن أنهلَ من هذا العلم الذي لا تنتهي عجائبه، وأرجو أن تبرز هذه الدراسة: **(الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والأربعين من الآية 24 من سورة سبأ إلى الآية 27 من سورة يس)**، جانبًا من هدايات القرآن الكريم.

والله أسأل أن يوفقني لما يحبّه ويرضاه وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفعني به يوم لا ينفع مال ولا بنون.

أولًا- أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

1- عملاً بقول الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: 24].

2- الوقوف على عظمة هذا الكتاب المجيد، الذي يُعجز الخلقَ مهما أوتوا من علم أن يحيطوا بكل أسراره ودقائقه.

3- خدمة كتاب الله ﷻ؛ نظرًا لتعلق هذا البحث بكتاب الله تعالى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- تدبر آيات الله ﷻ وفهمها فهمًا صحيحًا يعين على إبراز المقاصد والأهداف، وعلى تحقيق المقصد من نزول القرآن الكريم وهو التدبر والهداية.

5- إبراز إعجاز القرآن وبلاغته وكماله ودقةِ نظمه، وهذا مما يُرَّسخ الإيمان فى القلب.

6- المشاركة فى استكمال السلسلة التي شرع بها قسم التفسير بالجامعة الإسلامية- بغزة-.

ثانيًا- أهداف الدراسة:

1- ابتغاء الأجر والثواب من الله تعالى.

2- بيان أهمية التفسير التحليلي، وبيان مقاصد وأهداف الحزب الرابع والأربعين.

3- ربط مقاصدَ وأهداف الآيات بواقع الأمة وحالها مما يسهم في حل مشكلاتها.

4- إثراء المكتبة الإسلامية بهذا النوع من التفسير لينتفع به المسلمون.

ثالثًا- الدراسات السابقة:

بعد تجولي في محركات البحث والمواقع عبر الشبكة العنكبوتية العالمية للمعلومات لم أعثر على أية رسالة علمية قد تناولت هذا الموضوع، وأشير إلى أنَّ هذا الموضوع ما هو إلا استكمالًا لمشروع السلسلة التي أقرها قسم التفسير وعلوم القرآن فى الجامعة الإسلامية، لذا كان نصيبي في هذه الدراسة (**الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والأربعين من الآية 24 من سورة سبأ إلى الآية 27 من سورة يس**).

رابعًا- منهجية الباحثة:

1- اعتمدت على المنهج الاستقرائي التحليلي الموضوعي لمقاصد وأهداف الآيات الكريمة.

2- قسَّمت البحث إلى مباحث مختلفة تحت ثلاثة فصول، جعلت لكل مبحث آياته المناسبة وفسرتها تفسيرًا تحليليًّا وبيَّنت ما يتعلق بالآيات من وجوه البلاغة، وقراءات متواترة، وإعجاز، وتحليل المقاصد والأهداف، وغير ذلك مما يخدم الآيات القرآنية.

3- وضعت مبحثًا خاصًا كمدخل للسورة قبل تفسيرها، أبيِّن فيه اسم السورة، وفضائلها، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها وترتيبها، ومحورها، وأهدافها ومقاصدها، ومناسبة السورة لما قبلها وما بعدها، ومناسبة بداية السورة مع نهايتها.

4- حلَّلت ما تحتويه آيات كل مطلب من مقاصد وأهداف.

5- رجعت إلى المصادر الأصلية من كتب التفسير وعلوم القرآن وغيرها من الكتب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

6- كتبت الآيات القرآنية مشكلة بالرسم العثماني برواية حفص عن عاصم، مع عزو الآيات إلى سورها بذكر اسم السورة ورقم الآية فى المتن.

7- خرجت الأحاديث النبوية المتعلقة بالموضوع حسب الأصول.

8- ترجمت للأعلامِ غيرِ المشهورين.

9- بيَّنت المفردات الغريبة فى الحاشية، بالرجوع إلى المعاجم اللغوية، وغيرها.

10- اكتفيت فى التوثيق بذكر اسم الكتاب، ومؤلفه، ورقم الجزء والصفحة، مع ترك مواصفات المرجع لقائمة المراجع؛ وذلك تخفيفًا عن الحاشية.

11- وضعت النقول بين إشارتي تنصيص إذا كان النقل حرفيًّا وإذا كان بالمعنى فأشير إليه بكلمة "ينظر" فى الحاشية.

12- عند الإحالة إلى شيء قد سبق ذكره فى البحث أقول سبق الإشارة إليه ذاكرة رقم الصفحة فى الحاشية.

13- سجلت أهمَّ النتائج والتوصيات فى الخاتمة، وأعددت الفهارسَ اللازمة.

خامسًا- خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة ومجموعة فهارس وذلك على النحو الآتي:

المقدمة وتشتمل على:

أولًا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

ثانيًا: أهداف الدراسة.

ثالثًا: الدراسات السابقة.

رابعًا: منهجية البحث.

خامسًا: خطة البحث.

التمـهيد

التعريف بالدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية، ومتطلباتها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.

المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف، وبيان أهميتها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.

المطلب الثاني: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور.

المبحث الثالث: التعريف بتحزيب القرآن الكريم، ومشروعيته

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف تحزيب القرآن.

المطلب الثاني: مشروعية تحزيب القرآن الكريم.

الفصـــل الأول
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (24-54)

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى سورة سبأ

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها، وترتيبها.

المطلب الثاني: محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها.

المبحـث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (24– 27) الهدى والضلال

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النّاس على طريقين هدى أو ضلال.

المطلب الثاني: الله ﷻ هو الذي يحكم ويفصل بين المحقّين والمبطلين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث: الرد على المشركين.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (28-30) رسالة محمد ﷺ وعمومها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: وظيفة الرسول ﷺ.

المطلب الثاني: الاستعجال بالوعد والوعيد دليل على الجهل بوظيفة الرسول ﷺ.

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (31-33) إنكار المشركين للقرآن، والحوار بين المستضعفين والمستكبرين فى الآخرة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: إنكار المشركين للقرآن.

المطلب الثاني: حوار بين المستضعفين والمستكبرين في الآخرة.

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (34-42) تسلية النبي ﷺ، واغترار المترفين، والوعد والوعيد

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تسلية النبي ﷺ، واغترار المترفين.

المطلب الثاني: الأرزاق بيد الله ﷻ للامتحان والابتلاء.

المطلب الثالث: الإيمان والعمل الصالح قربة إلى الله تعالى.

المطلب الرابع: مصير الكفار يوم القيامة.

المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (43-50) عناد المشركين، والدعوة إلى التأمل والتفكر

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عناد المشركين.

المطلب الثاني: الدعوة إلى التأمل والتفكر فى الخلق.

المبحث السابع: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (51 -54) تهديد الكفار، وإيمانهم حين معاينة العذاب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الثاني
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فاطر

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى سورة فاطر

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة، وفضائلها، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها، وترتيبها.

المطلب الثاني: محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (1–8) بعض أدلة القدرة الإلهية، وبيان رحمته ترغيبًا وترهيبًا

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: قدرة الله تعالى.

المطلب الثاني: رحمة الله ﷻ بالخلق.

المطلب الثالث: النداء الأول تذكير وتسلية.

المطلب الرابع: النداء الثاني أسباب الغرور.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (9–14) آيات الله ﷻ فى الكون الدالة على قدرته

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (15–28) غني الله ﷻ عن خلقه وعدله فيهم

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: النداء الثالث افتقار العباد إلى الله ﷻ.

المطلب الثاني: المسئولية الفردية فلا يحمل أحد وزر أحد.

المطلب الثالث: لا تتساوى الأضداد المؤمن والكافر.

المطلب الرابع: تسلية النبي ﷺ، وبيان وظيفته.

المطلب الخامس: العلم يدعو إلى الإيمان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (29-37) فضل تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وجزاء المؤمنين والكافرين

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضل تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والإنفاق.

المطلب الثاني: حال السعداء من ورثة كتاب الله ﷻ.

المطلب الثالث: جزاء الكافرين بالعذاب.

المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (38-45): دلائل الإيمان، وأسباب الصدود

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من دلائل العظمة وشواهد القدرة.

المطلب الثاني: من أسباب الصدود.

المطلب الثالث: النظر إلى آيات الله ﷻ الكونية.

الفصل الثالث
الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة يس الآيات (1-27)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى سورة يس

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة، وفضائلها، مكان وزمان نزولها، وعدد آياتها، وترتيبها.

المطلب الثاني: محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يس الآيات (1-12) وظيفة الرسول ﷺ، والبعث

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: وظيفة الرسول ﷺ وحاله مع قومه.

المطلب الثاني: إحصاء الأعمال، والبعث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يس الآيات (13-27) الجهر بالدعوة إلى الحق وقصة أصحاب القرية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قصة أصحاب القرية.

المطلب الثاني: وجوب الجهر بالدعوة إلى الحق.

المطلب الثالث: بشارة المؤمن عند الموت.

الخاتمة

وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

الفهارس

وتشتمل على ما يأتي:

1- فهرس الآيات القرآنية.

2- فهرس أطراف الأحاديث النبوية.

3- فهرس الأعلام المترجم لهم.

4- فهرس المصادر والمراجع .

5- فهرس المحتويات.

www.manaraa.com

التمهيد

التعريف بالدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية، ومتطلباتها.

المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف، وبيان أهميتها.

المبحث الثالث: التعريف بتحزيب القرآن الكريم، ومشروعيته.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

التعريف بالدراسة التحليلية، ومتطلباتها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية.

المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
المقصود بالدراسة التحليلية

القرآن الكريم أشرف كتاب وأشرف كلام على هذه البسيطة؛ لذا عكف العلماء على خدمته ببيان علومه وتفسيره، وكل ما يتعلق بكتاب الله ﷻ يعد من أجلّ العلوم، وأشرفها قدرًا، وأعلاها منزلة، وأسماها مكانة. ولأجل انكباب العلماء على دراسة القرآن الكريم، تنوعت طرائقهم في عرض علومه، واختلفت مشاريعهم في إيضاح مكنوناته، ومن هذه المشاريع التي تخدم القرآن الكريم استخدام أسلوب الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف القرآن الكريم.

ولذلك سنتعرف بداية على الدراسة التحليلية في اللغة والاصطلاح وذلك فيما يلي:

يتألف مصطلح الدراسة التحليلية من كلمتين مركبتين تركيبًا وصفيًّا هما (الدراسة) و(التحليلية)، ولكي يتسنى لنا الوقوف على المعنى اللغوي لهذا المركب، لابد من معرفة المعنى اللغوي لكل كلمة على حده.

أولًا- تعريف الدراسة:

الدراسة لغةً: هي مصدر من الفعل (درس) ومنه قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: 79]، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام: 105].

ومنه حديث الرسول ﷺ: **(وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمِ السَّكِينَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ)**(1).

يقال: "تدارسوا القرآن أي: اقرءوه وتعهدوه وتدبروه لئلا تنسوه، يقال: "دَرَسَ يَدْرُسُ دَرْسًا ودِرَاسَةً. وأصل الدراسة: الرياضةُ والتعهد للشي"(2).

والتدارس على وزن التفاعل يعنى المشاركة الجماعية فى القراءة وتحصيل العلم.

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر، ح (2699)، (2074/4).

(2) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (113/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الدراسة اصطلاحًا: هو معاهدة القرآن الكريم على الحفظ والمداومة وبيان معانيه، للوصول إلى الغاية من المدارسة القرآنية، وهو استخلاص واستخراج المنهج القرآني الذي يجب العمل على تحقيقه في مجالات الحياة كافة، عملًا بقول الرسول ﷺ: **(تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُوَ أَشَدُّ تَفَلُّتًا مِنْ أَحَدِكُمْ مِنَ الْإِبِلِ مِنْ عُقُلِهِ)**(1).

ثانيًا– تعريف التحليلية:

التحليلية لغةً: مصدر من الفعل (حلّل) وحلَّلَ الشيء أي فتحه وفكه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي﴾ [طه: 27]، يقال: حَلَّ العقدة يَحُلُّها حَلًّا: أي فتحها، ونَقَضَها، فانحلت(2).

والتحليلي: "عملية تقسيم الكل إلى أجزائه وردّ الشيء إلى عناصره، يقال: بحث تحليلي أي يتخذ التحليل أساسًا له، وتحليل الجملة: أي بيان أجزائها ووظيفة كل منها"(3).

التحليلية اصطلاحًا: هو تفكيك الآية القرآنية لفظةً لفظةً، ودراستها بغرض التعرف على مواطن الجمال والكمال والإعجاز في كتاب الله تعالى مستعينًا بأدوات التحليل من معان، وإعراب، وأحكام، وقراءات قرآنية وغيرها، ثم الانتقال إلى ما بعدها من الآيات، وهكذا.

ثالثًا– تعريف الدراسة التحليلية اصطلاحًا:

الدراسة التحليلية: علم يقوم على دراسة الآيات القرآنية دراسة تحليلية تفصيلية حسب ترتيب المصحف سواء تناول المفسر جملة من الآيات متتابعة، أو سورة كاملة، أو القرآن كله، وذكر ما يتعلق بها من سبب النزول، وأوجه البلاغة، والإعراب، وقراءات قرآنية، والمعنى الإجمالي، وغير ذلك.

---

(1) مسند أحمد، مسند الكوفيين، حديث أبي موسى الأشعري، ح (19546)، (316/32)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (1/ 568).

(2) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (169/11).

(3) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (550/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني
متطلبات الدراسة التحليلية

لاشك أنَّ علم التفسير من أجلّ العلوم، لأنَّه بيان لمعاني كلام الله ﷻ، فالمفسر عندما يقول: معنى هذه الآية كذا، فهو يقول: الله ﷻ أراد بكلامه كذا وكذا، وهذا لا شك مسألة خطيرة لا يجوز للمفسر أن يتكلم فيها بغير علم، وقد توعد الله ﷻ من يتكلم بغير علم في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف: 33]، لذلك يتعين على من يتصدى للتفسير أن تتوافر فيه متطلبات الدراسة التحليلية للتفسير، التي تساعده على القيام بهذه المهمة حتى يقبل تفسيره، وسأتحدث عن متطلبات الدراسة التحليلية من جانبين هما: جانب شخصي نفسي، وجانب علمي معرفي.

أولًا- الجانب الشخصي النفسي:

لابد للمفسر من هذه الجوانب لكي ينطلق منها، ويعتمد عليها، وتساعده على القيام بتلك المهمّة الجليلة. ويمكن إجمالها بما يأتي:

1- صحة العقيدة: يجب على من يتصدى للتفسير أن يكون سليم المعتقد.

"إنّ العقيدة لها أثرها في نفس صاحبها، وكثيرًا ما تحمل ذويها على تحريف النصوص والخيانة في نقل الأخبار، فإذا صنف أحدهم كتابًا في التفسير أوَّل الآيات التي تخالف عقيدته، وحمَّلها باطل مذهبه، ليصد الناس عن اتباع السلف، ولزوم طريق الهدى"(1).

2- الإخلاص: قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: 5]، فالعمل لا يقبل حتى يكون خالصًا لله ﷻ.

3- التجرد من الهوى: "فالأهواء تدفع أصحابها إلى نصرة مذهبهم، فيغرون الناس بلين الكلام ولحن البيان، كدأب طوائف القدرية والرافضة والمعتزلة ونحوهم من غلاة المذاهب"(2).

فكم من مفسر تجده يقدم هواه، ويلوى عنق الدليل لما يوافق هواه، فيحرّف القرآن عن معناه، قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ﴾ [المائدة: 41]، فالتحريف يشمل تحريف اللفظ، والأعظم تحريف المعنى.

(1) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، (ص: 340).
(2) المرجع السابق، نفس الصفحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4- التحلي بالأخلاق الحميدة والآداب: ينبغي على المفسر أن يكون من أحسن الناس أخلاقًا، فيكون صادقًا لا يكذب، أمينًا في نقله لا يغش، وفيًّا لا يخون إلى غير ذلك من الصفات.

5- الأناة والروية فى الكلام: إنَّ إدراك المفسر لمسئوليته أمام الله ﷻ يحمله على التروى قبل الكلام، والتثبت قبل الإقدام، فلا يقدم على أمر إلا بعد دراسة وتحقيق، ولا يتلفظ بكلام إلا بعد تروّ ونظر فيوفق غالبًا إلى الصواب.

6- تحرى الصدق والضبط فى النقل: فينبغي أن يكون قول المفسر مطابقًا للحقيقة والواقع، فيدع الرواية الكاذبة حتى يوثق بتفسيره وتقبل روايته، فلا يكتب إلا عن تثبت.

7- أن يكون صاحب قدرات عقلية، صاحب موهبة، يتمتع بقوة الفهم وسعة الإدراك، وحسن الاستدلال والاستنباط، مع القدرة على التوجيه والترجيح إلى غير ذلك. فكثير من الآيات تخفى معانيها وكنوزها وأسرارها عن بعض المفسرين، بينما يهتدي إليها غيره، ويجليها المفسّر الموهوب صاحب البصيرة، كابن عباس ﷺ، الذي دعا له الرسول ﷺ: **(اللهُمَّ فَقِّهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ)**[1].

ثانيًا- الجانب العلمي المعرفي:

التي لا غني لأي مفسر عنها أيًّا ما كان اتجاهه فهي تتمثل في أفضل الطرق لتفسير القرآن الكريم، وهي الآتي.

1- العلم باللغة العربية الفصحى وقواعدها: القرآن الكريم نزل بلغة العرب لذلك يستحيل على من لا يعرف اللغة العربية أن يتدبر ويفسر القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿**إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**﴾ [يوسف: 2].

وقال مجاهد: "لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم فى كتاب الله إذ لم يكن عالمًا بلغات العرب"[2].

وقال أبو حيّان: "اعلم أنه لا يرتقي من علم التفسير ذروته، ولا يمتطي منه صهوته، إلا من

(1) مسند أحمد، مسند بني هاشم، مسند عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، ح (3033)، (5/ 160)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم، وقال الألباني: صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، (6/ 173).

(2) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (1/ 292).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كان متبحرا في علم اللسان، مترقيا منه إلى رتبة الإحسان"(1).

وعلوم اللغة العربية تشمل: (النحو، والصرف، والاشتقاق، والمفردات، والمعاني، والبيان، والبديع).

2- العلم بعلوم القرآن: ينبغي على المفسّر أن يكون عالمًا بعلوم القرآن وتشمل: (علم القراءات، وأسباب النزول، والناسخ والمنسوخ، والمحكم والمتشابه، والمكي والمدني، والقصص القرآني، إلى غير ذلك مما له صلة بالقرآن الكريم). فهذه العلوم ضرورية، ولا يمكن الإستغناء عنها أثناء تفسير القرآن الكريم.

3- العلم بعلم الفقه: حتى يفسّر آيات الأحكام تفسيرًا صحيحًا، لايحيد عن جادة الحق والصواب.

4- معرفة تاريخ العرب قبل الإسلام وبعده: "ومن الأمور الّتي لها صلة بعلم التفسير، ويستفيد منها المفسِّر دراسة تاريخ العرب، ونقصد دراسة الواقع أو الحال الّذي كان يعيشه الناس قبل الإسلام وفي زمن البعثة النبويّة الشريفة.

فقد نزل القرآن الكريم في جوّ مجتمع الجزيرة العربية، ولهذا المجتمع خصوصيّاته التاريخيّة، والاجتماعية، والجغرافيّة، كما له مميّزاته وخصائصه التربويّة والثقافيّة والدينيّة، حيث كان مجتمعًا متعدِّد الأديان والثقافات"(2).

5- أن يلتزم بالمنهج الأمثل فى التفسير فيبدأ أولًا بالقرآن الكريم: إنَّه من الواجب على المفسر "أن يبدأ أولًا بتفسير القرآن بالقرآن، فما أُجمل منه في موضع فإنّه قد فُصل في موضع آخر، وما اختُصر منه في مكان فإنه قد بُسط في مكان آخر"(3).

6- الحفاظ على سياق الآيات: "إنَّ من أهمّ وظائف المفسر الحفاظ على سياق الآيات الواردة في موضوع واحد، فتقطيع الآية بعضها عن بعض، والنظر إلى الجزء دون الكل لا يعطي للآية حقّها في التفسير، فالآيات الواردة في موضوع واحد على وجه التسلسل كباقة من الزهور تكمن نضارتها وجمالها في كونها مجموعة واحدة، وأمّا النظر التجزيئي إليها فيسلب ذلك الجمال

(1) البحر المحيط في التفسير، (1/ 17).
(2) دراسات في مناهج التفسير، لمركز نون للتأليف والترجمة، (ص: 48).
(3) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، (ص: 340).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والنضارة منها، حتى إنَّ بعض الملاحدة دخل من ذلك الباب فحرّف الآية من مكانها وفسّرها بغير واقعها"[1].

7- الرجوع إلى الأحاديث الصحيحة وإجماع المسلمين: "إنّ كثيرًا من الآيات التي تعرضت لأحكام الأفعال، والموضوعات جاءت مجملة ورد تفسيرها في السنّة القطعية، وإجماع المسلمين وأحاديث أئمّة أهل البيت كالصلاة، والزكاة، والحجّ، وغير ذلك ممّا لا محيص للمفسِّر من الرجوع إليها في رفع الإجمال وتبيين المبهم، وهو أمر واضح"[2].

8- أقوال الصحابة ﷺ: فهم أدرى بكتاب الله ﷻ وأعلم بمعانيه، وهم أطهر أجيال الأمّة قلوبًا وأعمقها علمًا وأقلهم تكلفًا[3].

9- أقوال التابعين: فمن التابعين من تلقى التفسير عن الصحابة ﷺ فيأخذ بتفسيرهم إذا أجمعوا على رأي، أمَّا إذا اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حجة على بعض ولا على من بعدهم[4].

10- أن يكون صاحب ثقافة واسعة في مختلف جوانب الثقافة، كالعلوم العقلية، والكونية، والاجتماعية، والنفسية، والسياسية، والاقتصادية، والفكرية، ويحاول تفسير آيات القرآن المتعلقة بهذه الموضوعات تفسيرًا علميًّا عصريًّا وبأسلوب يتناسب مع مقتضيات العصر مع ربط هذه الآيات بواقع الأمة.

---

(1) المناهج التفسيرية، لسبحاني، (ص: 29).
(2) المرجع السابق، (ص:34).
(3) ينظر: التفسير والمفسرون، للذهبي، (1/ 197).
(4) ينظر: مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان، (ص: 351).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني
تعريف المقاصد والأهداف، وبيان أهميتها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.

المطلب الثاني: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات

جاء الإسلام بنظام تربوي متكامل من عند الله تعالى، الذي أنزل الكتاب بالحق على رسوله الكريم ليكون هداية للناس أجمعين، ورحمة من رب العالمين، ومنهاجًا لتربية البشر، يوضح لهم أفضل أساليب السلوك التي تحقق لهم السعادة فى الدنيا والآخرة.

فالقرآن الكريم ينطوى على أرقى المقاصد وأكبرها وأعلى المصالح فهو أصل الأصول ومصدر المصادر وأساس النقول. فقد جاءت كل سورة من سوره تبرز مقصدًا رئيسيًّا، وهدفًا كليًّا تدور حوله السورة، وتحوم عليه، إبرازًا له وتأكيدًا عليه.

أولًا- تعريف المقاصد:

المقاصد لغةً: جمع مقصد مأخوذ من الفعل (قصد)، يقال: قَصَد يَقْصِدُ قَصْدًا، فَهُوَ قاصِد، وهي تدور في لغة العرب على معنى التوجه والنهوض إلى الشيء، يقال: قصدت قصده، أي نحوت نحوه، وقصدت مكة يعنى توجهت ونهضت إليها أريدها دون ما سواها.

والقصد: استقامة الطريق. قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصۡدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل: 9]، أي على الله تعالى تبيين الطريق المستقيم والدعاء إليه بالحجج والبراهين الواضحة(1).

المقاصد اصطلاحًا:

لم تهتم كتب التراث بتعريف المقاصد سوى ما ورد ضمنا في تعريف المصلحة، والأحكام الشرعية، كقول الغزالي، والشاطبي، وابن عاشور وغيرهم.

فإنَّ معنى مقاصد القرآن في هذه الدراسة ليس فقط مقاصد الشريعة، فمقاصد القرآن أعمّ من مقاصد الشريعة، بل إنَّ القرآن الكريم تضمن أصول مقاصد الشريعة، فهي الوعاء الذي يحوى مقاصد الشريعة. قال العز بن عبد السلام(2): "ومعظم مقاصد القرآن الأمر باكتساب المصالح وأسبابها، والزجر عن اكتساب المفاسد وأسبابها"(3).

---

(1) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (3/ 353).

(2) هو: أبو محمد، عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقيّ، عز الدين الملقب بسلطان العلماء، وشيخ الإسلام، صاحب الشهرة الحسنة والمؤلفات المتقنة، فقيه شافعيّ بلغ رتبة الاجتهاد. ولد سنة 577هـ، وقيل: 578هـ، زرع روح النصر في نفوس المصريين، وخرج بنفسه إلى ساحة الجهاد لينال شرف دحر التتار عن أمة الإسلام، في معركة عين جالوت وظل يجاهد في سبيل اللَّه تعالى ويدعو للَّه حتى توفي- رحمه اللَّه- سنة 660هـ، ينظر: ديوان الإسلام، لابن الغزي، (3/ 289-290)، الأعلام، للزركلي، (4/ 21)، طبقات المفسرين، للداوودي، (1/ 315).

(3) قواعد الأحكام في مصالح الأنام، (1/ 8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الشاطبي[1]: "إنَّ الكتاب قد تقرر أنَّه كلية الشريعة وعمدة الملة وينبوع الحكمة وآية الرسالة، ثم قال: وإذا كان كذلك لزم لمن رام الاطلاع على كليات الشريعة وطمع في إدراك مقاصدها واللحاق بأهلها أن يتخذه سميره وأنيسه وأن يجعله جليسه على مر الأيام والليالي نظرًا وعملًا لا اقتصارًا على أحدهما"[2].

إذن: لابد أن نفرق بين مقاصد الشريعة عمومًا، ومقاصد القرآن خصوصًا، إذ إنَّ مقاصد القرآن هي أصل مقاصد الشريعة، وعليها تدور مقاصد الشريعة، ومنها تستمد.

وقد وقفت على تعريف للمقاصد القرآنية لعبد الكريم حامدي، ومحمد الربيعة – من علماء المقاصد المعاصرين– حيث يعرفها الحامدي بقوله: "مقاصد القرآن هي الغايات التي أنزل الله القرآن لأجلها تحقيقا لمصالح العباد"[3]، وهى محاولة جميلة استفاد فيها من تعريفات العلماء لمقاصد الشريعة عمومًا. وعرفها الربيعة بقوله: "علم يعرف به مغزى السورة الجامع لمعانيها ومضمونها"[4]. وعرفها الجزائرى: "هى المعاني الغائية العامة التي اتجهت إرادة الله الشرعية إلى تحقيقها من إنزال القران الكريم على المكلفين فى الدارين"[5].

وبناء على ما سبق من بيان مصطلح مقاصد القرآن نرى أنَّ مقاصد القرآن هي: علم يعرف به الأسرار والحكم والغايات التي دارت عليها سور القرآن وآياته، التي نزل القرآن لأجل تحقيقها جلبًا للمصالح، ودفعًا للمفاسد.

---

(1) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي، يكنى أبو إسحاق، لم تذكر كتب التراجم مولده، حافظ ثقة، محدث، مفسر، أصولي، من أئمة فقهاء المالكية، له استنباطات جليلة وفوائد لطيفة وأبحاث شريفة، له القدم الراسخ والإمامة العظمى في الفنون فقهًا، وأصولًا، وتفسيرًا، وحديثًا، توفي–رحمه الله– سنة 790هـ، ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمخلوف، (1/ 332). فهرس الفهارس، للكتاني، (1/ 191)، معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، لنوهيض، (1/ 23).

(2) الموافقات، (4/ 144).

(3) مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، (ص:29).

(4) علم مقاصد السور، (ص:7).

(5) أمهات مقاصد القرآن، (ص:69).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا– تعريف الأهداف:

الأهداف لغةً: جمع هدف وهو: كل شيء مرتفع من بناء أو كثيب رمل أو جبل؛ ومنه سمي الغرض هدفًا وبه شبه الرجل العظيم، وأهدف على التل أي أشرف وأسرع، يقال: أهدف له الشيء واستهدف، إذا دنا منه وانتصب له مستقبلا(1).

الأهداف اصطلاحًا: هناك عدة تعريفات للأهداف اصطلاحًا، تختلف من مجال لآخر فلكل مجال أهدافه المنوطة به، وإنَّما نحن بصدد الحديث عن الأهداف من الناحية التربوية الإسلامية، ومن خلال الاطلاع على عدة تعريفات وجدت أنسب تعريف هي: "الأهداف التي شرعت الأحكام لتحقيقها، وأهداف الشارع هي مصالح العباد في دنياهم وآخرتهم، سواء كان تحصيلها عن طريق جلب المصالح أو درء المفاسد"(2).

المطلب الثاني
أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور

علم المقاصد القرآنية من أجلّ العلوم المعينة على فهم كتاب الله تعالى، بل هو عمدة في فهمه قال الشاطبي– رحمه الله تعالى–: "التدبر إنّما يكون لمن التفت إلى المقاصد"(3).

وقد تضمن القرآن الكريم من الأحكام، والوصايا، والأخبار، ما يرشد الإنسان إلى طريق الخير، ويبعده عن طريق الشر، ويخرجه من ظلمات الجهل، ويأخذ بيده إلى نور العلم.

والمتأمل فى سور القرآن، والمتدبر لآياته، يجد أنّه اعتني بشكل رئيس بمقاصد هذا الدين.

وتتجلى أهمية معرفة مقاصد وأهداف القرآن الكريم فى عدة أمور منها:

1– كونه وسيلة لتحقيق المقصد من إنزال القرآن كله وهو تدبره والاهتداء بما تضمنته آياته وذلك لأنَّ التدبر لا يكون إلا بعد فهم المعاني، ومقصد كل سورة هو أصل معانيها الذي ترجع إليه(4).

قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: 29]، فاللام هنا للتعليل، أي العلة والسبب الذي من أجله أنزل القرآن هو التدبر،

---

(1) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (5/ 251)، لسان العرب، لابن منظور، (9/ 346)، تاج العروس، للزبيدي، (24/ 487).

(2) المقاصد العامة للشريعة، ليوسف العالم، (ص: 79).

(3) الموافقات، (4/ 209).

(4) ينظر: علم مقاصد السور، لربيعة، (ص: 11).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتذكر والاتعاظ هو ثمرة التدبر والتأمل، فإذا تذكر الإنسان واتعظ بآيات الله ﷻ قاده ذلك للعمل بما فيه[1].

2- وقوف المفسر على مقاصد السور يسدد ذهنه ويعصمه من الخطأ في تفسيرها، لأنَّه يتقيد في توجيه الآيات وفقًا لهذا المقصد، وبيان ذلك: أنَّ مقصد كل سورة إنَّما يقف عليه المفسر بعد استقراء آياتها والتأمل العميق فيما تدل عليه من معان تحقق مراد الله تعالى من كلامه، وذلك بالنظر في فواتح السور وخواتيمها وسياق وسباق آياتها، وألفاظها.

3- الاعتناء بعلم مقاصد السور القرآنية يؤدى حتمًا إلى اليقين بعصمة القرآن ورسوخ الإيمان بأنّه كلام الله تعالى حقًا، فيحصل عنده القناعة التامّة بعظمة هذا الدين وصدقه، ويدعوه ذلك إلى الالتزام به لما يرى من تحقيق المصالح ودرء المفاسد.

4- تفسير القرآن باعتبار مقاصد السور يعتبر هو المنهج الأسلم الذي يجعل كلام الله تعالى منتظما على نحو يتضح فيه جليًّا كمال نظمه واتساق آياته، ويبرز إعجازه وبلاغته؛ قال البقاعي: "ومن حقق المقصود من السورة، عرف تناسب آياتها وقصصها وجميع أجزائها"[2].

5- معرفة المقاصد يعين المفسر على ربط الآيات بالواقع.

6- إدراك مقاصد التنزيل القرآني تؤكد الرؤية الشمولية للقرآن الكريم، الذي تضمن العقيدة، والأخلاق، والأحكام، والقصص إلى غير ذلك من المقاصد، والتركيز على جانب من هذه الجوانب وإهمال جانب آخر هو إهمال لبعض مقاصد القرآن الكريم؛ لذا فإدراك مقاصد القرآن الكريم كاملة هي رؤية شاملة للقرآن الكريم الذي هو كتاب هداية، وتعليم، وتربية، وتشريع.

---

(1) ينظر: محاسن التأويل، للقاسمي، (8/ 255).

(2) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور، (149/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث
التعريف بتحزيب القرآن الكريم، ومشروعيته

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: تعريف تحزيب القرآن.

المطلب الثاني: مشروعية تحزيب القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
تعريف تحزيب القرآن

مصطلح (تحزيب القرآن) معروف منذ عهد الصحابة ﷺ، فقد جاءت كلمة الحزب بمعنى الجزء والورد في حديث رسول الله ﷺ، وكلام الصحابة ﷺ، واستخدم عدد من علماء الحديث الشريف مصطلح (تحزيب القرآن) فى عناوين بعض الأبواب[1].

كره بعض السلف استخدام مصطلح (تحزيب القرآن)، ولكن بعض العلماء بيَّنوا جواز ذلك، فقد أخرج أبو داود عن ابن الهاد[2]، قال: **(سَأَلَنِي نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، فَقَالَ لِي: فِي كَمْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ فَقُلْتُ: مَا أُحَزِّبُهُ، فَقَالَ لِي نَافِعٌ: لَا تَقُلْ: مَا أُحَزِّبُهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَرَأْتُ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ)**[3].

قال علم الدين السخاوي[4]: "يقال: أجزاء القرآن، والأحزاب، والأوراد بمعنى واحد"[5].

وقد ذكرها ابن كثير في تفسيره بمدلول واحد فقال: "وأمَّا التحزيب والتجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات في المدارس وغيرها"[6].

---

(1) ينظر: موطأ مالك، (2/ 280)، سنن أبي داود، (2/ 55)، الاستذكار، لابن عبد البر، (2/ 475)، جامع الأصول في أحاديث الرسول ﷺ، للجزري، (2/ 471).

(2) هو: الإمام الحافظ الحجة يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهاد، يكنى أبو عبد الله، لم تذكر كتب التراجم سنة ميلاده، كان أعرج من رجليه معًا، كان ثقة، كثير الحديث، توفي- رحمه الله- بالمدينة سنة 139هـ، ينظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، (5/ 397)، الثقات، لابن حبان، (7/ 617)، سير أعلام النبلاء، للذهبي، (6/ 188).

(3) سنن أبي داود كتاب الصلاة، باب تحزيب القرآن، ح (1392)، (55/2)، قال الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، للألباني، (137/5).

(4) هو: الشيخ الإمام العلامة أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد بن عبد الأحد بن عبد الغالب الهمداني المصري السخاوي، المقرىء النحوي، الملقب علم الدين؛ ولد سنة 558هـ، أو سنة 559هـ، كان مبدأه الاشتغال بالفقه على مذهب مالك بمصر ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، اشتهر بالنحو، واللغة، وعلم القرآن، فاستفاد الناس منه، وأخذوا عنه، توفي- رحمه الله- سنة 643هـ، ينظر: معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، للحموي، (5/ 1963)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، للقطفي، (2/ 311-312)، وفيات الأعيان، لابن خلكان، (3/ 340)، سير أعلام النبلاء، للذهبي، (23/ 122).

(5) جمال القراء وكمال الإقراء، (ص: 213).

(6) تفسير القرآن العظيم، (1/ 99).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التحزيب لغةً: مشتق من الحزب، وهو مصدر الفعل حزَّب، والأصل فى هذه المادة: الشيء المجموع، قال ابن فارس: "الحاء والزاء والباء أصل واحد، وهو تجمع الشيء. فمن ذلك: الحزب الجماعة من الناس. قال الله تعالى: ﴿**كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ**﴾ [المؤمنون: 53]، والطائفة من كل شيء حزب. يقال: قرأ حزبه من القرآن"[1].

والحزب: الورد وزنا ومعنى، وهو أصل معناه[2].

التحزيب اصطلاحًا: "ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة كالورد. والحزب: النوبة في ورود الماء"[3].

يقال: "قرأ حزبه من القرآن، وهو الطائفة التي وظفها على نفسه يقرؤها، وحزب القرآن: جعله أحزابًا"[4].

والذي نراه أنّ الحزب من القرآن: هو طائفة من القرآن، يجعله الإنسان لنفسه يوميًّا، ويتعاهد نفسه عليه، يختلف مقدارها كل بحسب ما يناسبه ويختاره.

المطلب الثاني
مشروعية تحزيب القرآن الكريم

مما يدل على مشروعية تحزيب القرآن ما يلي:

1- ما ثبت عن عمر بن الخطاب ﷺ، قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فِيمَا بَيْنَ صَلَاةِ الْفَجْرِ، وَصَلَاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ)**[5].

2- عن ابن الهاد، قَالَ: **(سَأَلَنِي نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، فَقَالَ لِي: فِي كَمْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ فَقُلْتُ: مَا أُحَزِّبُهُ، فَقَالَ لِي نَافِعٌ: لَا تَقُلْ: مَا أُحَزِّبُهُ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: قَرَأْتُ جُزْءًا مِنَ الْقُرْآنِ)**[6].

---

(1) مقاييس اللغة، (2/ 55).
(2) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، (2/ 261).
(3) النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (1/ 376).
(4) أساس البلاغة، للزمخشري، (1/ 186).
(5) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض، ح (747)، (1/ 515).
(6) سنن أبي داود، سبق تخريجه والحكم عليه، ينظر: (ص:23).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ الصحابة ﷺ كانوا يحزبون القرآن بالسور لا بالآيات ولا بالحروف، ولا يحزبون السورة الواحدة، وأنَّهم كانوا يحزبونه سبعة أحزابٍ، ويختمونه في سبعة أيام. في اليوم الأول أربع سور، من الفاتحة حتى النساء، وفي اليوم الثاني خمس سور، من المائدة حتى التوبة، وفي اليوم الثالث سبع سور، من يونس حتى النحل، وفي اليوم الرابع تسع سور، من الإسراء حتى الفرقان، وفي اليوم الخامس اثنتي عشرة سورة، من الشعراء حتى الصافات، وفي اليوم السادس اثنتي عشرة سورة، من ص حتى الحجرات، وفي اليوم السابع، من ق حتى سورة الناس[1].

بعد عرض الأدلة على مشروعية التحزيب وأنَّ الصحابه ﷺ كانوا يحزبون القرآن سورًا وما نراه الآن فى المصاحف، تبيَّن أن التحزيب نوعان: التحزيب حسب السور، والتحزيب حسب عدّ الحروف.

تحزيب حسب السور: هو تحزيب الصحابة ﷺ ومن بعدهم من السلف.

تحزيب حسب عدّ الحروف: هو التحزيب المحدث المقسم إلى أجزاء وأرباع الذي نراه الآن فى المصاحف.

إذن: تقسيم المصاحف إلى أجزاء وأحزاب وأرباع تقسيم اصطلاحي اجتهادي، ولذلك يختلف الناس في تقسيماتهم، كل بحسب ما يناسبه ويختاره، وبحسب ما يراه الأنفع والأقرب.

قال الزرقاني[2]: "كانت المصاحف العثمانية مجردة من التجزئة التي نذكرها كما كانت مجردة من النقط والشكل. ولمَّا امتد الزمان بالناس جعلوا يتفننون في المصاحف وتجزئتها عدة تجزئات مختلفة الاعتبارات. فمنهم من قسم القرآن ثلاثين قسما وأطلقوا على كل قسم منها اسم الجزء بحيث لا يخطر بالبال عند الإطلاق غيره حتى إذا قال قائل: قرأت جزءا من القرآن تبادر إلى الذهن أنَّه قرأ جزءا من الثلاثين جزءا التي قسموا المصحف إليها... ومن الناس من وضعوا كلمة خمس عند نهاية كل خمس آيات من السورة وكلمة عشر عند نهاية كل عشر آيات منها فإذا انقضت خمس أخرى بعد العشر أعادوا كلمة خمس فإذا صارت هذه الخمس عشرا أعادوا كلمة عشر وهكذا إلى آخر السورة"[3].

---

(1) ينظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية، (13/ 408)، تحزيب القرآن، للحربي، (ص:106).

(2) هو: محمد عبد العظيم الزرقاني، نسبة إلى زرقان وهي بلدة تابعة لمحافظة المنوفية، ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري، من علماء الأزهر بمصر، تخرج بكلية أصول الدين، وعمل بها مدرسًا لعلوم القرآن والحديث، وتوفي – رحمه الله– بالقاهرة سنة 1367هـ، ينظر: الأعلام للزركلي، (6/ 210).

(3) مناهل العرفان في علوم القرآن، (1/ 409–410).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يخفى على القارئ أنَّ تحزيب الصحابة ﷺ للقرآن كان على أساس السور، أمَّا تحزيب التابعين فإنَّه ينبني على أساس عدد الحروف والكلمات، وليس هناك جزم بأول من وضعه واختاره، ولكن الذي ينقله بعض أهل العلم أنَّ واضعه هو الحجاج بن يوسف الثقفي، وأنَّ مرجع التقسيم فيه كان على عدد الحروف. وتستند هذه المعلومة إلى ابن تيمية.

قال ابن تيمية: "المسنون كان عندهم قراءته في سبع؛ ولهذا جعلوه سبعة أحزاب ولم يجعلوه ثلاثة ولا خمسة وفيه أنَّهم حزبوه بالسور وهذا معلوم بالتواتر؛ فإنَّه قد علم أنَّ أول ما جُزِّئَ القرآن بالحروف تجزئة ثمانية وعشرين وثلاثين وستين. هذه التي تكون رؤوس الأجزاء والأحزاب في أثناء السورة وأثناء القصة ونحو ذلك كان في زمن الحجاج وما بعده وروي أن الحجاج أمر بذلك. ومن العراق فشا ذلك ولم يكن أهل المدينة يعرفون ذلك. وإذا كانت التجزئة بالحروف محدثة من عهد الحجاج بالعراق فمعلوم أنَّ الصحابة قبل ذلك على عهد النبي ﷺ وبعده كان لهم تحزيب آخر؛ فإنَّهم كانوا يقدرون تارة بالآيات فيقولون: خمسون آية، وستون آية. وتارة بالسور، لكن تسبيعه بالآيات لم يروه أحد ولا ذكره أحد فتعين التحزيب بالسور"[1].

وقد عقد شيخ الإسلام ابن تيمية لهذه المسألة فصلًا في الجزء الثالث عشر من مجموع الفتاوى ورأى أنَّ التحزيب المشروع هو أن يكون بالسور للأمور الآتية:

أحدها: أنَّ هذه التحزيبات المحدثة تتضمن دائمًا الوقوف على بعض الكلام المتصل بما بعده حتى يتضمن الوقف على المعطوف دون المعطوف عليه، ويتضمن الوقوف على بعض القصة دون بعض.

الثاني: أنَّ النبي ﷺ كانت عادته الغالبة وعادة أصحابه أن يقرأ في الصلاة سورة كاملة.

الثالث: أنَّ التجزئة المحدثة لا سبيل فيها إلى التسوية بين حروف الأجزاء؛ وذلك لأنَّ الحروف في النطق تخالف الحروف في الخط في الزيادة والنقصان[2].

---

(1) مجموع الفتاوى، (13/ 409).

(2) ينظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الأول

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة سبأ

الآيات (24-54)

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى سورة سبأ.

المبـحث الثـاني: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (24– 27) الهدى والضلال.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (28–30) رسالة محمد ﷺ وعمومها.

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (31–33) إنكار المشركين للقرآن، والحوار بين الضالين والمضلين في الآخرة.

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (34–42) تسلية للنبي ﷺ، واغترار المترفين، والوعد والوعيد.

المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (43–50) عناد المشركين، والدعوة إلى التأمل والتفكر.

المبحث السابع: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (51 –54) تهديد الكفار، وإيمانهم حين معاينة العذاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحـــث الأول

مدخل إلى سورة سبأ

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتـها، وترتيبها.

المطلب الثاني: محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول

اسم السورة، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها، وترتيبها

أولًا- اسم السورة:

اسم السورة التوقيفي (سبأ)، ولم يعرف لها اسم غيره، قال ابن عاشور: "هذا اسمها الذي اشتهرت به في كتب السنة وكتب التفسير وبين القراء ولم أقف على تسميتها في عصر النبوءة"[1].

وعن سبب تسميتها بهذا الاسم قال الزحيلي: "سميت سورة سبأ للتذكير فيها بقصة سبأ، وهم ملوك اليمن، في قوله تعالى: ﴿**لَقَدْ كانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتانِ**﴾ [سبأ:15- 16]، فقد أنعم الله تعالى عليهم بالحدائق الغناء والأراضي الخصبة، فلما كفروا النعمة، أبادهم بسيل العرم"[2].

ثانيًا- مكان وزمان نزول السورة:

اختلف العلماء: هل كل آيات السورة مكية، أم أنَّ بعضها مدني:

قال القرطبي: "سورة سبأ مكية في قول الجميع، إلا آية واحدة اختلف فيها، وهي قوله تعالى: ﴿**وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلۡحَقَّ وَيَهۡدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ**﴾ [سبأ: 6]، فقالت فرقة: هي مكية، والمراد المؤمنون أصحاب النبي ﷺ. وقالت فرقة: هي مدنية، والمراد بالمؤمنين من أسلم بالمدينة، كعبد الله بن سلام وغيره. وقيل: هم أمة محمد ﷺ المؤمنون به كائنًا من كان"[3].

وقيل: مكية باتفاق[4].

والذي نراه ونرجحه أنّ السورة كلها مكية، قال الدكتور فضل عباس: "وقد جاءت الآية مستقرة في مكانها وسياقها، ويظهر أنَّهم استثنوها لذكر ﴿**وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ**﴾ [سبأ: 6]، وهى شبهة لا تقف أمام السياق والسباق"[5].

---

(1) التحرير والتنوير، (22/ 133).
(2) التفسير المنير، (131/22).
(3) الجامع لأحكام القرآن، (14/ 258).
(4) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (489/3)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادى، (1/ 382)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (133/22).
(5) إتقان البرهان في علوم القرآن، لفضل عباس، (398/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمَّا زمان نزولها فقد نزلت سورة سبأ في "الفترة ما بين السنة الحادية عشرة والثانية عشرة من حياة الرسول ﷺ بمكة بعد البعثة. وهي ضمن مجموعة السور التي نزلت في السنوات الأخيرة من حياة المسلمين بمكة"(1).

ثالثًا- عدد آياتها وترتيبها:

اختلف في عدد آياتها، فعند الشاميين خمس وخمسون آية، وعند الباقين أربع وخمسون آية. اختلفوا في الآية ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ [سبأ:15]، فعدّها الشامي، ولم يعدها الباقون(2).

وهذه السورة هي الرابعة والثلاثون في ترتيب المصحف، والثامنة والخمسون في ترتيب نزول القرآن، نزلت بعد سورة لقمان وقبل سورة الزمر(3).

تقع في الجزء الثاني والعشرين، وهي إحدى السور الخمس التي بدأت بالحمد(4).

المطلب الثاني
محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة

أولًا- محور السورة:

كل سورة في القرآن لها محور عام، وغرض رئيس أو أكثر يستخلص من سياقها العام، وتكون المقاطع ذات الأغراض الخاصة في السورة خادمة لهذا المحور العام(5).

---

(1) أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، لشحاته، (ص:311).

(2) ينظر: البيان في عد آي القرآن، للداني، (ص: 209).

(3) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (133/22).

(4) السور التي بدأت بالحمد خمس سور، سورتان منها في النصف الأول وهما الأنعام والكهف، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:1]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: 1]، وسورتان في النصف الأخير وهما هذه السورة وسورة الملائكة، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1]، وقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: 1]، والخامسة وهي فاتحة الكتاب، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: 2]، ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (190/25)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، (5/ 483)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، (3/ 277).

(5) ينظر: النبأ العظيم، لدراز، (ص:192).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محور سورة سبأ قضية البعث والجزاء وإحاطة علم الله تعالى، يقول سيد قطب: "التركيز الأكبر في السورة على قضية البعث والجزاء وعلى إحاطة علم الله تعالى وشموله ودقته ولطفه. وتتكرر الإشارة في السورة إلى هاتين القضيتين المترابطتين بطرق منوعة، وأساليب شتى وتظل جو السورة كله من البدء إلى النهاية"[1].

ويقول حجازى: "ويدور محور الكلام فيها على البعث، ونقاش المشركين في أعمالهم وعقائدهم، وخاصة إثبات البعث، وفي خلال ذلك سيقت بعض القصص للعبرة والتسلية"[2].

ثانيًا– أهداف ومقاصد السورة:

يقول سيد قطب: "من يعيش في ظلال القرآن يجد أنَّ لكل سورة من سوره شخصية مميزة، شخصية لها روح يعيش معها القلب كما لو كان يعيش مع روح حي مميز الملامح والسمات والأنفاس! ولها موضوع رئيس أو عدة موضوعات رئيسية مشدودة إلى محور خاص. ولها جو خاص يظلل موضوعاتها كلها ويجعل سياقها يتناول هذه الموضوعات من جوانب معينة، تحقق التناسق بينها وفق هذا الجو. ولها إيقاع موسيقي خاص إذا تغير في ثنايا السياق فإنما يتغير لمناسبة موضوعية خاصة"[3].

مقصودها الأصلي، كما يقول سيد قطب: "هي موضوعات العقيدة الرئيسية: توحيد الله، والإيمان بالوحي، والاعتقاد بالبعث. وإلى جوارها تصحيح بعض القيم الأساسية المتعلقة بموضوعات العقيدة الرئيسية. وبيان أنَّ الإيمان والعمل الصالح– لا الأموال ولا الأولاد– هما قوام الحكم والجزاء عند الله تعالى. وأنّه ما من قوة تعصم من بطش الله تعالى، وما من شفاعة عنده إلا بإذنه"[4].

ويمكن إجمال أعظم أهداف ومقاصد هذه السورة بالنقاط الآتية:

1– تقرير العقيدة الإسلامية الصحيحة.

2– الحمد والشكر واجب لله تعالى.

---

(1) في ظلال القرآن، (5/ 2888).
(2) التفسير الواضح، (3/ 125).
(3) في ظلال القرآن، (1/ 27–28).
(4) المرجع السابق، (5/2888).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- إثبات إحاطة علم الله ﷻ بما في السموات وما في الأرض، فما يخبر به فهو واقع، ومن ذلك إثبات البعث والجزاء[1].

4- إثبات صدق النبي ﷺ فيما أخبر به، وصدق ما جاء به القرآن[2].

5- تقرير القيم، حيث ضرب الله تعالى نموذجين، الشاكرين لنعمة الله ﷻ وهم سليمان وداود، ووضحت أنَّه بالرغم من قوة ملكهم وعظمة حضارتهم إلا أنَّهم كانوا طائعين لله ﷻ خاضعين ومستسلمين لأوامره، وكان نتيجة هذا الاستسلام لله ﷻ هو ازدهار هذه الحضارة، واستمرار هذا الملك، والنموذج العكسى المتبطرين وهم قوم سبأ، التي كانت غنية وقوية ولكنَّهم بدلا من أن يشكروا الله ﷻ أعرضوا عنه وعصوا أوامره فأزال الله تعالى ملكهم.

6- بيان أنّ الدار الآخرة كائنة لا ريب فيها[3].

المطلب الثالث
مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها

أولًا: مناسبة السورة لما قبلها:

مع أنَّ سورة الأحزاب سورة مدنية، وسورة سبأ سورة مكية إلا أنَّه يوجد بينهما ترابط متين، قد تجلى فى وجوه عديدة نذكر منها:

الأول: اختتمت سورة الأحزاب بقوله تعالى: ﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: 73]، وافتتحت سورة سبأ بقوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1]، فتعذيب الكافرين وإثابة المؤمنين نعمة عظيمة تستوجب الحمد.

يقول الزحيلي: "إنَّ هذه السورة افتتحت ببيان صفات الملك التام والقدرة الشاملة التي تناسب ختام السورة السابقة في تطبيق العذاب وتقديم الثواب"[4].

(1) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (134/22).
(2) ينظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.
(3) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (15/ 428).
(4) التفسير المنير، (22/ 131).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الثاني: كان آخر الأحزاب: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب73]، ومطلع سبأ في فاصلة الآية الثانية: ﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ [سبأ:2].

الثالث: في سورة الأحزاب سأل الكفار عن الساعة استهزاء، وفي هذه السورة حكى القرآن عنهم إنكارها صراحة[1].

ثانيًا– مناسبة السورة لما بعدها:

1- لما ذكر تعالى في آخر سورة سبأ هلاك المشركين أعداء المؤمنين، وأنزلهم منازل العذاب، تعين على المؤمنين حمده تعالى وشكره لنعمائه ووصفه بعظيم آلائه، كما في قوله: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:45][2].

2- تآخيهما في الافتتاح بالحمد قال تعالى في فاتحة سورة سبأ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [سبأ: 1]، وقال تعالى في فاتحة سورة فاطر: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:1][3]

3- التناسب بينهما في المقدار[4].

ثالثًا– مناسبة بداية السورة مع نهايتها:

1- بدأت السورة الكريمة ببيان موقف المشركين من البعث وإنكاره واستبعاد حصوله والسخرية، والتهكم بالنبي ﷺ، ومضت السورة الكريمة بإثبات الأدلة الدالة على البعث، ثم جاء ختام السورة بإقرارهم بالبعث لكن بعد فوات الأوان[5]، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: 52].

(1) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 131)، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (171/6).

(2) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (9/ 9)، روح المعانى، للألوسي، (334/11)، تفسير المراغي، (22/ 103)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 218).

(3) ينظر: روح المعاني، للألوسي، (11/ 334)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 218).

(4) ينظر: المرجعين السابقين، نفس الجزء والصفحة.

(5) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لنخبة من علماء التفسير وعلماء القرآن، (169/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- في أوائل السورة الحديث عن إنكار الكفار للساعة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ﴾ [سبأ: 3]، وفي آواخرها أيضًا الكلام عن الساعة، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ* وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾ [سبأ: 51، 52].

3- فى البداية ذكر جزاء الذين آمنوا قال تعالى: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ﴾ [سبأ: 4]، وفي النهاية ذكر جزاء الكافرين قال تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾ [سبأ: 54]، هؤلاء ربنا يرزقهم وهؤلاء حيل بينهم وبين ما يشتهون[1].

(1) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (2888/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبــحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (24- 27)

الهدى والضلال

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: النّاس على طريقين هدى أو ضلال.

المطلب الثاني: الله ﷻ هو الذي يحكم ويفصل بين المحقّين والمبطلين.

المطلب الثالث: الرد على المشركين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
النّاس على طريقين هدى أو ضلال

قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: 24 – 25].

أولًا- المعاني اللغوية:

﴿أَجْرَمْنَا﴾: الجرم: الذنب، وقد جَرَمَ يَجْرِمُ جَرْمًا واجْتَرَمَ وأَجْرَم، فَهُوَ مُجْرِم وجَرِيمٌ. يقال: تجرم عليه أي ادّعى عليه ذنبًا لم يفعله[1]. أجرمنا: أي وقعنا في الجرم[2].

ثانيًا- المناسبة:

بعد بيان أنَّ الأصنام ونحوها من الآلهة المزعومة لا يملكون شيئًا في الكون، أبان الله تعالى هنا أنَّ المشركين يعترفون بأنَّ الخالق الرازق هو الله ﷻ، فلماذا يلجئون إلى الأصنام وهي لا تملك لهم رزقًا، فيلزمهم أن يعتقدوا بأنَّه لا إله غيره، وأنَّ المحق واحد من الفريقين وغيره مبطل، والمحق هم المؤمنون[3].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* إعادة فعل الأمر ﴿قُلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم﴾ و ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ ورد لفظ ﴿قُلْ﴾ في سورة سبأ في خمسة عشر موضعًا وكلها أوامر حقيقية يوجه بها الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ لينفذ مقولها.

فأعيد الأمر بالقول لزيادة الاهتمام بالمقول، فإنَّ أصل الأمر بالقول في مقام التصدي للتبليغ دال على الاهتمام، فأعاد ذلك زيادة فى الاهتمام[4].

* المخالفة بين حرفى الجر في قوله تعالى: ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ لأنَّ صاحب الهدى مستعل بالهدى، وتمكن مما هو عليه، يتصرف حيث شاء. وصاحب الضلال منغمس في حيرة

---

(1) ينظر: مختار الصحاح، لزين الدين، (ص: 56)، لسان العرب، لابن منظور، (12/ 91).
(2) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 79).
(3) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (15/ 497-498)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 191)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 180).
(4) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (192/22).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مرتبك فيها لا يدري أين يتوجه(1).

فالإتيان بـ (على) يدل على العلو، والثبوت، والاستقامة. وهذا بخلاف الضلال والرّيب.

* تقديم الهدى على الضلال في قوله تعالى: ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ لأنَّه كان وصف المؤمنين المذكورين بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ﴾ وهو مقدم في الذكر(2).

* إطلاق الهدى ووصف الضلال في قوله تعالى: ﴿لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ "لأنَّ الحق كالخط المستقيم واحد، والباطل كالخطوط المنحنية لا حصر لها فبعضها أدخل في الضلالة من بعض وأبين"(3).

وهذا المعنى المشار إليه هنا بيّنه الله ﷻ في مواضع أُخر، كقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: 153].

* الاستدراج في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ "حيث استدرج الخصم، واضطره إلى الإذعان والتسليم، والعزوف عن المكابرة واللجاج فإنَّه لما ألزمهم الحجة، خاطبهم بالكلام المنصف، الذي يقال لمن خوطب به: قد أنصفك صاحبك، ونحوه قول الرجل لصاحبه: قد علم الله تعالى الصادق مني ومنك، وإن أحدنا لكاذب"(4).

* التعبير عن جانب النبي ﷺ والمؤمنين بقوله تعالى: ﴿أَجۡرَمۡنَا﴾، وعن جانب المشركين بالعمل ﴿تَعۡمَلُونَ﴾ في هذا التعبير القرآني رفق بالمشركين، وإطفاء لحمية الجاهلية التي تعمّي عليهم السبيل إلى الهدى، وهذا هو الأسلوب الحكيم في مخاطبة الجاهلين، وهو أسلوب الدعوة الإسلامية(5). قال تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

---

(1) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (8/ 548). تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: 41).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (25/ 205).

(3) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، (5/ 496).

(4) الجدول في إعراب القرآن، لصافي، (22/ 221).

(5) ينظر: التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، (11/ 810).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا- المعنى الإجمالي:

يأمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يسأل من أشرك بالله ﷻ عن حجة شركه ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أي: يرزقكم من السموات بإنزال المطر مثلًا، والأرض بإنبات الزروع والثمار، ونحو ذلك. ولمَّا كان الكفار لا يقدرون على جواب هذا الاستفهام، ولا تقبل عقولهم نسبة هذا الرزق إلى آلهتهم وربما يتوقفون في نسبته إلى الله ﷻ مخافة أن تقوم عليهم الحجة.

أمر الله ﷻ رسوله ﷺ بأن يجيب عن ذلك ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ﴾، ثم أمره سبحانه أن يخبرهم بأنَّهم على ضلالة، لكن على وجه الإنصاف في الحجة بعد ما سبق تقرير من هو على الهدى؟ ومن هو على الضلالة؟

﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ أي: وإن أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال، وهذا أسلوب في غاية اللطف والأدب في المحاورة، لاستدراج الخصم إلى النظر في حاله وحال من يجادله، وهي دعوة إلى الحرية واختيار المخاطب ما يحقق له المصلحة، والاعتراف بخطئه وإصابة غيره. فقد تضمن هذا الكلام بيان فريق الهدى، وهم المسلمون، وفريق الضلالة، وهم المشركون على وجه أبلغ من التصريح، كقولك: الله تعالى يعلم أن أحدنا على حق وأن الآخر على باطل، ولا تعين بالتصريح أحدهما.

ثم أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أن يقول لهم: ﴿قُل لَّا تُسۡـَٔلُونَ عَمَّآ أَجۡرَمۡنَا وَلَا نُسۡـَٔلُ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ أي: أنتم لا تسألون عمَّا اقترفنا من آثام وذنوب، فنحن نحاسب عليها، ونحن لا نُسأل عمَّا تعملون من شرورٍ ومعاصى، والانفصال قائم بيننا وبينكم، ولستم منَّا ولسنا منكم، قال تعالى: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعۡمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [يونس:41][1].

خامسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- الرزق بيد الله ﷻ:

إنَّ المتفرد بالرزق هو الله ﷻ وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ﴾ [سبأ:24]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر: 3]،

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 401-405)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 517)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 320)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (100/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهو المتصرف في أرزاق العباد؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾ [الإسراء: 30]، وله في ذلك حكم بالغة؛ فالرزق من الله تعالى وحده ولا يملك أحد لنفسه ولا لغيره رزقًا، يقسمه لحكمة لا يعلمها إلا هو. فمن طلب الرزق من الله ﷻ فقد كفي مؤونة الرزق، وكان مع ذلك ذا عزةٍ وتعففٍ وترفع، لا يجده أبدًا من طلب الرزق من البشر، أو من الأسباب المخلوقة المنقطعة عن الله تبارك وتعالى.

والله ﷻ لم يختص برزقه من آمن في الحياة الدنيا، وإنَّما كان الرزق في الدنيا للجميع، للمؤمنين والكافرين، وهذا من عظيم لطفه سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾ [الشورى: 19]، فالرازق هو الله تعالى وحده، فلا تسأل سواه، ولا تقف بباب غيره.

2- الرفق والإنصاف والتَّلطف فى الجدل:

القرآن الكريم يقيم حواره مع المخالفين على الرفق والتلطف، قال تعالى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، ذهب معظم المفسرين إلى أنَّ أسلوب هذه الآية هو أسلوب التشكيك، وحكمته التلطف بالخصم المعاند حتى لا يلج في العناد. أخرج الكلام مخرج الشك والاحتمال. ومعلوم أنَّ من عبد الله ﷻ وحده على الهدى، وأنَّ من عبد غيره من جماد أو غيره في ضلال. فأسلوب الآية أدخل في الإنصاف وأبلغ، وأكثر تلطفًا واستدراجًا حيث سمى فعله إجراما كما يزعمون مع أنَّه مثاب مشكور وسمى فعلهم عملًا مع أنَّه مزجور عنه محظور[1].

وهذا الأسلوب يجعل الكافر يشكك في طريقه شكًّا منهجيًّا، مما يجره للبحث والتعرف، وهذا بالطبع سيقوده إلى الحق، مرحلة فمرحلة.

فالله ﷻ نسب الإجرام إلى الرسول ﷺ والذين اتبعوه لأنَّ الله تعالى يريد أن نتبع منهج اللطف والأدب في الدعوة إلى الحق، وهذا المنهج يتطلب من المؤمنين التحلي بالصبر والحكمة وعدم التسرع والغضب الذي يؤدي في أغلب الحالات إلى توتر الموقف والخروج عن أدب الجدال إلى استخدام الشتائم والسباب التي هي منهج الشيطان لإبعاد الآخر عن الحق.

---

(1) ينظر: البحر المحيط فى التفسير، لأبي حيان، (547/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- عدم التعصب لفكرة مسبقة، وإعطاء فرصه للمخالف حتى يرجع إلى الصواب:

أي أن يتخلى كل من الطرفين المشاركين بالمحاورة حول موضوع معين عن التعصب لوجهة نظر مسبقة، وعن التمسك بفكرة يرفض نقدها أو مخالفتها، لأنَّ التمسك بوجهة النظر السابقة يتنافى مع منهجية الحوار في تبادل الأفكار وتداول الطروحات وسماع الرأي الآخر.

وقد أكد القرآن الكريم على هذا المفهوم بصراحة واضحة، وأرشدنا إلى الأخذ بهذا المبدأ عندما وجه رسوله ﷺ، وفي هذا غاية الابتعاد عن التعصب، وكمال الرغبة في البحث عن الحقيقة أنَّى كانت. ونظرًا لأنَّ موضوع المحاورة الذي تتحدث عنه هذه الآية هو توحيد الله ﷻ وعدم الإشراك به، وهما يدوران حول أصل عظيم من أصول العقيدة الإسلامية، كان من البدهي أنَّ الهداية في أحدهما، وأنَّ الضلال في الآخر لأنَّه باطل، ومن أجل ذلك كان التخلي عن التعصب لفكرة سابقة متضمنًا للاعتراف بهذه الحقيقة[1].

والرسول ﷺ لم يقل أنا وحدي ومن اتبعني على هدى، وأنتم في ضلال وانتهى الجدال والنقاش، كما يحدث اليوم من قبل بعض الجماعات الإسلامية، وبعض المسلمين الذين لاهمّ لهم سوى تكفير الآخر، مبتعدين عن منهج القرآن في الدعوة إلى الله تعالى بل قال لهم الرسول ﷺ منهجنا ومنهجكم، لا يتفقان ولا بد أن يكون هناك منهج على هدى، ومنهج على ضلال. ولم يطلب الخالق ﷻ أن نحدد لهم بصريح العبارة من هو على هدى ومن هو في ضلال، أي ترك النتائج حتى تدور المسائل العقدية على العقول والأبصار، لأنَّ الرسول ﷺ ومن اتبعه يعلمون أنَّهم على حق. وأنَّ منهج الله ﷻ هو منهج الحق. حتى لا يصاب الآخر بحمية الجاهلية.

(1) ينظر: مجلة الجامعة الإسلامية، (ضوابط الحوار مع الآخر) د. سعد عاشور، (ص:93).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني
الله ﷻ هو الذي يحكم ويفصل بين المحقّين والمبطلين

قال تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: 26].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿يَفْتَحُ﴾: الفتح: نقيض الإغلاق، والفتح: الحكم يقال: فتح الحاكم بين الخصمين إذا فصل بينهما، أو بمعنى قضى، يقال: فتح بيننا الفتاح: أي قضى القاضي. والفتح: النصر والإظفار[1].

يفتح بيننا: أي: يقضي ويحكم بيننا بالعدل، فيتبين عند ذلك المهتدي منَّا من الضال[2].

ثانيًا- المناسبة:

بعد أن أمر الله ﷻ رسوله ﷺ فى الآية السابقة بأن يقول للمشركين لا تسألون عن إجرامنا وذنوبنا، ونحن لا نسأل عن أعمالكم، بيَّن هنا بأنَّ الذي يسأل الناس عن أعمالهم هو الله تعالى، وأنَّه الذي يفصل بين الفريقين بالحق حين يجمعهم يوم القيامة الذي هم منكروه[3].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* إعادة فعل الأمر ﴿قُلْ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ لزيادة الاهتمام بهذه المحاجات لتكون كل مجادلة مستقلة غير معطوفة فتكون هذه الجملة استئنافا ابتدائيًّا[4].

* صيغتا المبالغة فى قوله تعالى: ﴿الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ وهذا فيه تهديد وتوبيخ. تقول لمن نصحته وخوفته فلم يقبل: سترى سوء عاقبة الأمر[5].

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (4/ 469)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (3/ 407)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميرى، (8/ 5090).

(2) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 405)، الهداية إلى بلوغ النهاية، للقيرواني، (5926/9).

(3) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 195).

(4) ينظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(5) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (8/ 548).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* الإطناب في قوله تعالى: ﴿الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ بعد أن ذكر الله ﷻ على لسان المؤمنين حوارهم مع الكافرين الذي تضمن مسألة الفتح، أي الحكم والفصل بالحقِّ، ذُيِّلت[1] الآية بقولهم: ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾، وهذا التذييل يتضمن المعنى الذي تضمَّنته الجملة قبله، وهذا من مقامات الإطناب، وذكر ابن عاشور: "أنّ جملة ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ تذييل بوصفه تعالى بكثرة الحكم وقوته وإحاطة العلم، وبذلك كان تذييلا لجملة ﴿ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾ المتضمنة حكمًا جزئيًّا فذيل بوصف كلي"[2].

رابعًا– القراءات:

* قوله تعالى: ﴿وَهُوَ﴾ فيها قراءتان.

أ– قرأ قالون وأبو عمرو والكسائي وأبو جعفر بإسكان الهاء أينما وردت إذا كان قبلها واو، أو فاء، أو لام ﴿وَهْوَ﴾.

ب– وقرأ الباقون بضم الهاء ﴿وَهُوَ﴾[3].

– وحجة من قرأ بإسكان الهاء: للتخفيف، وهو لغة نجد.

– وحجة من قرأ بضم الهاء: على الأصل، وهو لغة أهل الحجاز[4].

– الجمع بين القراءتين: لغات من لغات العرب

خامسًا– المعنى الإجمالي:

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ يأمر الله ﷻ رسوله ﵇ أن يتابع جدال المشركين، ويذكرهم بيوم القيامة، فيقول لهم: الله تعالى سيبعثنا بعد الموت، وسيجمع

---

(1) التذييل: عبارة عن الإتيان بجملة مستقلة بعد إتمام الكلام لإفادة التوكيد وتقرير لحقيقة الكلام، ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، للطالبي، (3/ 61).

(2) التحرير والتنوير، (22/ 195).

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 209).

(4) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 73)، الحجة للقراء السبعة، للفارسي، (1/ 407)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (2/ 24).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بيننا، ثم يقضي بيننا بالحق، ويفصل بيننا بالعدل، فيجزي كل عامل بعمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، وعند ذلك تعرفون مقدار فوزنا وعزتنا(1).

سادسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

1– جمع الخلائق يوم القيامة:

يجمع الله ﷻ الخَلْق – أولهم وآخرهم– ليوم الفصل، يوم يفصل الرحمن بين الخلائق؛ قال تعالى: ﴿قُلۡ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفۡتَحُ بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَهُوَ ٱلۡفَتَّاحُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [سبأ: 26]، وقال تعالى: ﴿**ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا**﴾ [النساء: 87]. وقد وصف الله تعالى يوم القيامة بما فيه من عظمة وجلال وشدة في آيات كثيرة، فقال سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ حَمِيمٖ وَلَا شَفِيعٖ يُطَاعُ**﴾ [غافر: 18].

ويعرف الناس بعضهم بعضًا ويتعارفون بينهم ثم يفر بعضهم من بعض بعد ذلك. قال الله تعالى: ﴿**فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ**﴾ [المؤمنون: 101].

فهو موقف عظيم تنقطع فيه علائق الأنساب، وينعجم فيه البليغ في المقال حتى إنَّ أفصح الناس وأعلمهم وأفضلهم لا يُسمع له صوت ولا يتكلم أحد إلا بإذن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿**يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ**﴾ [هود: 105](2).

وعن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رسول الله ﷺ قال: (**يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأَرْضِ سَبْعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُمْ**)(3).

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 405)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 517)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2905–2906)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 508).

(2) ينظر: مختصر معارج القبول، للعقدة، (ص:239).

(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ﴾ [المطففين:4]، ح (6532)، (8/ 111).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- تقرير تطميني للنبي ﷺ والمؤمنين، وإنذاري للكفار أنَّ الله ﷻ هو الذى يفتح بين المحقين والمبطلين:

الله ﷻ موصوف بكمال الحكم بين المخلوقات، واسع العلم والاطلاع على مبادئ الأمور وعواقبها، واسع الحمد تام القدرة، عزيز الرحمة يضع الأشياء في مواضعها وينزلها منازلها اللائقة بها في خلقه وأمره.

والله ﷻ هو الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بعدله وقسطه فلا يظلم مثقال ذرة ولا يُحَمِّل أحدًا وزر أحد ولا يجازي العبد بأكثر من ذنبه ويؤدي الحقوق إلى أهلها، وهو العدل في تدبيره وتقديره، وأفعاله كلها جارية على سنن العدل والاستقامة، ليس فيها شائبة جور، فهي كلها بين الفضل والرحمة وبين العدل والحكمة.

والله ﷻ الحكم لا يأخذ إلا بذنب ولا يعذب إلا بعد إقامة الحجة، وأقواله كلها عدل، فهو لا يأمر الناس إلا بما فيه مصلحة خالصة أو راجحة، ولا ينهاهم إلا عما مضرته خالصة أو راجحة، وكذلك حكمه بين عباده يوم فصل القضاء، ووزنه لأعمالهم عدل لا جور فيه، قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47][1].

فهو سبحانه وتعالى يعلم ويقدر متى يقول كلمة الفصل. فليس لأحد أن يحدد موعدها، ولا أن يستعجلها. فالله ﷻ هو الذي يجمع وهو الذي يفتح.

(1) ينظر: عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، للقحطاني، (1/ 286).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث
الرّد على المشركين

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ:27].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿كَلَّا﴾: كلمة زجْرٍ وردعٍ، ومعناها انته لا تفعل. وقد تأتي بمعنى حقًّا[1]. وهي هنا تحمل المعنيين أي: ارتدعوا عن هذا القول وتنبهوا عن ضلالتكم[2].

ثانيًا- المناسبة:

انتقال من الاحتجاج على بطلان إلهية الأصنام، إلى إبطال ذلك بدليل البداهة.

يقول ابن عاشور: "وقد سلك من طرق الجدل طريق الاستفسار، والمصطلح عليه عند أهل الجدل أن يكون الاستفسار مقدما على طرائق المناظرة وإنَّما أخر هنا لأنَّه كان مفضيا إلى إبطال دعوى الخصم بحذافيرها فأريد تأخيره لئلا يفوت افتضاح الخصم بالأدلة السابقة تبسيطا لبساط المجادلة حتى يكونَ كلُّ دليل مناديًا على غلطِ الخصوم وباطلهم. وافتضاح الخطأ من مقاصد المُناظر الذي قامت حجته"[3].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* إعادة فعل الأمر ﴿قُلْ﴾ فى قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ لمزيد الاهتمام وهو رجوع إلى مهيع[4] الاحتجاج على بطلان الشرك فهو كالنتيجة لجملة: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[5].

---

(1) ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (199/4)، همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، للسيوطي، (2/ 601)، تاج العروس، للزبيدي، (40/ 445).
(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (4/ 254).
(3) التحرير والتنوير، (22/ 196).
(4) المهيع: جمع مهايع، وهو الطريق البيِّن الواسع، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (4/ 377).
(5) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (15/ 502).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا- الإعراب:

* قوله تعالى: ﴿أَرُونِيَ﴾ يحتمل أن تكون:

1- رؤية قلبية فيكون قوله تعالى: ﴿شُرَكَآءَ﴾ مفعولًا ثالثًا، وهذا هو الصحيح أي: أروني بالحجة والدليل كيف وجه الشركة.

2- وقالت فرقة: هي رؤية بصرية و ﴿شُرَكَآءَ﴾ نصب على الحال من الضمير المحذوف في ألحقتم(1).

* قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ اللَّهُ﴾ في هذا الضمير قولان:

أحدهما: أنَّه ضمير عائد على الله تعالى أي ذلك الذي ألحقتم به شركاء هُو الله، و ﴿الْعَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ صفتان.

والثاني: أنَّه ضمير الأمر والشأن و﴿اللَّهُ﴾ مبتدأ، و ﴿الْعَزِيزُ والْحَكِيمُ﴾ خبران، والجملة خبر هو(2).

خامسًا- المعنى الإجمالي:

يأمر الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء المشركين بالله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ أي: أروني بالحجة والدليل الذين ألحقتموهم بالله تعالى وجعلتموهم شركاء له في العبادة.

﴿كَلَّاۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ أي: كلا ليس الأمر كما وصفوا، بل هو المعبود بحق الذي لا شريك له، العزيز في انتقامه ممن أشرك به، الحكيم في أقواله وأفعاله وتدبير أمور خلقه. ومن هذه صفاته لا يكون هؤلاء شركاء له. ولا يكون له على الإطلاق شريك(3).

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (420/4)، البحر المحيط فى التفسير، لأبى حيان، (548/8)، الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، (184/9)، الجواهر الحسان فى تفسير القرآن، للثعالبي، (374/4).

(2) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (16/ 62).

(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 405)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 517)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 508)، التفسير الميسر، لنخبة من أساتذة التفسير، (1/ 431)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (101/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- تقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوة:

من أصول الحوار الالتزام بالطرق العلمية فى الحوار كتقديم الأدلة المثبتة أو المرجحة للدعوة[1]، لقوله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ:27]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [البقرة:111]، قال صاحب المنار: "طالبهم -الله تعالى- بالبرهان على دعواهم، فقرر لنا قاعدة لا توجد في غير القرآن من الكتب السماوية، وهي أنه لا يقبل من أحد قولًا لا دليل عليه، ولا يحكم لأحد بدعوى ينتحلها بغير برهان يؤيدها"[2].

وطلب الدليل والبرهان من منهجية القرآن الكريم، والقرآن لا يفعل ذلك إلا لاطمئنانه بأنَّ المشركين ليسوا على شيء، لذلك يقف على أرض صلبة في الحوار، فقد تحدى البشر أن يأتوا بسورة من مثله فعجزوا، وتحدى أهل الكتاب أن يأتوا بدليل على أمانيهم الكاذبة بأنَّ الجنة لهم وحدهم، وتحدى بني إسرائيل أن يتمنوا الموت، كما تحداهم أن يأتوا بالتوراة التي يفترون عليها، وتحدى المشركين أن تستجيب لهم أصنامهم، وتحداهم أيضًا أن يأتوا ببرهان على وجود إله غير الله تعالى، وطالبهم بأي دليل على ما يذهبون إليه من الشرك، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَـٰبٍ مِّن قَبْلِ هَـٰذَآ أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ [الأحقاف:4]، وزادهم تهكمًا حين طالبهم أن يحضروا شركاءهم، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [سبأ: 27].

فالهدف من الحوار تعزيز مكانة الإسلام، وإظهار قوته، ودحض حجة المخالفين.

2- الإقرار بتوحيد الألوهية:

أي: إفراده ﷻ بالعبادة والخضوع والطاعة المطلقة، وأن لا يشرك به أحد كائنًا من كان، ولا يصرف شيء من العبادة لغيره تعالى.

(1) ينظر: مجلة الدراسات الاجتماعية، (الحوار مع المشركين وأهل الكتاب)، للبافرج، (ص:206).
(2) تفسير المنار، (1/ 350).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَۖ كَلَّاۚ بَلۡ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [سبأ:27]، فالله ﷻ وحده هو المعبود بحق، وأنَّ ما سواه من المعبودات كلها باطل لا تستحق أي شيء من العبادة بل الواجب على العباد أن يتقربوا إليه وحده من غير واسطة فهو المستحق لجميع أنواع العبادة، من الخوف، والرجاء، والحب، والصلاة، والزكاة وغيرها من العبادات القلبية والبدنية، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام:162][1].

وقد جمع النبي ﷺ كل أنواع الشرك في جملة واحدة من جوامع الكلم حين سئل عن الشرك بالله ﷻ، عن عبد الله ؓ، قال: **(سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟ قَالَ: أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ)**[2].

والند: هو المثيل والنظير، فكل من أشرك بالله تعالى سواء فى الربوبية، أو الألوهية، أو الأسماء والصفات فقد جعل له ندًا ومثيلًا ونظيرًا.

فالواجب على المسلم أن يكون على علم بتوحيد الله ﷻ وما يقرِّب إليه، فإنَّ من أعظم أسباب انتشار الشرك، الجهل بما يجب لله ﷻ من التوحيد، وقد كان الرسول ﷺ حريصًا على بيان التوحيد الخالص، وحريصًاعلى بيان الشرك وقطع أسبابه، إلا أنَّ البعد عن منبع الهدى من الكتاب والسنة أدخل طوائف من الأمة في دوامات من الممارسات الخاطئة لشعائرٍ كان من الواجب صرفها لله ﷻ، فصرفت إلى مخلوقين لا يستحقونها.

فلذلك يجب علينا أن نخلِص الدين كله للّه ﷻ وحده لا شريك له، لأنَّه هو المعبود بحق، قال تعالى: ﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام:163]، ثُمَّ إنَّ الجن والإنس مأمورون بإفراد العبادة للّه تعالى وحده ونفيها عما سواه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات:56].

---

(1) ينظر: الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، للأثري، (ص: 288).

(2) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:22]، ح (4477)، (6/ 18)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب كون الشرك أقبح الذنوب، ح (141)، (1/ 90).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبــحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (28-30)

رسالة محمد ﷺ وعمومها

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: وظيفة الرسول ﷺ.

المطلب الثاني: الاستعجال بالوعد والوعيد دليل على الجهل بوظيفة الرسول ﷺ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
وظيفة الرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ:28].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿كَآفَّةً﴾: بعض المفسرين أوّلها بمعنى مانع وكاف أي يمنع الناس ويكفّهم عن الكفر، وبعضهم أوّلها بمعنى جميع الناس. وكلا القولين وجيه ومؤيد بآيات أخرى حيث يؤيد المعنى الأول قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:107]، ويؤيد الثاني قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:158] وإن كان أسلوب الآية يجعل الرجحان للقول الأول[1].

ثانيًا- المناسبة:

"انتقال من إبطال ضلال المشركين في أمر الربوبية إلى إبطال ضلالهم في شأن صدق الرسول ﷺ. وغير أسلوب الكلام من الأمر بمحاجة المشركين إلى الإخبار برسالة النبيء ﷺ تشريفًا له بتوجيه هذا الإخبار بالنعمة العظيمة إليه، ويحصل إبطال مزاعم المشركين بطريق التعريض"[2].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* الطباق بين: ﴿بَشِيرًا﴾ و ﴿وَنَذِيرًا﴾.

* إعادة ذكر (الناس) في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ "تخصيصا للجهل بنعمتى البشارة والنذارة ونعمة الرسالة بهم وأنَّهم هم الذين لا يعلمون فضل الله بذلك عليهم ولا يشكرونه وذلك لأنَّ العقل لا يستقل بإدراك جميع الأمور الدنيوية والأخروية والتمييز بين المضار والمنافع فاحتاج الناس إلى التبشير والإنذار وبيان المشكلات من جهة أهل الوحي"[3].

---

(1) ينظر: التفسير الحديث، لدروزة، (4/ 279).
(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 197).
(3) روح البيان، لحقي، (7/ 294)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا- المعنى الإجمالي:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ أي: لم نرسلك يا رسولنا لمهمة غير البشارة والنذارة فلذا لا يحزنك إعراضهم وعدم استجابتهم فبشر من آمن بك واتبعك فيما جئت به بأنَّ لهم الجنة، وأنذر من كفر بك ولم يتابعك على الهدى الذي تدعو إليه بأنَّ لهم النار.

وفي هذه الآية إثبات رسالة محمد ﷺ على منكريها من العرب وإثبات عمومها على منكريها من اليهود، وأنّه بعث كافّة للناس أجمعين، وهذه إحدى الخصال التي خص بها الرسول ﷺ من بين الأنبياء.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فيه تعزية للرسول ﷺ إذ الواقع أنَّ أكثر الناس لا يعلمون إذ لو علموا لما ترددوا في عبادة الله تعالى وتوحيده والتقرب إليه طمعًا فيما عنده وخوفًا مما لديه، ذلك فيحملُهم جهلُهم على ما هم عليه من الغيِّ والضلال(1).

خامسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

عالمية رسالة النبي ﷺ:

كان الأنبياء والرسل –عليهم السلام–يرسلون إلى أقوامهم خاصة، كما قال تعالى: ﴿**لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ**﴾ [الأعراف:59]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ**﴾ [الأعراف65]، وقوله تعالى: ﴿**وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ**﴾ [الأعراف:73]، أمَّا نبينا محمد ﷺ فرسالته عامة لجميع الناس، وقد جاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تشير إلى هذه الخصوصية، قال الله تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾ [سبأ:28]، وقال تعالى: ﴿**قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف:158]، وقال تعالى: ﴿**تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا**﴾ [الفرقان:1].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أنَّ النبي ﷺ قال: (**أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي: نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا، وَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِي الغَنَائِمُ، وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ**)(2).

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 405)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (4/ 420)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 518).

(2) صحيح البخاري، كتاب الصلاة، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: (جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا)، ح (438)، (1/ 95).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه هي بعض خصائصه ﷺ التي اختصه الله تعالى بها دون غيره من الأنبياء في الدنيا، وهي تُعطينا صورة عن مكانته عند ربه، وكرامته وعلو منزلته، مما يزيدنا إيمانًا وحبًّا، وتوقيرًا واتباعًا له ﷺ.

وكذلك عموم رسالته لجميع الإنس والجن في كل زمان ومكان من بعثته إلى يوم القيامة، وكونها خاتمة الرسالات، يقضي ويدل دلالة قاطعة على أنَّ النبوة قد انقطعت بانقطاع الوحي بعده، وأنَّه لا مصدر للتشريع والتعبد إلا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ، وهذا يقتضي وجوب الإيمان بعموم رسالته واتباع ما جاء به، عن أبى هريرة ﷺ، عن الرسول ﷺ أنَّه قال: **(وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)**[1].

وقد قامت الحجة وثبتت رسالة النبي ﷺ وعمومها وشمولها لجميع الثقلين: الإنس والجن، في كل زمان ومكان إلى قيام الساعة، قال تعالى: ﴿**قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦۖ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَاۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ**﴾ [الأنعام:104].

المطلب الثاني
الاستعجال بالوعد والوعيد دليل على الجهل بوظيفة الرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ *قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ**﴾ [سبأ:29-30].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿ٱلْوَعْدُ﴾، ﴿مِّيعَادُ﴾: الوعد في أصل لغة العرب يستعمل في الخير والشر، يقال: وعدته خيرًا. ووعدته شرًا، فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير: الوعد والعدة، وفي الشر: الإيعاد والوعيد، مع العلم أنَّ الوعيد لا يكون إلا بالشر. والمواعدة من الميعاد، والميعاد لا يكون إلا وقتًا أو موضعًا[2].

---

(1) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ، ح (153)، (1/ 134).

(2) ينظر: المحيط في اللغة، للطالقاني، (2/ 28)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 551)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (6/ 125)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (5/ 206)، تاج العروس، للزبيدي، (9/ 305).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ميعاد يوم: فيه قولان: أحدهما: أنَّه يوم الموت عند النَّزْع والسّياق. والثاني: يوم القيامة[1]، ولا مانع من الحمل على كلا المعنيين، فكلا منهما موعد محدد عند الله ﷻ.

ثانيًا– المناسبة:

"لما سلب عنهم العلم، أتبعه دليله، فقال معبرًا بصيغة المضارعة الدال على ملازمة التكرير للإعلام بأنه على سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد ﴿وَيَقُولُونَ﴾ أي: ما أرسلناك إلا على هذا الحال، والحال أنَّ المنذرين يقولون جهلًا منهم بعاقبة ما يوعدونه، غير مفكرين به في وجه الخلاص منه"[2].

يقول ابن عاشور: "كان من أعظم ما أنكروه مما جاء به ﷺ القيامة والبعث ولذلك عقب إبطال قولهم في إنكار الرسالة بإبطال قولهم في إنكار البعث"[3].

ثالثًا– وجوه البلاغة:

* الاستهزاء في قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[4].

ونحن نرى:– فضلاً عن الاستهزاء– دلالة الاستبعاد والإنكار، كأنهم يقولون: لا يمكن أن يأتي هذا اليوم أو يتحقق.

* الإشارة في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ للتحقير والاستخفاف[5].

* التنكير في قوله تعالى: ﴿مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾ للتنكير والتعظيم [6].

* الطباق بين: ﴿تَسْتَـْٔخِرُونَ﴾ و ﴿تَسْتَقْدِمُونَ﴾ .

رابعًا– المعنى الإجمالي:

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أي: ويقول المشركون على سبيل الاستهزاء والسخرية متى هذا الوعد الذي تعدنا به، وما فيه من حساب وثواب وعقاب، أخبرونا عنه–أيها

(1) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (3/ 499).
(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (15/ 506).
(3) التحرير والتنوير، (22/ 199).
(4) ينظر: روح المعاني، للألوسي، (11/ 318).
(5) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 199).
(6) ينظر: المرجع السابق، (22/ 200).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المؤمنون-، إن كنتم صادقين فيما تحدثوننا عنه، وفيما تدعوننا إليه من إيمان، قال تعالى: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى:18].

يقول سيد قطب: "وهذا السؤال يوحي بجهلهم لوظيفة الرسول ﷺ وعدم إدراكهم لحدود الرسالة، والقرآن حريص على تجريد عقيدة التوحيد، فما محمد ﷺ إلا رسول محدد الوظيفة، وهو قائم في حدود وظيفته لا يتخطاها، والله ﷻ هو صاحب الأمر، هو الذي أرسله، وهو الذي حدد له عمله وليس من عمله أن يتولى- ولا حتى أن يعلم- تحقيق الوعد والوعيد، ذلك موكول إلى ربه، وهو يعرف حدوده، فلا يسأل مجرد سؤال عن شيء لم يطلعه عليه ربه، ولم يكل إليه أمره"(1).

وهنا أمر الله ﷻ رسوله ﷺ أنّ يرد عليهم ردًا فيه كل معاني التهديد والوعيد.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ أي: لكم زمان معيَّن للعذاب يجيء في أجله الذي قدّره الله ﷻ له، لا يستأخر لرغبة أحد، ولا يتقدم لرجاء أحد، فلا تستعجلوا وعد الله ﷻ فهو آتٍ لا محالة، إذ الأمر مبرم محكمٌ لا يقبل النقص ولا الزيادة ولا التبديل ولا التغيير، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [نوح: 4]، وقال تعالى: ﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ * يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾ [هود:104-105](2).

يقول الماتريدي(3): "وهكذا الواجب على كل مسئول إذا كان سائله سؤال استهزاء أن يجيبه جواب ما يجاب المسترشد، لا ما يجاب المستهزئ، ولا يدع علمه وحكمته لسفه السفيه، ولا لهزء الهازئ، ولكنه يحفظ حكمته وعلمه وعقله، ولا يشتغل بجواب مثله"(4).

---

(1) في ظلال القرآن، (5/ 2908).

(2) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 406)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 519)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 508)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (102/8).

(3) الماتريدي: هو محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، سمى بالماتريدي نسبة إلى بلدته ما تريد محله بسمرقند، كنيته أبو منصور، حنفي المذهب، لم تذكر المراجع سنة ميلاده ولد في بيت من البيوت التى شغفت بالعلوم الدينية، فنشأ وتعلم القرآن منذ صغره، لقب بألقاب كثيرة منها: إمام الهدى، وإمام المتكلمين، ومصحح عقائد السنة، ورئيس أهل السنة، وغيرها من الألقاب. توفى-رحمه الله- سنة 333هـ. ينظر: هدية العارفين، للباباني، (2/ 36)، معجم المؤلفين، لكحالة، (11/ 300).

(4) تأويلات أهل السنة، (8/ 448).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

الثقة في أنّ وعد الله ﷻ لا يتخلف:

إنَّه من الواجب على المؤمن أن يثق بوعد الله ﷻ والصبر والثبات بلا قلق ولا زعزعة ولا حيرة ولا شكوك .

يقول سيد قطب: "الصبر والثقة والثبات على الرغم من اضطراب الآخرين، ومن تكذيبهم للحق وشكهم في وعد الله تعالى. ذلك أنَّهم محجوبون عن العلم محرومون من أسباب اليقين. فأمَّا المؤمنون الواصلون الممسكون بحبل الله تعالى فطريقهم هو طريق الصبر والثقة واليقين. مهما يطل هذا الطريق، ومهما تحتجب نهايته وراء الضباب والغيوم"(1).

ولقد أشار القرآن الكريم في كثير من الآيات إلى أنّ الله ﷻ لا يخلف الميعاد، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ:30]، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران:9].

قال ابن كثير: "يقولون في دعائهم: إنك- يا ربنا- ستجمع بين خلقك يوم معادهم، وتفصل بينهم وتحكم فيهم فيما اختلفوا فيه، وتجزي كلا بعمله، وما كان عليه في الدنيا من خير وشر"(2). وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۗ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا ۗ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۗ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الرعد:31]، وغيرها من الآيات.

فالإنكار أو الاستهزاء بنصوص الوعد والوعيد تكذيب للقرآن الكريم، حيث فرض الله ﷻ الإقرار بآياته، وتصديقها، وعدم اتخاذها هزوًا، وأيضًا فإنَّ الله ﷻ قد حكم بالكفر على من جحد آياته، كما توعده بالعذاب المهين، فإنكار نصوص الوعد والوعيد وصرفها عن ظاهرها، أو الاستهزاء بها يتضمن طعنًا في الأنبياء -عليهم السلام-، وتنقّصًا لهم، وأنَّهم ربما كذبوا لمصلحة الجمهور كما يزعم ملاحدة الفلاسفة، مع أنَّ الأنبياء -عليهم السلام- صادقون مصدقون، قد بلغوا

---

(1) في ظلال القرآن، (5/ 2778).

(2) تفسير القرآن العظيم، (2/ 15).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

البلاغ المبين، وأقاموا الحجة على الناس، فهم أفضل الخلق عند الله ﷻ، وأكمل الخلق علمًا وعملًا، حيث اختصهم الله تعالى بوحيه واصطفاهم من بين سائر الناس[1].

يقول سيد قطب: "وكل ميعاد يجيء في أجله الذي قدره الله له. لا يستأخر لرغبة أحد، ولا يستقدم لرجاء أحد. وليس شيء من هذا عبثا ولا مصادفة، فكل شيء مخلوق بقدر، وكل أمر متصل بالآخر، وقدر الله يرتب الأحداث والمواعيد والآجال وفق حكمته المستورة التي لا يدركها أحد من عباده إلا بقدر ما يكشف الله له، والاستعجال بالوعد والوعيد دليل على عدم إدراك هذه الحقيقة الكلية، ومن ثم فإن أكثر الناس لا يعلمون، وعدم العلم يقودهم إلى السؤال والاستعجال"[2].

والوعد لا يكون إلا بالخير، والوعيد يكون بالشر، وعجيب أنْ يسمى الكفار القيامة وعدًا، فكان ينبغي أن يقولوا متى هذا الوعيد، أو أنَّ الله تعالى لوى ألسنتهم ليقولوا كلمة الحق، فهو بالفعل وَعْد حق من الله تعالى، وإنْ كان في حقهم وعيدًا.

---

(1) ينظر: الموسوعة العقدية، لمجموعة من الباحثين، (5/7).

(2) في ظلال القرآن، (5/ 2908).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحــث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (31-33)

إنكار المشركين للقرآن، والحوار بين المستضعفين والمستكبرين فى الآخرة

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: إنكار المشركين للقرآن.

المطلب الثاني: حوار بين المستضعفين والمستكبرين في الآخرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
إنكار المشركين للقرآن

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ [سبأ:31].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿مَوۡقُوفُونَ﴾: يقال: وَقَفْتُ الدابَّةَ أقِفُها وَقْفًا: إذا حبستها في سبيل الله تعالى. ووقفت القوم، أقفهم وقفا، وواقفوهم وقوفا: أي حبسوهم[1]. موقفون عند ربهم: أي: محبوسون عند ربهم للحساب يوم القيامة[2].

ثانيًا- المناسبة:

يقول السعدي: "لما ذكر تعالى أنَّ ميعاد المستعجلين بالعذاب، لا بد من وقوعه عند حلول أجله، ذكر هنا حالهم في ذلك اليوم، وأنَّك لو رأيت حالهم إذا وقفوا عند ربهم"[3].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* استخدام حرف ﴿لَن﴾ الدالة على النفي المؤبد في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ﴾ لتأكيد نفي إيمانهم بالكتب المنزلة على التأبيد تأييسًا للنبي ﷺ والمسلمين من الطمع في إيمانهم به[4].

* الاستعارة فى قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ فالقرآن الكريم ليس لديه يدان، ولكنَّه استعارة لما سبقه من الكتب السماوية المنزلة من عند الله ﷻ[5].

* الطباق بين: ﴿ ٱسۡتُضۡعِفُواْ ﴾ و ﴿ ٱسۡتَكۡبَرُواْ ﴾.

---

(1) ينظر: المحيط في اللغة، للطالقاني، (6/ 46)، تاج العروس، للزبيدي، (24/ 468).
(2) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 187)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 293).
(3) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (ص: 681).
(4) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 202).
(5) ينظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا– القراءات:

* قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ فيها قراءتان.

أ– قرأ ابن كثير بالنقل، حيث وردت ﴿وَٱلۡقُرَانِ﴾.

ب– وقرأ الباقون من غير نقل ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾(1).

– وحجة من قرأ بالنقل: أنَّ القرآن مصدر من قرنت الشيء بالشيء إذا ضممته إليه، فالنون أصليَّة.

– وحجة من قرأ من غير نقل: أنَّ القرآن مصدر من قرأ يقرأ قرآنًا ثم أطلق على ما بين الدفّتين من كلام الله ﷻ، وصار علما على ذلك، ومعناه: الجمع، لأنَّه يجمع السور، والآيات، فالهمزة أصلية والنون ليس كذلك(2).

– الجمع بين القراءتين: لغات من لغات العرب. والله أعلم.

خامسًا– المعنى الإجمالي:

يخبر الله ﷻ عن تمادي الكفار في طغيانهم وعنادهم وإصرارهم على عدم الإيمان بالقرآن وما أخبر به من أمر المعاد؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ أي: لن نؤمن ولن نصدق أبدًا بأنَّ هذا القرآن الذي يقرؤه محمد ﷺ علينا، هو كلام الله ﷻ، وإذن فنحن لا نؤمن به، ولا نؤمن بما يحمل بين يديه من أحاديث عن البعث، والحساب والجزاء، وقصص الأنبياء، وأخبار الأمم الماضية، إنَّهم يكذبون به شكلًا وموضوعًا– كما يقولون– فهو ليس من عند الله ﷻ أولًا، ثمَّ إنَّ ما يحمل من أحاديث وأخبار، لا تصدّق ثانيًا، لأنَّها لا تعقل!

ثم ذكر ما يكون من حوار بين ضاليهم ومضليهم حين الوقوف بين يدي الملك الديان للحساب والجزاء فقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ مَوۡقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمۡ يَرۡجِعُ بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٍ ٱلۡقَوۡلَ﴾ أي: ولو ترى يا محمد ﷺ حال أولئك الكافرين وهم محبوسون للعرض والحساب وما هم فيه من مهانة وذلّة، يحاور بعضهم بعضًا، ويتلاومون ويتلاعنون على ما كان بينهم من سوء

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (1/ 414).

(2) ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 126)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (1/ 242).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأعمال، والسبب فيمن أوقعهم في هذا النكال والوبال لرأيت العجب العاجب، والمنظر المخزي الذي يستكين منه المرء خجلا.

ثم فصل ذلك الحوار فقال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ﴾ منهم وهم الأتباع ﴿لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ﴾ وهم قادتهم وسادتهم ﴿لَوۡلَآ أَنتُمۡ لَكُنَّا مُؤۡمِنِينَ﴾ أي: لولا أنتم أيها الرؤساء والكبراء في الدنيا لكنا مؤمنين بالله تعالى وآياته[(1)].

سادسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

إنكار الكفار للقرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ بِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَلَا بِٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ﴾ [سبأ:31].

من المعلوم أنَّ الإيمان بالكتب المنزلة من عند الله تعالى على رسله –عليهم السلام– هو أحد أركان الإيمان، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:136].

ومعنى الإيمان بالكتب: هو التصديق بأنَّ جميع هذه الكتب منزّلة من عند الله تعالى على رسله– عليهم السلام– إلى عباده، وأنَّها كلام الله ﷻ، وأنَّ الإيمان بكل ما فيها من الأحكام كان واجبًا على الأمم التي نزلت إليهم تلك الكتب، وكذا الانقياد لها والحكم بما فيها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسۡلَمُواْ لِلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلۡأَحۡبَارُ بِمَا ٱسۡتُحۡفِظُواْ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ عَلَيۡهِ شُهَدَآءَۚ فَلَا تَخۡشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخۡشَوۡنِ وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗاۚ وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:44].

والإيمان بكتب الله ﷻ يجب إجمالاً فيما أجمل، وتفصيلًا فيما فصّل ومما يجب الإيمان به مفصلاً: الإيمان بالقرآن الكريم بتصديقه واتباعه، وتحقيق النصيحة لهذا القرآن العظيم.

يقول النووي في بيان معنى النصيحة لكتابه تعالى: "الإيمان بأنَّه كلام الله تعالى وتنزيله، ولا يشبهه شيء من كلام الخلق، ولا يقدر على مثله أحد من الخلق، ثم تعظيمه وتلاوته حق تلاوته، وتحسينها والخشوع عندها، وإقامة حروفه في التلاوة، والذّبّ عنه لتأويل المحرفين وتعرض

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 406–407)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 519)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 509).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الطاعنين، والتصديق بما فيه، والوقوف مع أحكامه، وتفهم علومه وأمثاله، والاعتبار بمواعظه، والتفكر في عجائبه، والعمل بمحكمه، والتسليم لمتشابهه، والبحث عن عمومه وخصوصه، وناسخه ومنسوخه، ونشر علومه والدعاء إليه"[1].

فإنكار الكفار للقرآن هو الجحود وعدم الاعتراف، ووجه كون إنكار الكتب المنزلة بها كفرًا وناقضًا من نواقض الإيمان عدة أمور منها:

أ- إن هذا الإنكار تكذيب للقرآن، حيث أمر الله تعالى بالإقرار بآياته وتصديقها، وعدم اتخاذها هزوًا، وأيضًا فإنَّ الله تعالى قد حكم بالكفر على من جحد آياته، كما توعده بالعذاب المهين وأخبر تعالى أنَّه لا أحد أظلم ممن كذب بآيات الله تعالى، وأنَّهم لا تفتح لهم أبواب السماء، ولا يدخلون الجنة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الأعراف:40].

ب- إنَّ الإيمان بالكتب المنزلة يتضمن الإقرار بها وتصديقها، ولا شك أنَّ إنكارها يناقض هذا الإقرار والتصديق، فإنكار الكتب المنزلة يناقض قول القلب وهو التصديق، كما يناقض قول اللسان وهو الإقرار.

والإيمان بالكتب المنزلة يتضمن أيضًا وجوب تعظيمها وإجلالها وإكرامها، وإنَّ الاستهزاء بها لا يجتمع مع هذا التعظيم والإجلال، فهو مناقض إيمان القلب، كما أنَّه يناقض الإيمان الظاهر باللسان.

جـ- إن إنكار الكتب السماوية يتضمن إنكارًا لصفة الكلام الإلهي، ونفي هذه الصفة من الإلحاد في أسماء الله تعالى، وسوء الظن بالله تعالى، وعدم تقدير الله تعالى حق قدره.

كما أن هذا الإنكار طعن في الرسل -عليهم السلام- وتنقص لهم، وإنَّ الطعن في الرسل عليهم السلام وسبّهم من نواقض الإيمان[2].

كما أن هذا الإنكار والاستهزاء هو إنكار واستهزاء بشرائع الدين وأحكامه الإلهية المتلقاة من

(1) التبيان في آداب حملة القرآن، (ص: 164).

(2) ينظر: الموسوعة العقدية، لمجموعة من الباحثين، (6/ 448-451).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذا الوحي. عن أبى هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ)**[1].

هـ- "حكى أهل العلم الإجماع على كفر من أنكر الكتب المنزلة أو بعضها-ولو كانت آيةً واحدةً- وكذا أجمعوا على كفر المستهزئ بهذه الكتب المنزلة"[2].

قال القاضي عياض[3]: "اعلم أن من استخفّ بالقرآن، أو المصحف، أو بشيءٍ منه، أو سبّهما، أو جحده، أو حرفا منه أو آيةً، أو كذّب به، أو بشيءٍ منه، أو كذّب بشيءٍ مما صرح به فيه، من حكم، أو خبر، أو أثبت ما نفاه، أو نفى ما أثبته على علمٍ منه بذلك، أو شك في شيءٍ من ذلك فهو كافر عند أهل العلم بإجماعٍ. قال الله تعالى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:42]"[4].

وكذلك إنَّ من جحد التوارة، أوالإنجيل، وكتب الله تعالى المنزلة، أو كفر بها، أو لعنها، أو سبها، أو استخف بها فهو كافر.

---

(1) مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، ح (9479)، (15/ 288)، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب النهي عن الجدل فى القرآن، ح (4603)، (4/ 199)، قال شعيب الارنؤوط: حديث صحيح، وإسناده حسن، وقال الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح: حسن صحيح، مشكاة المصابيح، للتبريزي، (1/ 79).

(2) الموسوعة العقدية، لمجموعة من الباحثين، (6/ 451).

(3) هو: عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد اليحصبي، أبو الفضل القاضي المحدث الحافظ، ولد في سبتة من بلاد المغرب سنة 476هـ، وأصله أندلسي، كانت له اليد الطولى في كافة العلوم، من الحديث والفقه والأصول واللغة وغيرها، إمام الحديث في وقته، وأعرف الناس بعلومه، له المصنفات العديدة، التي انتفع بها الناس. توفي- رحمه الله- فى مراكش مغربا عن وطنه سنة544هـ، ينظر: وفيات الأعيان، لابن خلكان، (3/ 483)، تذكرة الحفاظ، للذهبي، (4/ 67-68)، تاريخ قضاة الأندلس، للنباهي، (ص: 101).

(4) الشفا، (2/ 250).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني
حوار بين المستضعفين والمستكبرين في الآخرة

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓاْ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:32-33].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾: المكر هو: الاحتيال والخديعة، وقد مَكَرَ به يَمْكُرُ فهو ماكِرٌ ومَكَّارٌ[(1)]. مكر الليل والنهار: أي احتيالكم وخديعتكم لنا في الليل والنهار[(2)].

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ﴾: الإسرار: خلاف الإعلان، قال تعالى: ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ [إبراهيم: 31]، والسر هو الحديث المكتوم في النفس[(3)]. وأسروا الندامة: أي كتموها، وقيل: بمعنى أظهروها[(4)].

﴿ٱلْأَغْلَٰلَ﴾: جمع غُل بالضم، وهى حلقة من حديد أو جلد يجعل في عنق الأسير أو المجرم أو في أيديهما، فلا يفلت صاحبه[(5)]. أغلالًا: أي قيودًا تشد أيديهم إلي أعناقهم[(6)].

ثانيًا- المناسبة:

لمَّا ذكر الله ﷻ في الآية السابقة وقوف المستضعفين والمستكبرين عند الله تعالى، ذكر هنا الحوار بينهم في ذلك اليوم، كيف يتراجعون، ويرجع بعضهم إلى بعض القول[(7)].

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 819)، تاج العروس، للزبيدي، (14/ 147).
(2) ينظر: التفسير الوسيط، للزحيلي، (3/ 2108)، التفسير الواضح، لحجازي، (3/ 140).
(3) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (3/ 67)، المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني، (ص: 404)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، (1/ 273).
(4) ينظر: النكت والعيون، للماوردي، (2/ 438)، الموسوعة القرآنية، للأبياري، (8/ 256)، التبيان تفسير غريب القرآن، للمصري، (ص: 344).
(5) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (2/ 1638)، المعجم الوسيط، لمجموعة من الباحثين، (2/ 660).
(6) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 296)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 210).
(7) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، للسعدي، (ص: 681).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* تجريد الفعل ﴿قَالَ﴾ عن حرف العطف في قول المستكبرين واستعماله مع قول المستضعفين في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ﴾ و ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ جيء بحرف العطف في حكاية قول المستضعفين مع أنّ المستضعفين جاوبوا بها قول الذين استكبروا، ﴿أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ لنكتة دقيقة، وهي التنبيه على أنّ قول المستضعفين هنا هي في المعنى تكملة لمقالتهم المحكية بقوله تعالى: ﴿**يَقُولُ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ**﴾ [سبأ:31]. تنبيهًا على أنَّ المستكبرين تلقفوا مقالة المستضعفين فابتدروها بالجواب بحيث لو انتظروا تمام كلامهم وأبلعوهم ريقهم لحصل ما فيه إبطال كلامهم ولكنهم قاطعوا كلامهم من فرط الجزع أن يؤاخذوا بما يقوله المستضعفون[1].
* التعبير بالفعل الماضي ﴿قَالَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ﴾ "لمزاوجة كلام الذين استكبروا، لأنَّ قول الذين استضعفوا هذا بعد أن كان تكملة لقولهم الذي قاطعه المستكبرون، انقلب جوابًا عن تبرؤ المستكبرين من أن يكونوا صدوا المستضعفين عن الهدى"[2].

رابعًا- المعنى الإجمالي:

﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَـٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم﴾ أي: قال الرؤساء جوابًا للمستضعفين أنحن منعناكم عن الإيمان والهدى، بعد أن جاءكم؟ لا، ليس الأمر كما تقولون، ﴿بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أي: بل أنتم كفرتم من ذات أنفسكم، نحن ما فعلنا بكم أكثر من أنّا دعوناكم من دون إجبار فاتبعتمونا باختيار، فلماذا تحملونا المسئولية الآن؟

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ لم يسكت المستضعفون على تهرب القادة والرؤساء من تبعة إضلالهم، فردوا عليهم بأنّهم هم الذين صدوهم عن الهدى، بتدبيرهم ووسوستهم لنا فى الليل والنهار، هو الذي صدّنا عن الإيمان، ﴿إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا﴾ أي: وقت دعوتكم لنا إلى الكفر بالله تعالى، وأن نجعل له شركاء، ولولا تزيينكم لنا الباطل ما كفرنا، ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ أي: أخفى كل من الفريقين الندامة على ترك

(1) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 207).
(2) المرجع السابق، (22/ 208).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإيمان حين رأوا العذاب، ﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ﴾ أي: وجعلنا السلاسل في رقاب الكفار زيادةً على تعذيبهم بالنار، ﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ أي: لا يجزون إلا بأعمالهم التي عملوها ولا يعاقبون إلا بكفرهم وإجرامهم، قال تعالى: ﴿قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:38][1].

خامسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

1– لا يعفي الله ﷻ الأتباع من تبعة الكفر ولذلك يعذبهم ومن يتبعونهم في النار:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُمۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًاۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:32-33].

فكلاهما في النار، فكل مسئول عن عمله، والمتبوع ليس مسئولًا عن عمله فقط، ولكنَّه مسئول عن عمل غيره كذلك، فالمتبوع صنفان: إمَّا متبوع صالح كنوح ﷺ وإمَّا متبوع فاسد كفرعون؛ فنبي الله تعالى نوح ﷺ دعا أتباعه إلى الحق فنجا ونجوا معه، قال تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ* ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ﴾ [الشعراء:119–120]، وأمَّا فرعون فدعا أتباعه إلى الباطل فهلك وهلكوا جميعًا، قال تعالى: ﴿فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص:40]، فأصبح مصير التابع متعلقًا بحال المتبوع صالحًا كان أم فاسدًا، فالمتبوع مسئول عن عمله، وقد يقول قائل: ولماذا يسأل عن عمل غيره والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾ [فاطر:18]، ويقول تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:25].

والجواب: إنَّ القرآن الكريم يؤكد على تلك الحقيقة القرآنية، التي تقرر أنَّنا لن نحاسب على ما يفعله غيرنا إلا إذا كان لنا دخل فيه من قريب أو من بعيد، فإذا كان عمل الغير مسببًا عن عملنا، فنكون نحن مسؤولين عنه، ونكون محاسبين على شيئين اثنين: على فعلنا الذي كان سببًا في فعل الغير وعلى الفعل الذي صدر عن الغير من جراء فعلنا، عن أبي هريرة ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: (مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 408–409)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/509)، التفسير المنهجي، لمجموعة من الباحثين، (8/105–106).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا)[1].

وقد نبه القرآن الكريم إلى ذلك في كثير من آياته، حيث حذر المتبوعين من آثار أعمالهم التي يقتدي الناس بها وتتسبب في ضلالهم، قال تعالى: ﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [العنكبوت:13].

إنَّ غالب ما نراه اليوم من فتن وفساد وإجرام وضلال، من أهم أسبابه: علاقة التابع بالمتبوع؛ فقد رضي التابع أن يسلم عقله وقلبه ونفسه وإرادته كرهينة وأداة يلعب بها المتبوع كيف شاء وحيث شاء، والله سبحانه وتعالى لا يريد للعبد أن يلغى عقله ويغمض عينيه أو يغلق أذنيه مهما كانت منزلة المتبوع.

فالمسئولية تضامنية على كلا الطرفين، فالكل سيقع تحت طائلة الحساب، متبوعًا كان أم تابعًا، بل سيرى الجميع يوم القيامة مشهدًا عجيبًا يذهل العقول، وهو مشهد البراءة حين يتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتَّبعوا، قال تعالى: ﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ﴾ [البقرة: 166].

أمَّا خطوات الوقاية من حبائل المخادعين، فتتمثل فيما هو ورد في الصحيحين من حديث حذيفة قال: **(كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ، مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ: تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ)**[2].

(1) صحيح مسلم، كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة، ح (2674)، (4/ 2060).

(2) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب كف الأمر إذا لم تكن جماعة، ح (7084)، (9/ 51)، صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ح (1847)، (3/ 1475).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- بطلان احتجاج الناس بعمل العلماء أو الحكماء وأشراف الناس إذا كان غير موافق لشرع الله تعالى:

قال تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُوٓاْ أَنَحۡنُ صَدَدۡنَٰكُمۡ عَنِ ٱلۡهُدَىٰ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَكُمۖ بَلۡ كُنتُم مُّجۡرِمِينَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُواْ بَلۡ مَكۡرُ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ إِذۡ تَأۡمُرُونَنَآ أَن نَّكۡفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجۡعَلَ لَهُۥٓ أَندَادٗاۚ﴾ [سبأ:23-33].

إنَّ الدين الإسلامي قائد متبع، غير تابع ولا خاضع، يقوم على هدي القرآن الكريم وهدي النبي ﷺ الذي بعثه الله تعالى للناس كافة، قال تعالى: ﴿**وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ**﴾ [سبأ: 28].

وإنّ ما نراه اليوم في واقعنا من كثرة المذاهب والأحزاب والتنظيمات المختلفة والعقائد والنظريات السياسية، سواء على صعيد الأفراد، أو الجماعات، أو الدول، أو الأمم، التي لها قيادات وأئمة ومراجع، ولها أتباع ومؤيدون يتلقّون تلك الأفكار والمذاهب، ويعملون بالأوامر والتوجيهات من القيادات والمراجع، والقادة والحكّام وزعماء الأحزاب... إلخ، بل ورؤساء العصابات ومنظّمات الجريمة السرّية يصدرون أوامرهم وتعليماتهم إلى أتباعهم، ويتلقّى الأتباع تلك الأوامر كمُسلّمات، بل وتحظى عند البعض بدرجة التقديس، وهذا دليل على موالاتهم، ومحبتهم والتشبه بهم(1). قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ)**(2).

فالذين يتبعون أوامر قياداتهم الضالة، يقودونهم إلى طريق الجريمة والدمار. ويصادرون شخصياتهم وإراداتهم فيتحوّلون إلى أدوات منفِّذة للانحراف الفكري وممارسة الجريمة والعدوان. هؤلاء هم الذين وصفهم القرآن بقوله تعالى: ﴿**وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ * رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ مِنَ ٱلۡعَذَابِ وَٱلۡعَنۡهُمۡ لَعۡنٗا كَبِيرٗا**﴾ [الأحزاب:67-68].

إنَّ هدي القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التفكير في انتمائه لهذه العقيدة، أو لهذا المذهب، أو لذلك التنظيم السياسي، أو القيادة الفكرية، أو غير ذلك من التبعية الفاسدة، فلا يتّبع إلّا القيادة التي تقوده إلي طريق الهدى والصّلاح. ويدعو القرآن الإنسان إلى أن يُفكِّر ويفهم قبل أن يتقبّل، وأن لا يُنفِّذ أمرًا ولا يطيع أحدًا إلّا بعد أن يتأكّد من صحّة الأوامر والتعليمات، وعدم مخالفتها لما أراد الله ﷻ.

---

(1) ينظر: موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، لشحود، (4/ 331).
(2) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في لبس الشهرة، ح (4031)، (4/ 44)، قال الألباني: حسن صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (2/ 1059).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنَّ واقع الأمة الإسلامية يبعث على الألم فإنَّ الكثير من قادة الأفكار والمذاهب والفتاوى، ضلّوا وأضلّوا، ونشروا الفرقة والخلاف، وجلبوا الخراب والدّمار. وكم من القادة والسياسيين دمّروا شعوبهم وأتباعهم بأوامرهم المعبِّرة عن مطامعهم الشخصية وعن أهوائهم وحماقاتهم وتهوّرهم. فكان الأتباع المُنفِّذون شركاء في الجريمة، وكانوا ضحايا لهذا الاتباع الأعمى. أولئك هم الذين وصفهم القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم:28]، فقد نعى الإسلام التقليد، وذمه، وحذر منه؛ خاصة إذا كان التقليد بلا علم ولا بصيرة ولا هدى ولا إعمالِ عقل.

ومن هذا التقليد الأعمى، الذي استلب كثيرا من الغافلين من المسلمين، احتفالات رأس السنة الميلادية عند النصارى، وغيرها الكثير التي شاعت حتى توهمها الجاهلون حقًّا مشروعًا لجميع الشعوب. وما ذلك من المسلمين إلا مظهر من مظاهر التبعية، جهلًا بالإسلام وعزته، من جهة، وبعواقب التقليد وبحقيقة من يقلدون من جهة أخرى. وترى من المقلدين من تعنيهم أعياد ومناسبات غير المسلمين أكثر مما تعنيهم أعياد وذكريات دينهم. وتولت بعض وسائل الإعلام في بلداننا الترويج والدعاية لهذه الآفة بقصد وتخطيط من بعضهم، و بجهل وغير قصد من آخرين، وذلك بالرغم من صيحات العلماء والدعاة والوعاظ الذين لا تكاد تجدي أصواتهم وكتاباتهم أمام قوة الإعلام الضال المضلل. فهل ماتت عزة الإسلام في النفوس، فماتت معها الضمائر وتبلدت العقول ؟. وما أحسن قول الشاعر حين قال:

لقد أسمعتَ لو ناديتَ حَيًّا * ولكنْ لا حياةَ لِمَنْ تُنادي!**[1].

فياليتهم يتساءلون عن حقيقة من يقلدون وهم لا يعقلون: أليسوا نصارى وقد نهانا الإسلام عن تقليدهم واتباع عقائدهم وعاداتهم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة:51].

لقد أغنى الإسلام أتباعه عن كل حاجة إلى تقليد غيرهم أو الاقتداء بهم في غير الشئون الدنيوية المادية، ورباهم على الاعتزاز بدينهم والحفاظ على صبغته، والتحلي بأخلاقه، والثقة في شريعته، فلا يبتغون بها بديلا، ولا لها تعديلا، وفي ذلك تقدير وشكر لعظيم النعمة الإلهية

(1) نسبه اليوسفي في كتابه زهر الأكم في الأمثال والحكم، إلى عز الدين المقدسي، (2/ 249)، الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، للصرصري، (2/ 655).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالإسلام، قال تعالى: ﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة:3].

ولحماية هذه الصبغة الإلهية الخالصة وصيانتها من التلاشي والضياع، كان مبدأ الولاء والبراء، الذي يحمل المسلمين على الموالاة لله تعالى وكتابه ورسوله بالمحبة والطاعة، وللمؤمنين بالأخوة والمودة، وعلى البراءة من الكفر والشرك والنفاق، قال رسول الله ﷺ: **(الْمُوَالَاةُ فِي اللهِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي اللهِ، وَالْحُبُّ فِي اللهِ، وَالْبُغْضُ فِي اللهِ)**[1].

وعلى هذه الصبغة الربانية المتميزة عاش الصحابة ﵃ والتابعون ومن تبعهم من سلف الأمة، فنالوا من الله تعالى مراتب التمكين والعزة، بريئين متبرئين من التقليد والتبعية لغيرهم، وخاصة مع اليهود والنصارى. فقد كانوا متمثلين لأحكام دينهم ومقاصده، واقفين عند حدوده، واعين بخطر التقليد والتبعية التي نهاهم الإسلام عنها وشدد في ذلك بالتحريم والوعيد، كما هو واضح صريح في القرآن الكريم والسنة النبوية في كثير من الآيات والأحاديث. من ذلك قوله تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ﴾ [المجادلة:22]، فهل بعد هذه الآيات، وغيرها، أي مجال عند المسلم للوقوع في مذلة التبعية لغير المسلمين وتقليدهم، أيًّا كانوا؟ والرسول ﷺ ينفي عن المسلم المقلد لهم صبغة الإسلام قال رسول الله ﷺ: **(لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِاليَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى)**[2]، كل ذلك وغيره من أجل تربية المسلمين على صيانة صبغة الإسلام في تدينهم والاعتزاز بها. لأنَّ في ذلك طريق عزتهم، تلك العزة التي ذاقها السلف وعاشوا عليها كراما.

---

(1) المعجم الكبير، للطبراني، (11/ 215)، قال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (1/ 497).

(2) سنن الترمذي، أبواب العلم، باب ما جاء في كراهية إشارة اليد بالسلام، ح (2695)، (5/ 56)، قال الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (2/ 956).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (34-42)

تسلية النبي ﷺ، واغترار المترفين، والوعد والوعيد

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تسلية النبي ﷺ، واغترار المترفين.

المطلب الثاني: الأرزاق بيد الله ﷻ للامتحان والابتلاء.

المطلب الثالث: الإيمان والعمل الصالح قربة إلى الله تعالى.

المطلب الرابع: مصير الكفار يوم القيامة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
تسلية النبي ﷺ، واغترار المترفين

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ*وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:34-35].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿مُتۡرَفُوهَآ﴾: التُرفة: بضم التاء هي: النَّعَمة، والطعام الطَّيِّب، وأَتْرَفَتْهُ النِّعْمَةُ: أطغتْهُ، أو نَعَّمَتْهُ، وترّفه أهله إذا نعموه بالطعام الطيب(1). مترفوها: أي متنعموها المنغمسون فى الشهوات وقادة الشر فيها(2).

ثانيًا- المناسبة:

"بعد أن ذكر الله ﷻ قول المشركين لرسوله ﷺ لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه، بعد أن طال به الأمد في دعوتهم، حتى لحقه من ذلك الغم الكثير، سلاه الله ﷻ على ما ابتلي به من مخالفة مترفي قومه له وعداوتهم إياه بالتأسي بمن قبله من الرسل-عليهم السلام- فهو ليس بدعًا، فما من نبي عليه السلام بعث في قرية إلا كذّبه مترفوها واتبعه ضعفاؤها"(3).

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* تقديم المال على الأولاد في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ قدمت الأموال على الأولاد لأنَّ الأموال في الأغلب سببٌ لكثرة الأولاد بالاستكثار من النساء، والفتنة بالمال أكثر لأنّه يعين على تحصيل الشهوات المحرمة بخلاف الأولاد(4).

رابعًا- المعنى الإجمالي:

يسلّي الله تعالى نبيه ﷺ عن إعراض قومه عن دعوته، ويأمر بالتأسي بالرسل-عليهم السلام- المتقدمين، ويخبره بأنَّه ما بعث نبيًا في قرية إلا كذبه مترفوها، واتبعه ضعفاؤهم، فقال: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ﴾ أي: لم نبعث في أهل قريةٍ رسولًا من الرسل-عليهم السلام- ينذرهم

---

(1) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (9/ 17)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي، (ص: 794).
(2) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (3/ 66)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي، (11/ 199).
(3) تفسير المراغي، (22/ 87).
(4) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (15/ 513).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عذابنا ويخوفهم عقابنا، ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ أي: إلا قال أهل الغنى والتنعم في الدنيا وقادة الشر فيها: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أي: إنَّا مكذبون بما أرسلتم به من توحيد الإله والإيمان به، ونبذ تعدد الآلهة، فلا نؤمن بكم ولا نصدقكم بما جئتم به.

ونظير هذه الآية كثير مثل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا ۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام:123]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴾ [الإسراء:16].

وهؤلاء المترفون لم يكتفوا بإعلان كفرهم، وتكذيبهم للأنبياء-عليهم السلام- والمصلحين، بل أضافوا إلى ذلك التكبر والتعالي على المؤمنين. فقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ أي: قال المترفون الذين أبطرتهم النعمة للمؤمنين الفقراء نحن أكثر أموالًا وأولادًا منكم إذ أموالنا أكثر من أموالكم، وأولادنا أكثر من أولادكم، ولولا أنَّنا أفضل عند الله تعالى منكم، لما أعطانا ما لا يعطيكم، فنحن نعيش حياتنا في أمان واطمئنان، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ أي: بشيء من العذاب الذي تعدوننا به، لا في الدنيا ولا في الآخرة، وهو دليل على محبة الله تعالى لنا ورضاه عنا، وما نحن عليه من الدين، وما كان ليعطينا هذا في الدنيا ويحسن إلينا، ثم يعذبنا في الآخرة.

ولكن هذه النظرة خطأ محض، وقياس باطل، فإن الإمداد بالأموال غالبًا ما يكون للاستدراج، كما قال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:55-56][1].

قال ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: "افتخر المترفون بكثرة الأموال والأولاد، واعتقدوا أن ذلك دليل على محبة الله لهم، واعتنائه بهم، وأنَّه ما كان ليعطيهم هذا في الدنيا، ثم يعذبهم في الآخرة، وهيهات لهم ذلك، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:55]"[2].

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 410)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 521)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 297)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 511)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (109/8).

(2) تفسير القرآن العظيم، (6/ 521).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- الترف من عوامل الصدود والإعراض عن الحق، وانهيار الأمم:

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ:34].

إنَّ وجود الطبقات المترفة يمثل خطرًا داهمًا على الأمة، وذلك لما يشيعه من الإثم والمعاصي، وكل الصفات الرذيلة فى المجتمع، كما أنَّ استقرار الأمم على أمنها وسعادتها يتطلب اتّخاذ الوسائل الممْكنة للحيلولة دون ظهور التَّرف والمُترَفين.

إنَّ المترفين في غفلة عن دين الله تعالى، فهم أشد الناس استعدادًا للوقوع فى المنكرات، والبغي على عباد الله تعالى، والترف سبب لانغماس الناس في الدنيا وغفلتهم عن الآخرة، إنَّه سبب لترك الجهاد، والتخلف عنه، وفتح الباب لغلبة الأعداء على الأمة، وسبب للتنافس والتباغض والتحاسد، والإعراض عن الدين(1).

وقد فصَّل القرآن الكريم في كثير من سوره موقف الطبقات المترفة من دعوات الرسل- عليهم السلام- فهم أول من عادى الرسل-عليهم السلام- وصدوا دعواتهم وأنكروا ما جاءوا به فكان التكذيب للدِين الذي بعث الله تعالى به أنبيائه، مِن لَدن نوحٍ ﷵ إلى خاتَم الأنبياء والمُرسَلين محمد ﷺ، فالمترفون غالبًا ما يقفون ضد دعوات الرسل لأنَّ كل الرسالات الإلهية حاربت الترف والفساد والاستغلال الذي ينعم بها المترفون.

فمنذ عهد نوحٍ ﷵ نجد هذه الطبقة المترَفة المستكبِرة تقف في وجه دعوته، مستصغِرةً شأن الذين اتَّبعوه من الفقراء الذين لا مال لَهم ولا جاه، ويطلبون منه أن يطرد هؤلاء الأراذل في رأيهم؛ قال تعالى: ﴿فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ [هود:27]، واستمر هذا الموقف من العناد والصدِّ إلى بعثة النبيِّ محمد ﷺ فكانوا أوّل المكذِّبين المعارضين، فوجَّه القرآن لهم وعيدَه في عدد من السّور المكية.

(1) ينظر: نظرة القرآن الكريم إلى الترف والمترفين، للباحثة: مريم صالح، رسالة ماجستير، (ص: 402-419).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالترف له أخطار جسيمة، ونتائج وخيمة على حياة الفرد والأسرة والمجتمع، فالذي يبحث عن سقوط كثير من الأمم يجد أنَّ نتيجة هذا السقوط هو الترف المتزايد.

فالأمة إذا بلغت منزلة من الرقي والحضارة والقوة فهي حينئذ تطمئن على أنَّها في مأمن من كل خطر، وتغتر برقيها وحضارتها وقوتها، فتبدأ عندئذ بالترف فينتج عن ذلك الفساد.

فالتَّرَف مفسد للفرد؛ لأنَّه يشغله بشهواتِ بطنه وفَرْجِه، ويلهيه عن معالي الأمور ومكارم الأخلاق، كما أنَّه يقتل فيه روحَ الجهاد والجد، ويجعله عبدًا لحياة الدَّعة والرفاهية، وفي هذا يقول الرسول ﷺ: **(تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ[1])**[2].

كما أن التَّرف مفسدٌ للجماعة، مهدد بانْهيارها، ولهذا قرَنه القرآن الكريم بالظُّلم والإجرام؛ وسر ذلك أنَّ الأقلية المترفة تسرق بترفها حقوقَ الأكثريَّة المَحرومة؛ ظلمًا، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَآ أُتْرِفُواْ فِيهِ وَكَانُواْ مُجْرِمِينَ﴾ [هود:116]. ومن هنا كان الترف في نظر القرآن الكريم من أقوى أسباب الانْحِلال الاجتماعي، خاصة إذا كثر المترفون، وأصبحوا من ذوي الجاه والسّلطان، وقد بيَّن القرآن هذه السّنة الاجتماعية في قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾ [الإسراء:16]. يقول ابن عاشور:

"تعليق الأمر بخصوص المترفين مع أن الرسل–عليهم السلام– يخاطبون جميع الناس، لأن عصيانهم الأمر الموجه إليهم هو سبب فسقهم وفسق بقية قومهم إذ هم قادة العامة وزعماء الكفر فالخطاب في الأكثر يتوجه إليهم، فإذا فسقوا عن الأمر اتبعهم الدهماء فعم الفسق أو غلب على القرية فاستحقت الهلاك"[3].

كما أنَّ الإغراق في التنعم والتَّرف سبب لِنزول بلاء الله تعالى وعقابه، والحرمان من النّصر؛ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ * لَا تَجْـَٔرُواْ ٱلْيَوْمَ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾ [المؤمنون:64–65]، لذلك نجد الإسلام قد حرَّم بعض الأشياء التي تعد أمثلة بارزة للتَّرَف، كتحريم الأكل في أواني الذهَب والفضة، ولبس الحرير والديباج، وتحريم ملابس الحرير بالنسبة للرجال. والإسلام عندما يدعونا إلى ترك الترف، فإنَّه لا يعني ترك النعم والملذات،

---

(1) القطيفة: هو دثار مخمل والدثار ما يلبس فوق الشعار والشعار ما لامس الجسد من الثياب. والخميصة: كساء أسود مربع له خطوط، ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعينى، (14/ 171)

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يتقى من فتنة المال، ح (6435)، (8/ 92).

(3) التحرير والتنوير، (15/ 55).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعدم الاستمتاع بها، وإنّما المراد الاقتصاد في الإنفاق وعدم تعلق القلب بالملذات والركون إليها، وإلا فإنَّ النبي ﷺ الذي حذر من الترف وأحوال المترفين قد قال: (**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**[1])[2].

وقال أيضًا ﷺ: (**فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَكَرَامَتِهِ**)[3].

2- التحذير من الاغترار بالأموال والأولاد:

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:35].

يغتر بعض الناس بما لديهم من أموال وأولاد، ويظنون أنَّهم أرفع وأفضل من غيرهم في الدنيا، وأحسن حالًا وعاقبة في الآخرة، فالغرور باعث على التورط فى الشبهات، واقتراف المحارم والآثام، كاكتسابه بوسائل ممنوعة، أو منع الحقوق الإلهية المفروضة عليهم، أو إنفاق المال في أشياء محرمة، فهؤلاء خدعتهم الأموال والأولاد التي تفاخروا بها، فصرفتهم عن الله تعالى فلم يذكروه ولم يشكروه فاستوجبوا غضبه وعقابه. ولم يدروا أنَّ المال والولد عرض زائل وظل مائل، وأنَّ الخير الباقي هو اتباع سبيل الهدى والعمل الطيب، وقد انخدع أعداء المسلمين في بداية عهد الإسلام وسيطر عليهم الغرور بالمال وكثرة الولد والاعتزاز بالقبيلة، وردّ الله ﷻ عليهم في مواضع كثيرة في القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ وَقُودُ ٱلنَّارِ * كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ * قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ * قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ ٱلۡتَقَتَاۖ فِئَةٞ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخۡرَىٰ كَافِرَةٞ يَرَوۡنَهُم مِّثۡلَيۡهِمۡ رَأۡيَ ٱلۡعَيۡنِۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصۡرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [آل عمران:10-13]، وقد حذر الله تعالى كثيرًا من الاغترار بالمظاهر الزائفة البراقة الخداعة التي اغترَّ بها من جهِلوا قدرة الله تعالى، وظنوا أنّهم لا يُعذَّبون وبيَّن الله ﷻ أنَّ المال والبنين زينة دنيوية يتجمل بها الإنسان ساعة ثم يذهبان، فلا يبقى إلا العمل الصالح.

---

(1) بَطرُ الحق: جحده ودفعه، غَمْط: احتقار، ينظر: فتح الباري، لابن حجر، (10/ 260).

(2) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه، ح (147)، (1/ 93).

(3) سنن أبي داود، كتاب اللباس، باب في غسل الثوب، ح (4063)، (4/ 51)، قال الألباني في تحقيقة لمشكاة المصابيح: صحيح، مشكاة المصابيح، للتبريزي، (2/ 126).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني
الأرزاق بيد الله ﷻ للامتحان والابتلاء

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:36].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿يَبْسُطُ﴾: البسط هو: امتداد الشيء، في عرض أو غير عرض. فالبساط ما يبسط. وبسط الشيء نشره، يقال: يَدُ فلانٍ بِسْطٌ: إذا كان منفقًا، والبسطة في كل شيء السعة[1]. يبسط: أي يوسع الرزق على من يشاء[2].

﴿وَيَقْدِرُ﴾: قُدِرَ عَلَى الإنسان رِزْقُه قَدْرًا أي: ضيق[3]. يقدر: أي يضيق على من يشاء[4].

ثانيًا- المناسبة:

لما قال المترفون للمؤمنين الفقراء ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ بشيء من العذاب الذي تعدوننا به لا في الدنيا ولا في الآخرة. رد الله تعالى عليهم بأنَّ الله ﷻ هو الذي يفاضل بين عباده في الأرزاق امتحانًا لهم، فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الآخرة، فلا تظنوا أنَّ أموالكم وأولادكم تغني عنكم شيئا، والرزق في الدنيا لا تدل سعته وضيقه على حال المحق والمبطل، فكم من موسر شقي ومعسر سعيد[5].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* الطباق بين: ﴿يَبْسُطُ﴾ و ﴿وَيَقْدِرُ﴾.
* التعبير باللفظين بصيغة الفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿يَبْسُطُ﴾ و﴿وَيَقْدِرُ﴾ للتجدد والاستمرار.

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (3/ 1116)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (1/ 247).
(2) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (3/ 75)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (4/ 453).
(3) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 787).
(4) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 410).
(5) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 198).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* التعبير عن سعة الرزق بـ ﴿يَبْسُطُ﴾، وقلّته بـ ﴿يَقْدِرُ﴾، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ استعير لتكثير الرزق وتيسيره لفظ ﴿يَبْسُطُ﴾، لأنَّ المبسوط تكثر مساحة انتشاره، واستعير لعسر الرزق وتحصيله وقلة مساحته لفظ ﴿وَيَقْدِرُ﴾ لأنَّ الشيء القليل يسهل عده وحسابه[1].

رابعًا– المعنى الإجمالي:

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ أي: قل لهم يا محمد ﷺ إنَّ الله ﷻ هو الذي يبسط الرزق ويوسعه ويضيقه على من يشاء من مؤمن وكافر حسب اقتضاء مشيئته المبنية على الحكم البالغة، فلا يقاس على ذلك أمر الثواب والعقاب، اللذين مناطهما الطاعة وعدمها، فليس فى التوسيع دلالة على الإكرام، كما أنَّه ليس فى التضييق دلالة على الإهانة وفى الحديث عن الرسول ﷺ: **(لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا)**[2].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وهم أهل الغفلة والخذلان لا يعلمون حكمة البسط والقدر فيزعمون أنَّ مدار البسط هو الشرف والكرامة ومدار التقتير هو الذل والهوان وما علموا أنَّ البسط كثيرا ما يكون بطريق الاستدراج والتقتير يكون للابتلاء ورفع الدرجات[3].

خامسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

البسط والتضييق بيد الله ﷻ للامتحان والابتلاء:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:36].

اقتضت حكمة الله تعالى ومشيئته في أمر الرزق أن يتفاوت الناس في أرزاقهم بسطًا وتضييقًا، فمنهم من بسط الله تعالى له في الرزق، ومنهم من قُدر عليه رزقه، وذلك لحكمة إلهية شريفة سامية عظيمة عند الله ﷻ.

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 214).
(2) سنن ابن ماجه، كتاب الزهد، باب مثل الدنيا، ح (4110)، (2/ 1376). قال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (2/ 937).
(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 410)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 522)، التفسير الواضح، لحجازي، (3/ 143).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالتفاوت فى الأرزاق بقدر من الله تعالى وحكمة، ولا علاقة لذلك بما عليه الناس في أحوالهم من حيث القوة والضعف، والعلم والجهل، والذكاء والبلادة، فمنهم الغني، ومنهم الفقير، ومنهم الموسع عليه في رزقه، ومنهم المقدور عليه، وليس معنى هذا إهمال مواهب الأفراد ونشاطهم في تلمس أسباب الرزق، فأمر الرزق يظل متفاوتًا بين الأفراد والجماعات، قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف:32].
وقال رسول الله ﷺ: **(دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ)**[1].

فهذه الآية الكريمة وحديث رسول الله ﷺ تبين بكل وضوح أنَّ تفاوت الناس في معاشهم ورزقهم أمر قدري من الله تعالى، "والذي خلق الحياة وأراد لها البقاء والنمو، خلق الكفايات والاستعدادات متفاوتة تفاوت الأدوار المطلوب أداؤها. وعن هذا التفاوت في الأدوار يتفاوت الرزق"[2].

والإسلام العظيم بقدر ما هو نظام متكامل شامل للحياة كلها، فهو أيضًا منهج عقدي واضح يغرس في نفوس المسلمين عقيدة التوحيد لله تعالى، ويربيهم عليها اعتقادًا، وقولًا، وعملًا، ومن ثَمَّ فإنّ المسلم المتربَّى على عقيدة التوحيد تتضح في نفسه قضية الرزق بجميع أبعادها وأجزائها جلية لا غبش فيها، ويجد في نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية القول الفصل، فينشأ عن ذلك الطمأنينة والأنس بموعود الله تعالى، فتتكامل بذلك نفس المسلم عقديًّا وتربويًّا، ومن شأن ذلك أن يسهم في وجود المجتمع الإسلامي المتربَّى على هدي القرآن الكريم والسنة النبوية.

ولا يحقد على غيره ممن بسط الله تعالى له في الرزق، كما أنه لا يطغى حين يبسط له في رزقه، وإنما يبتغي في الحالين السبيل لتربية نفسه على طريق العبودية لله تعالى، وأداء الحق فيما أعطاه، ويرى أنَّ رحمة الله سبحانه خير من كل ما يجمعه الناس من حطام الدنيا الفاني، وأنَّ ستر الله ﷻ وإكرامه ليس في كثرة الرزق، وليست كثرته دليلًا على كرامة صاحبه عند الله تعالى، ومحبته له، كما أن قِلّته ليستْ دليلًا على عدم فضل صاحبه وكرامته عند الله سبحانه، فالكرامة والستر وسواهما ليستْ في ذات الرزق الكثير، ولكنها بيد الله تعالى يعطيها من شاء من عباده. ويتميز المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات الإنسانية الأخرى بأنَّه مجتمع يعيش ويحيا وفق هدي الإسلام العظيم، لا وفق الأهواء والنزغات، وعلى ذلك فالغنيُّ في هذا المجتمع غني شاكر،

(1) صحيح مسلم، كتاب البيوع، باب تحريم بيع الحاضر للبادي، ح (1522)، (3/ 1157).
(2) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 3187).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والفقير فيه فقير صابر، وكلاهما يحترم الآخر ويحبه، فلا مكان في هذا المجتمع لما يسمى بـ "حتمية الصراع الطبقي" التي يمكن أن توجد في مجتمعات لا تهتدي بهدي الإسلام، فتكتوي بنيران الأحقاد، والفوضى.

ولقد تشكل المجتمع المسلم الأول في المدينة من أغنياء وفقراء، وكان عثمان بن عفان ﷺ من أغنياء ذلك المجتمع، وكانت تُناخ أمام بيته مئات الركائب[1]، وقد جهَّز مرة جيشًا كاملًا من ماله في إحدى الغزوات. فلم يطغ عثمان بن عفان ﷺ وغيره من الأغنياء من الصحابة ﷺ بأموالهم، بل كان جميعهم على بساط المودة، والمحبة، والإخاء، يقاتلون عدوهم صفًّا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص، ويصُفُّون في صلاتهم يتزاحمون على صفوفها لا فرق بينهم، وهم في مجلس رسول الله ﷺ يتلقون العلم لا فرق بين غني أو فقير، وليس معنى ما تقدم أنَّ الإسلام يدعو الفقراء في المجتمع المسلم لأن يستسلموا للفقر، ولا يجتهدوا في تلمس أسباب الرزق، بل العكس هو الصحيح تمامًا، فالإسلام يدعو أتباعه للعمل وبذل الجهد والأخذ بالأسباب، وينهى عن الكسل وعدم التكسب، ولم يجعل الله تعالى للرزق سببًا واحدًا، بل نوعها وجعلها أسبابًا متعددة، حكمة منه ورحمة وقدْرًا[2].

المطلب الثالث
الإيمان والعمل الصالح قربة إلى الله تعالى

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ * وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ * قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:37-39].

أولاً- المعانى اللغوية:

﴿زُلۡفَىٰٓ﴾: اسم مصدر، وهي تدل على اندفاع وتقدم في قرب إلى شيء. يقال: ازدلف الرجل: أي تقدم، ويُقَالُ: لِفُلَانٍ عِنْدَ فُلَانٍ زُلْفَى، أَيْ قُرْبَى. وَالزَّلَفُ وَالزُّلْفَةُ: الدَّرَجَةُ وَالْمَنْزِلَةُ[3]. زلفى: أي القربة

---

(1) الركائب: الإبل المركوبة، ينظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (1/ 368).

(2) ينظر: الرزق فى القرآن، للصادق، (ص:276-285).

(3) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (3/ 21)، الكليات، للكفوي، (ص: 778).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمنزلة[1].

﴿ٱلْغُرُفَٰتِ﴾: مفردها غرفة، وهي فى اللغة: العليَّة من البناء[2]. الغرفات: أي وهم في غرفات الجنات آمنون من الموت، والهرم، والأمراض، والعدو وغير ذلك من الآفات[3].

﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: يقال: عاجز فلان ذهب فلم يوصل إليه ولم يقدر عليه، يقال: طلبته فعاجز: سبق فلم يدرك، يقال: عاجز عن الحق إلى الباطل[4]. معاجزين أي: مسابقين ظانين أنهم يفوتوننا[5].

﴿مُحْضَرُونَ﴾: نقيض الغيبة، يقال: فلان حاضر بموضع كذا، أي مقيم به[6]. محضرون: أي تحضرهم الزبانية إلى جهنم يوم القيامة[7].

﴿يَبْسُطُ﴾: يوسع[8].

﴿وَيَقْدِرُ﴾: يضيق[9].

ثانيًا– المناسبة:

بعد أنّ بيَّن الله ﷻ أنَّه هو الذي يبسط الرزق ويضيقه على من يشاء من عباده، فسعة الرزق في الدنيا لا تدل على سعادة الآخرة، ردّ على المترفين في هذه الآيات أنَّ الزلفى عنده ليست بكثرة المال والولد، بل بالإيمان والعمل الصالح[10].

---

(1) ينظر: الصحاح في اللغة، للجوهري، (4/ 56)، لسان العرب، لابن منظور، (9/ 138)، جامع البيان، للطبري، (20/ 411).
(2) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (8/ 4924).
(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 412)، بحر العلوم، للسمرقندي، (3/ 76).
(4) ينظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (2/ 585).
(5) ينظر: مدارك الترتيل وحقائق التأويل، للنسفي، (3/ 146).
(6) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 632)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (3/ 1488).
(7) ينظر: جامع البيان ، للطبري، (19/ 298)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1062).
(8) ينظر: (ص:76)، من هذه الرسالة.
(9) ينظر: (ص: 76)، من هذه الرسالة.
(10) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 89)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 198).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* الإيجاز في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ إيجاز بالحذف، حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه، أي وما أموالكم بالتي تقربكم، ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا(1).

* التعبير ﴿بِٱلَّتِي﴾ دون اللتين فى الأموال والأولاد مع أنهما نوعان مختلفان في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ﴾ لأنَّ كل نوع منهما ﴿أَمۡوَٰلُكُمۡ﴾ و﴿أَوۡلَٰدُكُم﴾، جمع يصلح فيه استخدام التي(2).

* المقابلة بين عاقبة الأبرار والفجار في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾.

* التعبير بالمضارع بـ ﴿يَسۡعَوۡنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ بيانًا لحال من يبعده ماله وولده من الله تعالى، أي يجددون السعي من غير توبة بأموالهم وأولادهم(3).

* الطباق بين: ﴿ يَبۡسُطُ ﴾ و ﴿وَيَقۡدِرُ ﴾.

* التشابه في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [سبأ:36]، وقوله تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:39] قد يبدو أنَّ هذا تكرارًا لكن الذى مَنَّ الله تعالى عليه بالعلم والفهم يلاحظ أنَّ الآية الأولى جاءت ردًا على الكفّار الذين كانوا يتفاخرون بأنَّهم أكثر أموالًا من المؤمنين ويعتبرونه مقياسًا للأفضلية، بينما الآية الثانية وردت لترغيب المؤمنين بالإنفاق والطاعات، فالقصد مختلف في الآيتين(4).

* تقديم المسند إليه على المسند الفعلي في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ﴾ قدم المسند إليه ﴿فَهُوَ﴾ على المسند الفعلي ﴿يُخۡلِفُهُۥۖ﴾، لأنَّه في هذا الموضع يحث على الإنفاق،

(1) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 515).
(2) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 411).
(3) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (15/ 516).
(4) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني، (ص: 209)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (4/ 423)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (2/ 168).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فكان لا بد من زرع بذور القوّة فيه، والتأكيد على حسن الجزاء الذي ينتظر المنفقين، فجاء النظم بتقديم المسند إليه، على المسند الفعلي، وهذا يفيد العنايةَ والتخصيص لأن المُخاطب لمّا يعلم أنَّ الذي يُخلف ما ينفق هو الله ﷻ، سيكون ذلك حافزًا له على المسارعة في صنع هذا المعروف، ومن أكرم من الله تعالى وأبرّ، وهو خير الرّازقين؟[1].

رابعًا- الإعراب:

* قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ تحتمل ﴿مَنْ﴾ وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: اسم موصول في محل نصب على الاستثناء وفيه وجهان:

أ- منقطع، على معنى: لكن من آمن.

ب- متصل، مستثنى من الضمير المنصوب في: ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾ على معنى: أنَّ الأموال لا تقرب أحدًا إلا المؤمن الصالح الذى ينفقها في وجوه الخير، والأولاد لا تقرب أحدًا إلا من علّمهم الخير، وفقههم في الدين.

الوجه الثاني: اسم موصول في محل رفع على الابتداء، وما بعده خبر.

ويرى ابن جزي: أنَّ الأحسن أنَّه في محل نصب مستثنى متصل من ضمير الخطاب في ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾[2].

خامسًا- القراءات:

* قوله تعالى: ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾ فيهما قراءتان.

أ- قرأ رويس بالنصب على الحال مع التنوين وكسره وصلا ورفع الضعف بالابتداء ﴿جَزَآءً ٱلضِّعْفُ﴾.

ب- وقرأ الباقون بالرفع من غير تنوين وخفض الضعف بالإضافة ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ﴾[3].

- وحجة من قرأ ﴿جَزَآءً ٱلضِّعْفُ﴾ قولان:

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 220).

(2) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (2/ 1070)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (2/ 168)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، (9/ 194).

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 351).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأول: أنّ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ، و﴿لَهُمۡ﴾ خبر، و﴿ٱلضِّعۡفُ﴾ بدل من موقع: ﴿لَهُمۡ﴾ و﴿جَزَآءً﴾ حال، والعامل فيها الاستقرار، وما في ﴿لَهُمۡ﴾ من معنى الفعل.

الثاني: أنّ ﴿جَزَآءً﴾ حال كذلك، و﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ مبتدأ أول، و﴿ٱلضِّعۡفُ﴾ مبتدأ ثان، و﴿لَهُمۡ﴾ خبر لـ ﴿ٱلضِّعۡفُ﴾ والجملة خبر المبتدأ الأول.

– وحجة من قرأ ﴿جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ﴾ أنّ ﴿جَزَآءُ﴾ مضاف على أنّه مصدر مضاف لمفعوله؛ والتقدير: (يجازيهم الله الضعفَ) على المبني للمعلوم، أو على البناء للمجهول (يُجزون الضعفَ)[1].

– الجمع بين القراءتين: القراءتان تفيدان أنّ الأموال والأولاد لا تقرب عند الله ﷻ، وإنّما الذي يتقرب به هو الإيمان والعمل الذي يجازيهم الله ﷻ عليه جزاء الضعف بما عملوا. والله أعلم.

* قوله تعالى: ﴿ ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ فيها قراءتان.

أ– قرأ حمزة بسكون الراء وحذف الألف بعد الفاء على التوحيد ﴿ٱلۡغُرۡفَةِ﴾.

ب– وقرأ الباقون بضم الراء وإثبات الألف بعد الفاء على الجمع ﴿ٱلۡغُرُفَٰتِ﴾[2].

– وحجة من قرأ بالتوحيد قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ﴾ [الفرقان:75]، فكما أنّ الغرفة يراد بها الجمع والكثرة، كذلك ﴿ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ يراد به الكثرة، واسم الجنس. والعرب تجتزئ بالواحد عن الجماعة قال الله تعالى: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة:17]، يريد الملائكة.

– وحجة من قرأ بالجمع قوله تعالى: ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾ [الزمر:20]. لأنّهم أصحاب الغرف جماعات كثيرة، فلهم غرف كثيرة[3].

---

(1) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي، (ص: 256)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 160)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، (2/ 308).

(2) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 351).

(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 295)، حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 590)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي، (208/2)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 160).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– الجمع بين القراءتين: الرسم محتمل للقراءتين، القراءة بالتوحيد على إرادة الجنس؛ لأنَّه معلوم أنَّ لكل واحد غرفة تخصه في الجنة، ففي الجنان غرف كثيرة[1].

* قوله تعالى: ﴿مُعَاجِزِينَ﴾ فيها قراءتان.

أ– قرأ ابن كثير وأبو عمرو بتشديد الجيم من غير ألف ﴿مُعَجِّزِينَ﴾.

ب– وقرأ الباقون بالتخفيف والألف ﴿مُعَاجِزِينَ﴾[2].

– وحجة من قرأ بتشديد الجيم من غير ألف: أي مثبطين لمن أراد اتباع النبي ﷺ، أو مكذبين، وهذا يتعلق بالنبي ﷺ والمؤمنين معًا.

– وحجة من قرأ بالتخفيف والألف: أنَّه أراد متسارعين، أو معاندين، ويتعلق هذا الإعجاز بآيات الله ﷻ[3].

– الجمع بين القراءتين: القراءتان تبين لنا أنَّ الكفار يحاولون تثبيط النبي ﷺ والمؤمنين بتعجزيهم بالمجادلات والمعاندة والتكذيب والشقاق له ﷺ[4].

* قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ و ﴿وَهُوَ﴾ فيهما قراءتان[5].

سادسًا– المعنى الإجمالي:

﴿وَمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُم بِٱلَّتِي تُقَرِّبُكُمۡ عِندَنَا زُلۡفَىٰٓ إِلَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَزَآءُ ٱلضِّعۡفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمۡ فِي ٱلۡغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ أمر الله ﷻ محمدًا ﷺ أن يقول لهؤلاء المترفين: إنَّ أموالكم التي تفاخرون الناس بها، وأولادكم الذين تستكبرون بهم على الناس، لا تقربكم من الله تعالى، وليست دليلًا على عنايته بكم، والله تعالى يضاعف لمن آمن وعمل صالحا جزاء عمله، فيجزيه بالحسنة عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، ويدخله الجنة، ويجعل مسكنه في غرفاتها العالية، وهو آمن من كل خوف وشر.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ أمَّا الذين يسعون في معارضة آيات الله تعالى، وتعجيز أنبيائه ورسله الكرام، ويصدون الناس عن اتباع سبيل الله تعالى، واتباع ما جاء به رسوله الكريم، وعن الإيمان بآيات الله والتصديق بها. فأولئك تحضرهم ملائكة

---

(1) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، (9/ 195).
(2) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 327).
(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 254)، الحجة للقراء السبعة، للفارسي، (5/ 284)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 70).
(4) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 379).
(5) ينظر: (ص:42)، من هذه الرسالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

العذاب إلى جهنم ليدخلوها، ويذوقوا العذاب فيها، جزاء لهم على كفرهم، وسعيهم في منع الناس عن الإيمان بالله تعالى، وبما جاء به الرسول ﷺ.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: قل يا محمد ﷺ للناس إنّ الله تعالى هو الذي يقسم الرزق بين الناس، فيوسع على من يشاء من عباده حينا، ويضيق عليه حينًا آخر لحكمة يراها، فلا تخشوا الفقر، وأنفقوا في سبيل الله تعالى، وتقربوا إليه بأموالكم لتنالوا رضاه، وما أنفقتم من نفقة في وجه أمركم الله ﷻ بالإنفاق فيه، أو أباحه لكم، فهو يعوضها عليكم بدلًا منها مالًا في الدنيا، وثوابًا في الآخرة، والله تعالى خير الرازقين، فيرزقكم من حيث لا تحتسبون. عَنْ أَبِي هريرة ﷺ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)**(1).

فليطمئن كل إنسان على رزقه، فكل ما تنفقونه أيها الناس في فعل الخير، فالله ﷻ يعوضه عليكم بالبديل في الدنيا، أو بالجزاء في الآخرة، والله ﷻ هو الرازق في الحقيقة، وما مساعي الناس إلا وسائط وأسباب، وهذا تزهيد في الدنيا، وترغيب في عمل الخير، والإنفاق في مرضاة الله تعالى(2).

سابعًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- ما يقرب إلى الله ﷻ ويدني منه هو الإيمان والعمل الصالح، وليس الأموال والأولاد:

بيَّن الله ﷻ أنَّ الإيمان والعمل الصالح هو الذي يبقى، وما عداه من متاع الدنيا وزينتها زائل لا نفع فيه، كما ورد في هذه السورة، وأيضًا قوله تعالى: **﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾** [الكهف: 46].

ففي هذه الآية ردّ على الرؤساء وطلاب الدنيا الذين كانوا يفتخرون بالمال والغنى والأبناء فأخبرهم سبحانه أنَّ ذلك مما يتزين به في الدنيا لا مما ينفع في الآخرة، وبيَّن أنَّ أعمال الخير أفضل من هذه الزينة بالمال والبنين ثوابًا، وأكثر عائدة ومنفعة لأهلها.

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب قول الله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ * وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:5-10]، ح (1442)، (2/ 115)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب المنفق والممسك، ح (1010)، (2/ 700).

(2) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 411-412)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 522)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1062)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (8/110).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والإقبال على فعل الطاعات والأعمال الصالحات، والتفرغ للعبادة خير من الاشتغال بمتاعها الزائل. ثم إنَّ خيرات الدنيا منقضية، وخيرات الآخرة دائمة باقية، والدائم الباقي خير من المنقضي. فالمال والبنون زينة دنيوية، يتجمل بها الإنسان ساعة ثم يذهبان، فلا يجوز الاغترار بهما، بحيث يصبحان همّ الإنسان في الحياة الدنيا فيصرفانه عن طلب سعادة الآخرة بالإيمان وصالح الأعمال[1]. فالدنيا يتزين بها الإنسان، وهي تفنى وتزول، وأعمال الخيرات من صيام وصلاة وقيام وحج وغيرها هي التي تبقى، وهي النفع.

2- من يسعى في إبطال آياتنا محضر في جهنم لا محالة:

لا زالت الافتراءات تتناقل إلى يومنا هذا، فاللاحق يردد قول السابق، والخلف يأخذ عن السلف، بل وتتطور بتطور الزمان، فمن قائل: إنَّ محمدًا ألف القرآن من تلقاء نفسه، ومن قائل: إنَّ القرآن انتحله محمد ﷺ من كتب اليهود والنصارى، إلى غيرها من المفتريات. وعلى مر التاريخ والأزمنة، ورغم اجتماعهم وتوحدهم للتشكيك في القرآن والطعن فيه، إلا أنَّ المحاولات كلها باءت بالفشل الذريع، ورجعوا على أعقابهم خائبين، بل كان الاعتراف بلسانهم على صدق القرآن، وأنَّه لا يمكن أن يصدر من بشر فهذا الوليد بن المغيرة عندما قال الكفار عن النبي ﷺ إنَّه كاهن، وساحر، ومجنون، أنكر قولهم وقال كلمة مشهورة حيث قال: "وَاَللَّهِ إنَّ لِقَوْلِهِ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ أَصْلَهُ لَعَذِقٌ [4] ، وَإِنَّ فَرْعَهُ لَجُنَاةٌ"[2]. فهذا الأثر وغيره عن الأعداء تكشف حقيقة القرآن الكريم لديهم، وأنَّه وحي من عند الله سبحانه وتعالى لا مرية فيه ولا شك، والمسلمون لا يحتاجون في إثبات ذلك إلى أقوال هؤلاء وأمثالهم، بل هم متيقنون من ذلك تمام التيقن، لا يخالج صدورهم أي ريب فيه. ولكن مع تيقن أعداء الدين من هذا -في الغالب- إلا أنَّهم يكابرون ويعاندون ويبثون شبههم ودعواهم، فلذلك توعدهم الله تعالى قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ﴾ [سبأ:38].

3- وعد الله تعالى بالخَلف لكل من أنفق في سبيله:

وعد الله ﷻ في كتابه العزيز أنَّ ما ينفقه الإنسان، فإنَّ الله ﷻ يخلفه عليه، يعطيه خلفًا عنه، وهذا يفسره قول الرسول ﷺ: **(مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا)**[3].

---

(1) ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري، (3/ 261).
(2) سيرة النبوية، لابن هشام، (1/ 270).
(3) سبق تخريجه والحكم عليه، ينظر: (ص: 85)، من هذه الرسالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمراد بذلك: من يمسك عما أوجب الله تعالى عليه من بذل المال فيه، وليس كل ممسك يُدعى عليه، بل الذي يمسك ماله عن إنفاقه فيما أوجب الله تعالى، فهو الذي تدعو عليه الملائكة بأنَّ الله ﷻ يتلفه ويتلف ماله(1). وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ أي: مهما أنفقتم من شيء فيما أمركم به وأباحه لكم، فإنَّه يخلفه عليكم في الدنيا بالبدَل، وفي الآخرة بحسن الجزاء والثواب، فأكد هذا الوعد بثلاث مؤكدات تدل على مزيد العناية بتحقيقه، أكد بصيغة الشرط، وبجعل جملة الجواب اسمية، وبتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي ثم أتبع ذلك بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ لبيان أنَّ ما يُخْلِفه على العبد أفضل مما ينفقه(2).

ومما يدل على أنَّ الصدقة بوابة للرزق ومن أسباب سعته واستمراره وزيادته، وبركتها، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7]، والصدقة غايةٌ في الشكر، وفي مقابل ذلك جاءت أحاديث عديدة تردُّ على من ظن أن الصدقة منقصة للمال، جالبة للفقر، وتبين أن الشح والبخل هو سبب حرمان البركة وتضييق الرزق، منها قول الرسول ﷺ: **(ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ قَالَ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا)**(3).

إضافة إلى أنَّ الواقع والتجربة المشاهدة المحسوسة، تثبت أنَّ المعونة تأتي من الله ﷻ على قدر المؤونة، وأنَّ رزق العبد يأتيه بقدر عطيته ونفقته، فمن أَكثر أُكثر له، ومن أقل أُقِل له، ومن أمسك أُمسِك عليه، وهو أمر مجرب محسوس، والقضية ترتبط بإيمان العبد ويقينه بما عند الله تعالى.

---

(1) ينظر: شرح رياض الصالحين، للعثيمين، (402/3).

(2) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 220).

(3) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر، ح (2325)، (4/ 562)، قال الألباني: صحيح، صحيح وضعيف الجامع الصغير، للألباني، (12/ 282).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع
مصير الكفار يوم القيامة

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ * قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ * فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ:40-42].

أولًا- المناسبة:

بعد أن بيَّن الله تعالى أنَّ حال النبي ﷺ كحال من تقدمه من الأنبياء، وحال قومه كحال من تقدم من الكفار، وبيَّن لهم خطأ اعتمادهم على كثرة الأموال والأولاد، وردَّ عليهم بأنَّ كثرة الأموال والأولاد لا صلة لها بمحبة الله تعالى ولا سخطه، أردف ذلك ببيان ما يكون من حالهم يوم القيامة من التقريع والتوبيخ، بسؤال الملائكة أهم كانوا يعبدونكم؟ إهانة لهم ثم بيَّن أنهم كانوا ينقادون لأمر الجن، وأنَّ ما كانوا يعبدونه لا ينفعهم(1).

ثانيًا- وجوه البلاغة:

* تخصيص الملائكة بالذكر، مع أنَّ بعض الكفار قد عبدوا غير الملائكة، كالأصنام والشياطين وذلك في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾ لأنَّهم أشرف معبودات المشركين(2).

* الاستفهام التقريري في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾ الله ﷻ يعلم أنَّ هؤلاء كانوا يعبدون الملائكة، فالسؤال هنا لإفادة معنى التقرير المُرادِ منه تقريع المشركين وتبكيتهم، بما يُقيم الحُجَّة عليهم، يقول الزمخشري: "هذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار، وارد على المثل السائر: (إيّاك أعنى واسمعي يا جاره)، ونحوه قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: 116]. وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين بُرآءً مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق

---

(1) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 91)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 201).

(2) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 380)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي، (11/ 204).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التقرير، والغرض أن يقول ويقولوا، ويسأل ويجيبوا، فيكون تقريعهم أشدّ. وتعييرهم أبلغ، وخجلهم أعظم وهو أنَّه ألزم، ويكون اقتصاص ذلك لطفًا لمن سمعه، وزاجرًا لمن اقتص عليه"[1].

* الطباق بين: ﴿نَّفۡعًا﴾ و ﴿ضَرًّا﴾.

* تقديم النفع على الضر في قوله تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعًا وَلَا ضَرًّا﴾ يقول ابن عاشور قدم النفع في حيز النفي: "تأييسا لهم لأنهم كانوا يرجون أن يشفعوا لهم يومئذ"[2].

ثالثًا- القراءات:

* قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ فيهما قراءاتان.

أ- قرأ حفص ويعقوب بياء الغائب فيهما ﴿يَحۡشُرُهُمۡ﴾ و ﴿يَقُولُ﴾.

ب- وقرأ الباقون بنون العظمة فيهما ﴿نحشُرُهُمۡ﴾ و ﴿نقُولُ﴾[3].

- وحجة من قرأ بالنون: أنَّه جعله من إخبار الله تعالى عن نفسه تعظيمًا وتخصيصًا. أي نحن نحشرهم وهو انتقال من لفظ الإفراد إلى الجمع.

- وحجة من قرأ بالياء: أنَّه أراد: يا محمد ﷺ، ويوم يحشرهم الله تعالى[4].

- الجمع بين القراءتين: أنَّ في كلا القراءتين تقريع للمشركين وتبكيت لهم يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنَّهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله زلفى. والله أعلم[5].

رابعًا- المعنى الإجمالي:

﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ جَمِيعٗا ثُمَّ يَقُولُ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ يخبر الله تعالى أنَّه يقرع المشركين يوم القيامة على رؤوس الخلائق، فيسأل الملائكة الذين كان المشركون يزعمون أنَّهم يعبدون الأنداد التي هي على صورة الملائكة ليقربوهم إلى الله تعالى زلفى، فيقول للملائكة: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ﴾ أي: أنتم أمرتم هؤلاء بعبادتكم؟ كما قال الله تعالى لعيسى ﵇:

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (3/ 587-588).
(2) التحرير والتنوير، (22/ 224).
(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 257).
(4) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 137)، حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 590)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي، (1/451-452).
(5) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 524).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾ [المائدة: 116]، فالله ﷻ يعلم أنَّ الملائكة وعيسى أبرياء من هذه التهمة، وإنَّما السؤال والجواب للتقريع والتوبيخ، ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ﴾ أي: تعاليت وتقدست أن يكون معك إله، ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ أي: أنت الذي نتولاه ونطيعه ونعبده من دونهم، ولا موالاة بيننا وبينهم، ﴿بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ﴾ أي: بل إنَّهم كانوا يعبدون الشياطين وهم إبليس وجنوده، فهم الذين زينوا لهم عبادة الأوثان وأضلوهم، ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ وأكثر المشركين مصدقون الجن فيما يلقونه إليهم من الوساوس والأكاذيب، ومنها أمرهم بعبادة الأصنام، كما قال الله تعالى: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا * لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾ [النساء:117-118].

ثم أعلن الله تعالى إفلاسهم وتبدد آمالهم بشفاعة الآلهة المزعومة، زيادة في إيلامهم وحسرتهم، فقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي: لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان، التي ادخرتم عبادتها لشدائدكم وكربكم، اليوم لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًا، ﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ وهم المشركون، ﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ أي: يقال لهم ذلك، تقريعًا وتوبيخًا وهذا تأكيد لبيان حالهم في الظلم وعقابهم على الإثم(1).

خامسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- جمع الخلائق يوم القيامة:

سبق أن تحدثت عنها عند تحليل المقاصد والأهداف لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ: 26](2).

2- تبرؤ الملائكة يوم القيامة على رؤوس الخلائق ممن كانوا يعبدونهم:

من المعلوم أنَّه كان ولا يزال بين البشر من يعبد الملائكة ويقولون عنهم بنات الله، تعالى الله عن كل ذلك علوًا كبيرًا، فيوم القيامة يحشر الله ﷻ الخلق، ويسأل الملائكة على رؤوس الخلائق عن عبادة المشركين لهم، فالاستفسار ليس استفسار توضيح وبيان وعلم، وإنَّما تهكُّمٌ

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 414)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 524)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 201-203).

(2) ينظر: (ص:43)، من هذه الرسالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستهزاءٌ بالمشركين الذين عبدوهم، فيسأل الله ﷻ الملائكة: أهؤلاء كانوا في دار الدنيا يعبدونكم ويجعلونكم آلهة تحيون وتميتون وتخلقون وترزقون؟! قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ﴾ [سبأ: 40]، كما سأل الله ﷻ كذلك عيسى عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ﴾ [المائدة: 116]، فأجابت الملائكة كما أجاب عيسى عليه السلام، ﴿قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ [سبأ: 41]، فهذه مقدمة قبل الجواب، هكذا الأدب.

ولقد حذر الله ﷻ بني آدم عليه السلام من أن يثقوا بالشيطان ووساوسه إليهم بعبادة الملائكة، فهم عبدوا الجن وأطاعوهم بعبادة الملائكة، فتتبرأ الملائكة منهم أنّهم كانوا يعبدون، فنحن لم نأمرهم بعبادة الجن ولم نقبل ذلك منهم، فاليوم لا يملك لكم ضرًا ولا نفعًا، قال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ [سبأ: 42].

فالأصنام والأوثان والملائكة وغيرها من الآلهة التي يدعوها المشركون من دون الله تعالى لا تملك من السموات والأرض شيئًا، وما الأصنام والأوثان إلا جمادات لا أرواح فيها، فهي لا تسمع دعاء، ولا تجيب طلبًا، وقال الله تعالى في نفس السورة: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: 22]. فالله ﷻ هو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لا نظير له، ولا شريك له، بل هو المستقل بالأمر وحده من غير مشارك ولا منازع ولا معارض، أمّا الآلهة التي يدعونها من دونه فهي لا تملك شيئًا، لا استقلالًا ولا على سبيل الشركة، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: 13].

إذًا لابد لأصحاب الهوى والضلال من البراءة من فعلهم وممن اتبعوهم قبل فوات الأوان، لا بدّ من إعلانها، والقرار لا بد من اتخاذه، فأي الطريقين أهون: إعلان البراءة والتخلي عن أصحاب الفساد والضلال والهوى والسوء، وأصدقاء الغفلة، وأمامك البديل الصالح؟! أو البقاء على هذه العلاقة حتى تتبرأ منهم يوم القيامة؟!. وحينها فلا فائدة من ذلك ولن ينفع الندم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (43-50)

عناد المشركين، والدعوة إلى التأمل والتفكر

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: عناد المشركين.

المطلب الثاني: الدعوة إلى التأمل والتفكر في الخلق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
عناد المشركين

قال تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ * وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ:43-45].

أولًا- المعاني اللغوية:

﴿إِفْكٌ مُّفْتَرًى﴾: الإفك الكذب، يقال: أفك الرجل: إذا كذب، والأفَّاك: الذي يأفك الناس عن الحق بالباطل والكذب(1). إفك مفتري: أي كذب مختلق(2).

﴿مِعْشَارَ﴾: جزء من عشرة، كالعشير والعشر(3). معشار: أي عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من القوة والأيدي والبطش، وغير ذلك من النعم(4).

ثانيًا- المناسبة:

بعد أن ذكر الله ﷻ أنَّ المشركين هم أهل النار يوم القيامة، أعقب ذلك بذكرِ ما لأجله استحقوا العذاب، وهو صدّهم الناس عن دعوة الرسول محمد ﷺ، وأنَّهم إذا قرأ الرسول ﷺ عليهم القرآن، قالوا: هذا رجل يريد أن يمنعكم عبادة ما كان يعبد آباؤكم من الأصنام(5).

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* الإطناب في قوله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ذكر الألوسي في هذه الآية رأيًا، مفاده أن التكذيب الأوَّل هو صفة ملازمة

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (4/ 1572)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (1/ 118).
(2) ينظر: تفسير السمعاني، (4/ 339)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 473)، التفسير الواضح ، لحجازي، (3/ 145)، التفسير الوسيط ، للزحيلي، (3/ 2113).
(3) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (4/ 570)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي، (ص: 440)، تاج العروس، للزبيدي، (13/ 44).
(4) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 416)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1063).
(5) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 93-94).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لهم، وهو مطلق الكذب، والتكذيب الثاني مقيد، وهو تكذيب الرسل؛ لذا فالفاء في ﴿فَكَذَّبُواْ﴾ سببيَّة، وهذا من عطف المقيَّد على المطلق. وهذا من مقامات الإطناب، ذكر الخاص بعد العام[1].

* التقرير في قوله تعالى: ﴿فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ لمَّا كانت عاقبة الأقوام السابقة التي كذّبت الرُّسل معلومة لدى الجميع، كان الاستفهام هنا ليس على حقيقته، بل المراد منه التقرير، والمراد منه إقامة الحُجَّة، وسدِّ منافذ الذريعة، قال أبو حيان: ﴿فَكَيۡفَ﴾ "تعظيم للأمر وليست استفهاما مجردًا، وفي هذا تهديد لقريش أي أنّهم معرضون لنكير مثله"[2]. ويقول ابن عاشور: ﴿فَكَيۡفَ﴾: "استفهام عن الحالة وهو مستعمل في التقرير والتفريع"[3].

رابعًا– المعنى الإجمالي:

﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ﴾ لمَّا كان رسول الله ﷺ يتلو عليهم آيات القرآن الواضحات وأنَّهن حق من عند الله ﷻ، كانوا يكذبون بذلك ولا يعترفون بنبوة محمد ﷺ، ويقولون عنه: هو ليس نبيًّا من عند الله ﷻ فلا تتبعوا محمدًا ﷺ، فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان، ويغير دينكم ودين آبائكم، فلا تتخلوا عما كانوا يعبدون، ولا تصدقوا هذا الرجل، ﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ﴾ وقالوا عن القرآن الكريم: ليس هو كلام الله ﷻ، وإنَّما هو كذب مختلق على الله تعالى، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ وكانوا يقولون على الحق الذي جاء به رسول الله ﷺ، لما جاءهم، إنَّه سحر مبين ظاهر، وليس حقًّا صحيحًا فلا تصدقوه ولا تتبعوه.

﴿وَمَآ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّن كُتُبٖ يَدۡرُسُونَهَاۖ وَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمۡ قَبۡلَكَ مِن نَّذِيرٖ﴾ أي: ما أنزل الله تعالى على العرب من كتاب قبل القرآن، وما أرسل إليهم نبيًّا قبل محمد ﷺ، وقد كانوا يوَدّون ذلك ويقولون: لو جاءنا نذير أو أنزل علينا كتاب، لكنا أهدى من غيرنا، فلمَّا مَنَّ الله تعالى عليهم بذلك كذبوه وعاندوه وجحدوه.

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ لم يكن كفار قريش أولّ من كذبوا رسلهم، فقد كذب الذين من قبلهم من الأمم رسلهم، كقوم نوح، وعاد،

(1) ينظر: روح المعاني، للألوسي، (11/ 327).
(2) البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (8/ 560).
(3) التحرير والتنوير، (22/ 230).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وثمود وغيرهم، وكان السابقون أكثر قوَة وبأسًا من قريش، ولم يبلغ قومك يا محمد عشر ما أعطينا الذين من قبلهم من الأمم من القوة والأيدي والبطش، وغير ذلك من النعم، فدمرهم الله تعالى وأهلكهم، ولم تدفع عنهم قوتهم عذاب الله تعالى[1].

خامسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

تكذيب الكفار للرسول ﷺ وما أنزل إليه:

قال تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ:45].

اتفق أهل الكفر والإلحاد على الكفر بالنبي ﷺ، وكان خلاصة قولهم عن القرآن: أنَّ النبي ﷺ لم ينزل عليه شيء، فترك الكفار التدبر بآيات الله ﷻ البينات والتفكر فيما أظهر لهم من حجج واضحات، ولجئوا وحاولوا الركون إلى مطالب شخصية تحقق مطالبهم، قال تعالى: ﴿**وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ مَنۡ أَنزَلَ ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورٗا وَهُدٗى لِّلنَّاسِۖ تَجۡعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبۡدُونَهَا وَتُخۡفُونَ كَثِيرٗاۖ وَعُلِّمۡتُم مَّا لَمۡ تَعۡلَمُوٓاْ أَنتُمۡ وَلَآ ءَابَآؤُكُمۡۖ قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ**﴾ [الأنعام:91]، فبين الله ﷻ أنَّ هذا القرآن ليس من كلام محمد ﷺ، وإنّما هو كلام رب العالمين، فمن شك بذلك منكم فليأتِ بسورة من مثل هذا القرآن، فأعجزهم الله ﷻ، فطلب منهم أن يجتمعوا للإتيان بسورة تكون من مثل القرآن مصدقةً لما بين يديها، وأن يكون بها الهدى والنور الذي في القرآن فعجزوا، فاستحال صدقهم فعلموا أنَّ الحق لله ﷻ، وأنَّ محمدًا ﷺ نبي لا يأتيهم بكلام من جنس قولهم فإنَّ سحرتهم وكهنتهم وشعراءهم وأهل الكفر مجتمعين لا يمكنهم أن يأتوا بشي مثله. فأين عقول هؤلاء القوم لو أبصروا بقلوبهم لاستبصروا أنَّهم من أهل الغي والإلحاد كذبوا بما لم يعلموا ولم يعرفوه حق المعرفة، بل طغى الكفر والتكذيب على عقولهم فزاغت أعينهم وعميت قلوبهم، فكذبوا بالقرآن وتوعدهم الله ﷻ أن يأتيهم خبر هذا القرآن بعلو أهل الإيمان على أهل الكفر والإلحاد، وبيَّن لهم ذلك فيما قصَّ عليهم من خبر أهل الكفر سابقًا وكيف كانت عاقبتهم، وهذا بيان آخر عن صدق النبي ﷺ بأنَّ أهل الأرض لم يستطيعوا الإتيان بشيء مثله إلى يومنا هذا، وهذا دليل على أنّه ليس مما تقدره البشر. وفيه بيان من ظهور أهل الإيمان على أهل الكفر. وهي سنة الله تعالى التي لا تبديل لها[2].

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 415)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 525)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (114/8).

(2) ينظر: منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، للرحيلي، (1/ 335).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن أسلوب القرآن وضع الناس على الحقيقة وتذكيرهم بها، فعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن، دليل صدق القرآن، وما ذلك إلا أنَّ الذي أنزله إنَّما أنزله بعلمه، قال تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:166]، فالشهادة هي خبر عن عجز الناس عن مثل هذا القرآن متفرقين أو مجتمعين بقدرتهم أو بالاستعانة بغير البشر مما يزعمون من آلهة وجن وبشر، فلا يحزنك يا رسول تكذيب من كذبك، ومخالفة من خالفك، فهذا دليل واضح على صدقه ﷺ لذا فإنَّ القرآن يصدمهم بالحقيقة التي لا بد لهم من التسليم بها[1].

والقرآن الكريم يرد على أهل الجحود عند طلبهم بمعجزة من الرسول ﷺ، لكي تدل على صدقه، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفۡجُرَ لَنَا مِنَ ٱلۡأَرۡضِ يَنۢبُوعًا * أَوۡ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٞ مِّن نَّخِيلٖ وَعِنَبٖ فَتُفَجِّرَ ٱلۡأَنۡهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفۡجِيرًا * أَوۡ تُسۡقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمۡتَ عَلَيۡنَا كِسَفًا أَوۡ تَأۡتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا * أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ أَوۡ تَرۡقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤۡمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيۡنَا كِتَٰبٗا نَّقۡرَؤُهُۥۗ قُلۡ سُبۡحَانَ رَبِّي هَلۡ كُنتُ إِلَّا بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء:90–93].

وقد بين الله ﷻ ناتج الاستجابة لما يقترحونه من الآيات، أنَّه لو استجيب لهم لكذبوا، كما كذب الذين هم أمثالهم من المطبوع على قلوبهم، كقوم نوح، وعاد، وثمود وغيرهم، قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرۡسِلَ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلۡأَوَّلُونَۚ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ فَظَلَمُواْ بِهَاۚ وَمَا نُرۡسِلُ بِٱلۡأٓيَٰتِ إِلَّا تَخۡوِيفٗا﴾ [الإسراء:59].

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (9/ 409).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني
الدعوة إلى التأمل والتفكر في الخلق

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ *قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ * قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ * قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِيۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ [سبأ:46-50].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿جِنَّةٍۚ﴾: مصدر جنَّ، يقال: مسه طيف جنة أي جنون(1). أم يقولون به جنة أي: جُنُون(2).

﴿يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾: القذف: أصل يدل على الرمي والطرح. يقال: قذف الشيء يقذفه قذفا، إذا رمى به، وقَذْفُ المحصنات:أي رميهنَّ بالفجور(3). يقذف بالحق: أي يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه(4).

ثانيًا- المناسبة:

بعد ما أقام الله تعالى على المشركين الحجج في الآيات السابقة، وحذرهم من سوء مصيرهم إن استمروا على ذلك، دعاهم إلى التجرد للحق، والصدق في طلبه، والتخلي عن الأهواء والمطامع التي تحول دون التفكير الصحيح(5).

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* تقديم ﴿مَثْنَىٰ﴾ على ﴿وَفُرَٰدَىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ لأنَّ الحقائق من متعاضدين في النظر أجدى من فكرة واحدة، فإذا انقدح الحق بين الاثنين فكر كل واحد منهما بعد ذلك، فيزيد بصيرة، ويحصل العلم على العلم(6).

---

(1) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (1/ 407).
(2) ينظر: تفسير السمعاني، (4/ 340)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 511).
(3) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (5/ 68)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (8/ 5415)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (4/ 29).
(4) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 251)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (3/ 71)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 215).
(5) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (15/ 529)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (6/227).
(6) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (4/ 425)، روح البيان، لحقي، (7/ 307).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* الاستعارة في قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ استعار لفظ اليدين لما يكون من الأهوال والشدائد أمام الإنسان يوم القيامة[1].

* تقديم المسند إليه ﴿رَبِّي﴾ على المسند الفعلي ﴿يَقْذِفُ﴾ في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ للاختصاص والاهتمام[2].

* الكناية اللطيفة في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ كناية عن زهوق الباطل ومحو أثره[3].

* المقابلة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾ و ﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾[4].

رابعًا – الإعراب:

* قوله تعالى: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ تحتمل هذه الجملة ثلاثة أوجه للإعراب:

الوجه الأول: في محل رفع خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هي أن تقوموا.

الوجه الثاني: مصدر مؤول في محل جر بدل من: ﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾، على سبيل البيان.

الوجه الثالث: في محل نصب مفعول به لفعل محذوف، تقديره: أعني[5].

* قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ تحتمل ﴿عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ ثلاثة أوجه من الإعراب:

الوجه الأول: مرفوع على أنّه خبر لمبتدأ محذوف، تقديره: هو علاّم الغيوب.

الوجه الثاني: مرفوع على أنّه خبر ثان لـ ﴿إِنَّ﴾.

الوجه الثالث: مرفوع على أنّه بدل من الضمير﴿يَقْذِفُ﴾[6].

---

(1) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 515).
(2) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 237-238).
(3) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 515).
(4) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 592).
(5) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس، (3/ 241)، التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (2/ 1070)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، (9/ 199).
(6) ينظر: إعراب القرآن، للنحاس، (3/ 242)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (2/ 169).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا– القراءات:

* قوله تعالى: ﴿فَهُوَ﴾ و ﴿وَهُوَ﴾ فيهما قراءتان[1].

* قوله تعالى: ﴿ٱلْغُيُوبِ﴾ فيها قراءتان.

أ– قرأ شعبة وحمزة بكسر الغين ﴿ٱلْغِيُوبِ﴾.

ب– وقرأ الباقون بضم الغين ﴿ٱلْغُيُوبِ﴾[2].

– وحجة من قرأ بكسر الغين: أنَّهم استثقلوا الضمة في الغين وبعدها ياء فكرهوا الخروج من ضم إلى ياء، فكسروا أول الاسم لمجاورة الياء، ولم يجمعوا بين ضمتين، إحداهما على ياء.

_ وحجة من قرأ بضم الغين: على أصل الجمع نقول غيب وغيوب، مثل بيت بيوت[3].

– الجمع بين القراءتين: لغات من لغات العرب.

سادسًا– المعنى الإجمالي:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ﴾ أي: قل يا محمد ﷺ لهؤلاء الكافرين الزاعمين أنَّك مجنون إنَّما آمركم بواحدة، أن تقوموا قيامًا خالصًا لله ﷻ، من غير هوى ولا عصبية، فيسأل بعضكم بعضًا: هل بمحمد ﷺ من جنون؟ فينصح بعضكم بعضًا، ثم ينظر الرجل لنفسه في أمر محمد ﷺ ويسأل غيره من الناس عن شأنه إن أشكل عليه، ويتفكر في ذلك، فكأنه يقول قوموا لله ﷻ مجتمعين ومنفردين لا تمنعكم الجمعية من ذكر الله ﷻ، ولا يحوجكم الانفراد إلى معين يعينكم على ذكر الله ﷻ، ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ أي: ما محمد ﷺ إلا نذير لكم ينذركم على كفركم بالله تعالى أمام عذاب جهنم قبل أن تصلوها، يقول الرازي: "ذكر الأصول الثلاثة في هذه الآية بعد ما سبق منه تقريرها بالدلائل فقوله: ﴿أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ إشارة إلى التوحيد وقوله: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ و ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم﴾ إشارة إلى الرسالة وقوله: ﴿بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ إشارة إلى اليوم الآخر"[4]، عن ابن

---

(1) ينظر: (ص:42)، من هذه الرسالة.

(2) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 226).

(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 93)، حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 127)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي، (284/1)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (2/ 72).

(4) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (25/ 214).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عباس-رضي الله عنهما-، قال: (**صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: يَا صَبَاحَاهْ، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، قَالُوا: مَا لَكَ؟ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ يُصَبِّحُكُمْ أَوْ يُمَسِّيكُمْ، أَمَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟ قَالُوا: بَلَى، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: تَبًّا لَكَ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾** [المسد:1])[1].

أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمشركين: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ﴾ أي: لا أريد منكم جعلا ولا عطاءً على أداء رسالة الله تعالى إليكم، ونصحي إياكم، وأمركم بعبادة الله تعالى، ﴿إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾ أي: إنَّما أطلب ثواب ذلك من عند الله تعالى ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٞ﴾ أي: عالم بجميع الأمور، بما أنا عليه من إخباري عنه بإرساله إياي إليكم، وما أنتم عليه. ﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ﴾ أي: يبيِّن الحجة ويظهرها، ﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ أي: هو تعالى الذي أحاط علمًا بجميع الغيوب التي غابت وخفيت عن الخلق.

﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ أي: جاء الحق من الله ﷻ والشرع العظيم، وذهب الباطل وزهق واضمحل، كقوله تعالى: **﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾** [الأنبياء: 18]، عن عبد الله بن مسعود ؓ، قَالَ: (**دَخَلَ ﷺ مكة وَحَوْلَ البَيْتِ سِتُّونَ وَثَلاَثُ مِائَةِ نُصُبٍ، فَجَعَلَ يَطْعُنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ، وَيَقُولُ: ﴿جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾** [الإسراء: 81]، **﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾** [سبأ: 49])[2].

﴿قُلۡ إِن ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾ فلا عليكم إذن إن ضللت، فإنَّما أضل على نفسي، وإن كنت مهتديًا، فإنّ الله تعالى هو الذي هداني بوحيه، لا أملك لنفسي منه شيئًا إلا بإذنه، ﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾ أي: سميع لأقوال عباده، قريب مجيب لدعوة الداعي إذا دعاه[3]. عن أبي موسى الأشعري ؓ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: (**إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلاَ غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهْوَ مَعَكُمْ**)[4].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا نَذِيرٞ لَّكُم بَيۡنَ يَدَيۡ عَذَابٖ شَدِيدٖ﴾ [سبأ:46]، ح (4801)، (6/ 122).

(2) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وقُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلۡبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقٗا﴾ [الإسراء: 81]، ح (4720)، (6/ 86).

(3) ينظر: جامع البيان ، للطبري، (20/ 418)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (25/ 214)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 525)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 514)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2916).

(4) صحيح البخاري ، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، ح (4205)، (5/ 133).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- الدعوة إلى التفكر والنظر في رويةً وهدوء، بهدف الوصول إلى الحقيقة والتسليم بها:

قد جاءت الدعوة إلى التفكر في القرآن الكريم صريحة ومقصودة في كثير من آياته، ومنها قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ:46].

قال الزمخشري في معنى هذه الآية: "إنَّما أعظكم بواحدة إن فعلتموها أصبتم الحق وتخلصتم، وهي: أن تقوموا لوجه الله تعالى خالصًا. متفرّقين اثنين اثنين، وواحدًا واحدًا ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا في أمر محمد ﷺ وما جاء به، أمَّا الاثنان: فيتفكران ويعرض كلّ واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه متصادقين متناصفين، لا يميل بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية، حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح على جادة الحق وسننه، وكذلك الفرد: يفكر في نفسه بعدل... والذي أوجب تفرّقهم مثنى وفرادى: أنّ الاجتماع مما يشوّش الخواطر، ويعمى البصائر، ويمنع من الروية، ويخلط القول، ومع ذلك يقل الإنصاف، ويكثر الاعتساف، ويثور عجاج التعصب. ولا يسمع إلا نصرة المذهب"(1).

فالدعوة إلى النظر والتأمل في حال ذلك النبي ﷺ، بعيدًا عن تشغيب الاجتماع، وقريبًا من التأمل الفردي، أو الثنائي المعتمد على اختيار أهل النصح والمشورة في امتحان صدق هذه الدعوة، كل ذلك أبعد عن حَمِيَّة الجاهلية، وتشويش المناوئين حقدًا وحسدًا؛ أولئك الذين اتسم موقفهم من دعوة الحق بالرفض المجمل؛ بسبب إلف العادة، والأنس بموروث الآباء؛ حتى قالوا: ﴿قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [سبأ:43].

إنَّ البعد عن هذه الهيئة الاجتماعية المشوّشة المضلِّلة أرجى في انفتاح القلب، واستقبال الوعي لهذه الدعوة للنظر في أمرها، وقياس صِدق صاحبها، وأيضًا: فإنَّ الأمر بالتفكر فيه إشارة إلى اعتماد المنهج القويم في التفكير، والنظر السديد في اعتبار حال هذا المدعي للنبوة بحال الأنبياء قبله ممن بقيت فيهم آثار رسالاتهم، ومقارنة دعوته بدعوتهم، والنظر في حال ذلك النبي ﷺ نفسه وصفاته؛ هل حاله قبل دعواه توحي بصدقه، أو بكذبه وافترائه.

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، (3/ 590).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد دعا القرآن إلى الابتعاد عن الأجواء الانفعالية التي تبعد الإنسان عن الوقوف مع نفسه وقفة تأمل وتفكر. فإنَّه قد يخضع في قناعاته وأفكاره للجو الاجتماعي الذي تنطلق فيه الجماعة في أجواء انفعالية حماسية لتأييد فكرة معينة، أو رفض فكرة خاصة. الأمر الذي يفقد فيه الفرد استقلاله الفكري وشخصيته المميزة.

وقد صور القرآن ذلك من أسلوب النبي ﷺ في حواره مع مشركي مكة عندما اتهموه بالجنون، فقد دعانا إلى التجرد عندما نريد أن نتبنى فكرة أو نرفضها.

حيث دعاهم إلى الانفصال عن الجو المحموم الذي لا يملكون معه أفكارهم، بأن يتفرقوا مثنى وفرادى في موقف فكر وتأمل يرجع إليهم أفكارهم وشخصياتهم لأنَّ طبيعة الفكر الهادئ الواعي أنَّه يضع القضية في موقعها الطبيعي لينتهي إلى الإقرار بعد ذلك بأنَّه رسول الله ﷺ إلى الناس أجمعين. وقد تعددت أساليب التعلم المستخدمة للتعليم تجعل المتربي يجني الفوائد المتعددة في كل أسلوب والذي يعتمد على الاجتماع أو الفردية(1).

2- عدم أخذ الأجر على الدعوة:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ:47].

الدعوة إلى الله ﷻ من أجلّ الأعمال وأفضلها، وهي وظيفة الأنبياء -عليهم السلام- وسبيل الصادقين، فهي ليست قاصرةً على الرسول ﷺ وحده، ولكنها دعوته ودعوة كُلِّ متبع لهديه مقتدٍ بسنته، وهكذا كان المجتمع الإسلامي مجتمعًا يحمل أفرادهُ جميعًا رسالةً واحدة، يشرون أنفسهم في سبيلها، قال الله تعالى على لسان نوح ﷺ: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [هود:29]، وقال تعالى على لسان هود ﷺ: ﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [هود:51]، وقال تعالى: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:57].

إذًا الدعوة من الداعية للمدعو شيء لوجه الله تعالى، لا يراد منه في الدنيا جزاءً ولا شكورًا، وكذلك فإنَّ هذه الدعوة لله ﷻ خالصة، ليست دعوة لحزب ولا لعصبية ولا لطائفة، وإنَّما دعوة إلى المنهج، دعوة إلى الدين، دعوة إلى الإسلام، دعوة إلى الحق، دعوة لهداية الناس، دعوة

---

(1) ينظر: مجلة الجامعة الإسلامية، (ضوابط الحوار مع الآخر) د. سعد عاشور، (ص:92).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لإقامة الحجة، ومن الطبيعي أنَّك إذا دعوت شخصًا فإنك ستقوم بمهمة تعليمه وتثقيفه وتربيته، فسيكون معك أو مع وسط صالح من إخوانك في الله تعالى(1).

فعلى الداعية أن يذكر نفسه دائمًا أنَّه لا يدعو لنفسه وإنَّما يدعو لله ﷻ، فأجر الداعية على الله تعالى ولا يأخذه من العباد، ولذا كان عظيم الأجر، فالله تعالى لا يعطى لمن يحب إلا عظيمًا قال تعالى: ﴿فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس:72]، وقال الرسول ﷺ: (**فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ**)(2)، إنَّ من أدركوا هذه الحقيقة قاموا فلم يقعدوا، وتيقظوا فلم يناموا، وكان لهم بين كل عمل وعمل عمل، ومع كل درجة يبلغونها أخرى يرتقونها.

3- الحق على مرّ الأيام لا يزداد إلا قوةً وظهورًا، والباطل على مر الأيام لا يزداد إلا زهوقًا:

المتتبع لآيات القرآن الكريم لا يعجزه أن يقف على حقيقة مفادها: أنَّ الصراع بين الحق والباطل هو سنة أقامها الله ﷻ على هذه الحياة، وأنَّ الحياة لا يمكن أن يسودها الخير المطلق، بحيث تخلو من الشر، وبالمقابل لا يمكن أن تعاني من الشر المطلق بحيث لا يكون فيها قائم بالحق.

والآيات التي تؤكد هذه الحقيقة كثيرة لا يسعف المقام بذكرها، لكن نذكر بعضًا منها لإثبات ما نسعى لإثباته. من تلك الآيات التي تقرر هذه الحقيقة قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ﴾ [الرعد:17]، وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ﴾ [محمد:3]، فهاتان الآيتان وغيرهما، تبين حقيقة مسار التاريخ، وأنَّه صراع بين الحق والباطل، وتصارع بين الخير والشر. يقول ابن عاشور: "إنَّ المصارعة بين الحق والباطل شأن قديم، وهي من النواميس التي جبل عليها النظام البشري"(3)، وهذه السنة التي أقام الله تعالى عليها الحياة، تندرج في المحصلة في سنة الابتلاء التي خلق الله تعالى العباد لأجلها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ﴾ [الملك:2]، فمن وقف في جانب الحق مدافعًا عنه، يكون قد عمل عملاً حسنًا، وهدي إلى سواء السبيل، ومن وقف في جانب الباطل، ونافح عنه ودافع، يكون قد

---

(1) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 213).

(2) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب من أسلم علي يديه رجل، ح (3009)، (4/ 60)، صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، ح (2406)، (4/ 1872).

(3) التحرير والتنوير، (12/ 192).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عمل عملًا سيئًا، وضل سواء السبيل، فإذا ثبتت حقيقة الصراع بين الحق والباطل، فجدير بنا أن نثبت حقيقة مرتبة عليها، وهي أنَّ الحق هو المنتصر في النهاية، وأنَّ الباطل وإن حقق انتصارات هنا وهناك، فإنَّها انتصارات آنية واهية، وليست بانتصارات حقيقية واقعية. يخبرنا القرآن بهذه الحقيقة في آيات كثيرة، تبين أنَّ النصر دومًا في جانب الطرف الذي يدافع عن الحق، وأنَّ الهزيمة في النهاية واقعة في جانب الطرف المدافع عن الباطل. نجد هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:118]، وقوله تعالى: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء:81]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ49]، إنَّ الصراع بين الحق والباطل قد وقع منذ فجر التاريخ، ومنذ أن وُجد الإنسان في هذه الحياة، والصراع بين هابيل وقابيل، يمثل صورة أولى من صور هذا الصراع بين الحق والباطل. وأنَّ أهل الحق يغلبون أهل الباطل وينصرون عليهم بالصبر والثبات على الحق، وبالأخذ بأسباب النصر، ولاشك فإنَّ التاريخ غني بالأمثلة والعبر التي تؤكد على أن المعركة بين الحق والباطل قائمة ومستمرة، وأنَّ الله سبحانه وتعالى يختار للدفاع عن هذا الحق من كان أهلًا للدفاع عنه، وأنَّه سبحانه يجعل العاقبة للحق في نهاية المطاف قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء:18].

وقد قصَّ القرآن والتاريخ علينا كثيرًا من القصص، التي تبين أنَّ العاقبة للحق، وأنَّ الباطل مهما تطاول وبغى وطغى فإنَّه إلى زوال، فلنأخذ مثالًا على التاريخ، المقاومة الفلسطينية في حرب غزة، فقد نصر الله تلك المقاومة رغم القوة العسكرية الهائلة التي كان يتمتع بها الأعداء، وحققت هذه المقاومة انتصارات لا يمكن أن تخضع للتحليل العلمي، بيد أنَّ الله ﷻ جعل النصر حليفها، لكونها صاحبة حق تدافع عنه، ولكون أعدائها أصحاب باطل ينافحون عنه، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [سبأ:48].

وإنَّ ما يحدث اليوم في فلسطين المسلمة –في غزة الصابرة– لهو حلقة من حلقات معركة المصير؛ لأنها صورة حيَّة من صور المواجهة بين الحق المدافع عن دينه ومُقَدَّساته، الذابِّ عن حريَّته وعِزَّته وكرامته، وبين الباطل الغاصب المعتدي المنتهِك للحُرمات، المدنِّس للمقدَّسات، الذي لا يَرْقُب في مؤمن إلاًّ ولا ذِمَّة، والذي يُقيم بما يصنع في أرض المعراج من جرائمَ ومظالِم، وما يَجترِحه من فظائع وبلايا، يُقيم البراهين الواضحة للعالمين على صِدْق أحكم الحاكمين بقوله: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة: 82].

فسوف تكون كذلك– إن شاء الله– عزًّا وظَفرًا وغَلَبَةً للإسلام، ورَفْعًا للواء الحقِّ على رُبوع وأكناف بيت المقدس، وذُلاً وهزيمة لليهود المجرمين الطاغين، وعِظةً وذِكرى للذاكرين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السابع

المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (51 -54)

تهديد الكفار، وإيمانهم حين معاينة العذاب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السابع

المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (51 -54)

تهديد الكفار، وإيمانهم حين معاينة العذاب

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ*وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ * وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ * وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ﴾ [سبأ51-54].

أولًا- المعاني اللغوية:

﴿فَزِعُواْ﴾: أفزعته إذا خوفته، وفزع عنه: أي كشف عنه الخوف[1]. فزعوا: أي خافوا عند الموت أو البعث[2].

﴿فَوۡتَ﴾: الفاء والواو والتاء أصل صحيح يدل على خلاف إدراك الشيء والوصول إليه، والجمع أفوات[3]. فلا فوت: أي لا مهرب، ولا نجاة من العذاب[4].

﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾: التناول، يقال: فلان ناش الشيء ينوشه نوشًا إذا تناوله، وتناوش القوم في القتال، إذا تناول بعضهم بعضًا بالرماح[5]. التناوش: تناول الإيمان والتوبة[6].

﴿وَيَقۡذِفُونَ﴾: يرجمون بالظنون[7].

﴿بِأَشۡيَاعِهِم﴾: شيعة جمع شيع وأشياع، وشيعة الرجل: أتباعه وأنصاره، وكل قوم أمرهم واحد يتبع بعضهم رأي بعض فهم شيع[8]. بأشياعهم: أي بأمثالهم من الكفار الماضين[9].

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (3/ 1258)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (3/ 444).

(2) ينظر: التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء، (8/ 293)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1065).

(3) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (4/ 457).

(4) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (3/ 78)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1065).

(5) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (5/ 369)، لسان العرب، لابن منظور، (6/ 361)، تهذيب اللغة، للهروي، (11/ 286)، المعجم الوسيط ، لمجمع اللغة العربية،(2/ 963).

(6) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 100)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1065)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 311).

(7) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 100)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1065)، (ص:97)، من هذه الرسالة.

(8) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (3/ 1240).

(9) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 216)، أيسر التفاسير، للجزائري (4/ 332).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿مُّرِيبٍ﴾: يقال: أراب الرجل: أي صار ذا ريبة فهو مريب، وارتاب فيه: أي شك[1]. مريب: أي موقع فى الريبة والقلق[2].

ثانيًا– المناسبة:

بعد بيان أسباب العذاب، والرد على شبهات الكفار هددهم الله تعالى وأنذرهم بشديد العقاب يوم القيامة، ثم أخبر عن إيمانهم حين معاينة العذاب يوم لا ينفع إيمان، لفوات الأوان، وكفرهم بالله تعالى وبرسوله ﷺ وكتابه من قبل[3].

ثالثًا– وجوه البلاغة:

* الفائدة من ذكر قرب المكان في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ لسرعة نزول العذاب بهم والاستهانة بهم وبهلاكهم، وإلا فلا قرب ولا بعد بالنسبة إلى الله ﷻ، والقرب هنا كناية عن العلم والإحاطة فيه، قرب مجازي[4].

* الطباق بين: ﴿مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ و ﴿مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾.

* الاستعارة التصريحية في قوله تعالى: ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ شبّه الذي يقول بغير علم بدون ترو ولا دليل بالإنسان يرمي غرضًا وبينه مسافة بعيدة فلا يكون سهمه صائبًا، واستعار لفظ القذف للقول[5].

* استعمال الأفعال الماضية في قوله تعالى: ﴿فَزِعُواْ﴾ و ﴿وَأُخِذُواْ ﴾ و﴿وَحِيلَ﴾ والمراد بها الاستقبال، لتحقق وقوعه[6].

* التشبيه في قوله تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُۚ﴾ يقول ابن عاشور: "تشبيه للحيلولة بحيلولة أخرى وهي الحيلولة بين بعض الأمم وبين الإمهال حين حل بهم عذاب الدنيا، مثل فرعون وقومه إذ قال: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (1/ 141)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (2/ 463).
(2) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 100)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 3541).
(3) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 100)، التفسير المنير للزحيلي، (22/ 215).
(4) ينظر: روح المعاني، للألوسي، (11/ 330)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 310)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 241).
(5) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 515)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 214).
(6) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 592)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، (4/ 379).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [يونس: 90]، وكذلك قوم نوح حين رأوا الطوفان، وما من أمة حل بها عذاب إلا وتمنت الإيمان حينئذ فلم ينفعهم إلا قوم يونس... وفائدة هذا التشبيه تذكير الأحياء منهم وهم مشركو أهل مكة بما حل بالأمم من قبلهم ليوقنوا أنَّه سنة الله تعالى واحدة وأنَّهم لا تنفعهم أصنامهم التي زعموها شفعاء عند الله"[(1)].

رابعًا – القراءات:

* قوله تعالى: ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ فيها قراءتان.

أ– قرأ أبو عمرو وشعبة وحمزة والكسائي وخلف بالمد والهمز ﴿ٱلتَّنَاؤُشُ﴾.

ب– وقرأ الباقون بالواو المحضة بعد الألف من غير مد ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾[(2)].

– وحجة من همز: أنَّه أراد: التباعد.

– وحجة من ترك الهمز: أنَّه أراد: التناول[(3)].

– الجمع بين القراءتين: القراءتان متقاربتان فالكفار في الآخرة يتمنون الرجوع إلى الدنيا لتناول الإيمان وأنَّى لهم ذلك، فالدنيا ذهبت، فصارت منهم بمكان بعيد. والله أعلم[(4)].

خامسًا: المعنى الإجمالي:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ أي: لو ترى يا محمد ﷺ ومن قام مقامك على أصح الأقوال[(5)] إذ فزع هؤلاء المكذبون يوم القيامة، لرأيت من الأمر ما يعجز اللسان عن وصفه، فهم لا يمكّنون من الهرب، ولا يفوتهم ذلك العذاب ولا يجدون ملجأ ولا مأوى يبتعدون فيه، ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾ أي: يوم القيامة يقولون: آمنا بالله تعالى وبكتبه ورسله، كما قال تعالى: **﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾** [السجدة: 12]، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: كيف يتناولون الإيمان من مكانهم هذا. ومكان الإيمان بعيد عنهم فقد كان ذلك في الدنيا، فضيعوه! فانتهى الأمر، ولم يعد لهم

(1) التحرير والتنوير، (22/ 245).
(2) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 351).
(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 295)، حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 591).
(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 528)، الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (14/ 317).
(5) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (4/ 426)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 528)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، (4/ 379)،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أن يحاولوه اليوم! ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ﴾ كيف يحصل لهم الإيمان في الآخرة وقد كفروا بالحق في الدنيا وكذبوا الرسل؟ ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ أي: وهم قد كانوا يرجمون بظنون لا مستند لهم فيها، فيتكلمون في الرسول ﷺ بمطاعن ليس لها ما يؤيدها، فتارةً يقولون إنَّه شاعر، وتارةً إنَّه كاهن، وتارةً أخرى إنَّه ساحر، إلى نحو ذلك من الأقوال الباطلة، ويكذبون بالبعث، والنشور، والحساب، والجزاء.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ قيل: الإيمان والتوبة، وقيل يريدون الرجوع إلى هذه الدنيا، من مال، وأهل، والصحيح كما يقول ابن كثير: "أنَّه لا منافاة بين القولين؛ فإنه قد حيل بينهم وبين شهواتهم في الدنيا وبين ما طلبوه في الآخرة، فمنعوا منه"(1). كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ * فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [غافر84-85]، ثم بين أنَّ هذه سنة الله تعالى في أمثالهم ممن كذبوا الرسل من قبلهم فقال تعالى: ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ وقد كان الكفار السابقون واللاحقون في شك قوى وتكذيب صريح، حين كذبوا رسلهم ورفضوا دعوتهم، ولذلك لم يحقق الله تعالى أمنياتهم التي تمنوها فى الآخرة ثم علل عدم قبول إيمانهم ووصولهم إلى بغيتهم حينئذ بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ أي: لأنَّهم كانوا في الدار الأولى شاكين فيما أخبرت به الرسل–عليهم السلام– من البعث والجزاء، وقد تغلغل الشك في قلوبهم حتى صاروا لا يطمئنون إلى شيء مما جاءوا به.

وهكذا تختم السورة في هذا الإيقاع السريع العنيف الشديد. وتختم بمشهد من مشاهد القيامة يثبت القضية التي عليها التركيز والتوكيد في السورة. كما مضى في نهاية كل شوط فيها وفي ثناياها. وقد بدأت السورة بهذه القضية وختمت بهذا الختام العنيف(2).

---

(1) تفسير القرآن العظيم، (6/ 529).

(2) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 528–529)، الوجيز، للواحدي، (ص: 888)، تفسير المراغي، (22/ 100–101)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2916–2917)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 514).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا: تحليل المقاصد والأهداف:

إعلان الكفار إيمانهم عند نزول العذاب ولكن الله ﷻ لا يقبله منهم:

لا ينفع الإيمان، ولا تقبل التوبة عند معاينة العذاب، قال تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ:52]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ * فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر84–85]، وقال تعالى: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ * ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [يونس:90–91]، فدلّ على أنَّ الإيمان عند حلول ومعاينة العذاب لا يجدي أهله شيئًا؛ لأنَّه إيمان اضطراري، فلا يكون معه صدق القلب الَّذي يكون مع الإيمان الاختياري؛ فلو كشف عنهم العذاب الَّذي اضطرهم للإيمان لتمادوا في كفرهم، واستمرّوا على غيّه، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [المؤمنون:75][1].

وقد يقول قائل: لماذا قبل الله ﷻ توبة قوم يونس عليه السلام ولم يقبل توبة فرعون؟

والجواب: إنَّ إيمان قوم يونس عليه السلام كان قبل معاينة العذاب ولو عاينوه لما قبلت توبتهم، وذهب الطبري إلى أنَّ قوم يونس عليه السلام خصوا من بين سائر الأمم بأن تيب عليهم بعد معاينة العذاب[2]، وقال الزجاج: "إنهم لم يقع بهم العذاب، وإنَّما رأوا العلامة التي تدل على العذاب، ولو رأوا عين العذاب لما نفعهم الإيمان"[3]، وقال القرطبي: "قول الزجاج حسن، فإن المعاينة التي لا تنفع التوبة معها هي التلبس بالعذاب كقصة فرعون، ولهذا جاء بقصة قوم يونس على أثر قصة فرعون لأنه آمن حين رأى العذاب فلم ينفعه ذلك، وقوم يونس تابوا قبل ذلك"[4]. ويعضد هذا قول النبي ﷺ:

(1) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (13/ 170).
(2) ينظر: جامع البيان، للطبري، (15/ 206).
(3) معاني القرآن وإعرابه، (3/ 34)
(4) الجامع لأحكام القرآن، (8/ 384).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(إنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ)(1).

فالفرق بين الإيمانين هو أنَّه مما لا شك فيه أنّ إيمان قوم يونس ﷺ كان حقيقيًّا وناجمًا عن اختيارهم، وعن توبة صادقة، ولأجل ذلك بقَوْا على إيمانهم واستقر وثبت الإيمان في قلوبهم، ومما يدل على ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ * فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات:147]، والظاهر من الآية أنَّ نبي الله تعالى يونس ﷺ بعد ما نجا مما ابتلي به، أُرسل إلى نفس قومه فاستقبلوه بوجوه مشرقة وتمتعوا في ظل الإيمان إلى الوقت المؤجل في علم الله ﷻ، أمَّا فرعون وقومه فكانت سيرتهم ادعاء الإيمان عند نزول العذاب، وبعد رفع العذاب يرجعون إلى الفساد، وهذا ما صرح به الله تعالى في كتابه العزيز، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُواْ وَكَانُواْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ ٱلرِّجْزُ قَالُواْ يَٰمُوسَى ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا ٱلرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ *فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ * فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:132–136].

فهذا حكم الله تعالى في جميع من تاب عند معاينة العذاب أنَّه لا يقبل، وهذه سنة الله ﷻ أن المكذبين حين ينْزل بهم بأس الله تعالى وعقابه إذا آمنوا كان إيمانهم غير صحيحٍ ولا مقبولٍ؛ لأنَّه إيمان ضرورة قد اضطروا إليه، وإيمان مشاهدة، وإنَّما الإيمان المقبول المنجي هو الإيمان الاختياري، الذي يكون إيمانًا بالغيب، وذلك قبل وجود قرائن وهذا أصل مطّرد في كلّ من كان إيمانه إيمان ضرورة؛ ولهذا لا تقبل التوبة عند حصول ما يلجئ للإيمان؛ كمشاهدة ملك الموت، أو أوّل الآيات المؤذنة بتغير أحوال العالم العلوي، قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓاْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام158](2).

(1) مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمر ﷺ، ح (6160)، (10/ 300)، سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله تعالى بعباده، ح (3537)، (5/ 547)، قال الترمذي: حسن غريب، وقال الألباني: حسن، صحيح وضعيف الجامع الصغير، للألباني، (7/ 231).

(2) ينظر: الموسوعة العقدية، لمجموعة من الباحثين، (4/ 127).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصـــل الثاني

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فاطر

ويشتمل على ستة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى سورة فاطر.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (1-8) بعض أدلة القدرة الإلهية، وبيان رحمته ترغيبًا وترهيبًا

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (9-14) آيات الله ﷻ فى الكون الدالة على قدرته.

المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (15-28) غني الله ﷻ عن خلقه وعدله فيهم.

المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (29-37) فضل تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وجزاء المؤمنين والكافرين.

المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (38-45) دلائل الإيمان، واسباب الصدود.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول
مدخل إلى سورة فاطر

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة، وفضائلها، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها، وترتيبها.

المطلب الثاني: محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
اسم السورة، وفضائلها، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها وترتيبها

أولًا- اسم السورة:

اسم السورة التوقيفي (فاطر)، حيث جاء في مطلعها قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:1]، فسميت بهذا الاسم لافتتاحها بهذا الوصف لله ﷻ الدال على الخلق والإبداع والإيجاد للكون العظيم، والمنبئ عن عظمة الخالق وقدرته الباهرة.

وسميت في صحيح البخاري وسنن الترمذي وفى كثير من كتب التفسير بـ (سورة الملائكة)، وسميت بذلك لأنَّه جاء في مطلعها صفة الملائكة، وجعلهم ذوي أجنحة متنوعة في العدد، الدالّ على عجيب صنعه تعالى وباهر قدرته، قال تعالى: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:1][(1)].

قال ابن عاشور: "وجه تسميتها (سورة فاطر) أنَّ هذا الوصف وقع في طالعة السورة ولم يقع في أول سورة أخرى. ووجه تسميتها (سورة الملائكة) أنَّه ذكر في أولها صفة الملائكة ولم يقع في سورة أخرى"[(2)].

ثانيًا- فضائل السورة:

سورة فاطر من السور المثاني، ومما ورد في فضائلها ترغيبٌ فى تلاوتها وتنبيهٌ لمزيّتها.

ما رواه أبو عبيد القاسم بسنده عن عامر بن عبد قيس[(3)] قال: "أَرْبَعُ آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ إِذَا قَرَأْتُهُنَّ مَا أُبَالِي مَا أُصْبِحُ عَلَيْهِ وَمَا أُمْسِي: ﴿مَا يُفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسَلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [فاطر: 2]، وقوله: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ

(1) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، للسيوطي، (1/ 194)، محاسن التأويل، للقاسمي، (8/ 158)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 218)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 247) التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (6/ 1).

(2) التحرير والتنوير، (22/ 247).

(3) هو: عامر بن عبد قيس التميمي العنبري البصري الزاهد أبو عبد الله، ويقال: أبو عمرو، عابد زمانه، كان ثقة من عُبَّاد التابعين، قبره ببيت المقدس، توفي في حدود السبعين للهجرة وقيل: فى زمن معاوية. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (4/ 15)، الوافي بالوفيات، للصفدي، (16/ 335).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ [يونس: 107]، وقوله: ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: 7]، وقوله: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: 6]"[1].

ثالثًا– مكان وزمان نزول السورة:

اختلف العلماء: هل كل آيات السورة مكية، أم أنَّ بعضها مدني:

قال القرطبي: "مكية في قول الجميع"[2].

وقيل: مكية إلا آيتين: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: 29]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر:32][3].

والذي نراه ونرجحه أنَّ السورة كلها مكية، قال الدكتور فضل عباس: "استثنى بعضهم آيتين وهو استثناء ليس عليه دليل، بل الدليل على عكسه"[4].

أمَّا زمان نزول سورة فاطر فقد نزلت بين الهجرة إلى الحبشة والإسراء[5].

رابعًا– عدد آياتها وترتيبها:

اختلف في عدد آياتها، فعند المدني الأخير والشامي ست وأربعون آية، وعند الباقين خمس وأربعون آية، المختلف فيها سبع آيات: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ [فاطر:7]، ﴿وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ [فاطر:16]، ﴿ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ﴾ [فاطر:19]، ﴿وَلَا ٱلنُّورُ﴾ [فاطر:20]، ﴿مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:22]، ﴿أَن تَزُولَاۚ﴾ [فاطر:41]، ﴿لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ﴾ [فاطر:43][6].

---

(1) فضائل القرآن، للقاسم بن سلام، (ص: 279).
(2) الجامع لأحكام القرآن، (14/ 318).
(3) ينظر: روح المعاني، للألوسي، (11/ 334)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 247).
(4) إتقان البرهان في علوم القرآن، (1398).
(5) ينظر: أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم، لشحاته، (ص:319).
(6) ينظر: البيان في عد آي القرآن، للداني، (ص: 210).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذه السورة هي الخامسة والثلاثون في ترتيب المصحف، والثالثة والأربعون في ترتيب نزول سور القرآن، نزلت بعد سورة الفرقان وقبل سورة مريم(1).

تقع فى الجزء الثاني والعشرين، في منتصف الحزب الرابع والأربعين، وهي إحدى السور الخمس التي بدأت بالحمد(2).

المطلب الثاني
محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة

أولًا- محور السورة:

محور سورة فاطر هو الدعوة إلى توحيد الله ﷻ، وإقامة البراهين على وجوده، وهدم قواعد الشرك، والإلزام بمنهج الاستقامة على دين الله تعالى(3).

ثانيًا- أهداف ومقاصد السورة:

يقول سيد قطب: "هذه السورة المكية نسق خاص في موضوعها وفي سياقها، أقرب ما تكون إلى نسق سورة الرعد. فهي تمضي في إيقاعات تتوالى على القلب البشري من بدئها إلى نهايتها... والسورة وحدة متماسكة متوالية الحلقات متتالية الإيقاعات، يصعب تقسيمها إلى فصول متميزة الموضوعات، فهي كلها موضوع واحد. كلها إيقاعات على أوتار القلب البشري، تستمد من ينابيع الكون والنفس والحياة والتاريخ والبعث. فتأخذ على النفس أقطارها وتهتف بالقلب من كل مطلع، إلى الإيمان والخشوع والإذعان. والسمة البارزة الملحوظة في هذه الإيقاعات هي تجميع الخيوط كلها في يد القدرة المبدعة. وإظهار هذه اليد تحرك الخيوط كلها وتجمعها وتقبضها وتبسطها، وتشدها وترخيها. بلا معقب ولا شريك ولا ظهير"(4).

ويمكن إجمال أعظم أهداف ومقاصد هذه السورة بالنقاط الآتية:

1- إثبات تفرد الله تعالى بالألوهية فقد افتتحت السورة بما يدل على أنَّ الله ﷻ مستحق للحمد.

2- إثبات صدق الرسول ﷺ فيما جاء به.

---

(1) ينظر: المفصل في موضوعات سور القرآن، للشحود، (ص: 912)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 247).

(2) سورة فاطر ختام السور المفتتحة بالحمد، التي فصلت فيها النعم، ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 221)، (ص:30)، من هذه الرسالة.

(3) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 218-219)، التفسير الواضح، لحجازي، (3/ 151).

(4) في ظلال القرآن، (5/2918-2919).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- إثبات البعث والدار الآخرة.

4- تذكير الناس بإنعام الله تعالى عليهم بنعمة الإيجاد ونعمة الإمداد.

5- تثبيت النبي ﷺ على ما يلاقيه من قومه، وقد تكررت في هذه السورة تسلية النبي ﷺ مما يلقاه من تكذيب قومه مما يدل على أنَّها نزلت في ظروف كان النبي ﷺ فيها حزينًا شديد الحسرة.

6- بيان أنَّ العزة والغلبة كلها لله ﷻ.

7- التحذير من غرور الشيطان والتذكير بعداوته للإنسان.

8- بيان جزاء الكفار وجزاء المؤمنين الأبرار.

9- الإشادة بمن يتلو كتاب الله تعالى، ويقيم الصلاة، وينفق من رزق الله تعالى سرا وعلانية.

10- تقريع المشركين في عبادتهم الأوثان والأصنام، والإنذار، وقرن هذا الإنذار برحمة الله ﷻ العامة للناس جميعًا حيث لم يعاجلهم العقوبة، وإنَّما يؤخرهم إلى أجل مسمًى[1].

المطلب الثالث

مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها

أولًا- مناسبة السورة لما قبلها:

مناسبة سورة فاطر لما قبلها قد سبقت الإشارة إليها عند حديثنا عن مناسبة سورة سبأ لما بعدها[2].

ثانيًا- مناسبة السورة لما بعدها:

تظهر صلة هذه السورة بما بعدها من وجوه ثلاثة:

1- بعد أن ذكر تعالى في سورة فاطر قوله تعالى: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:37]، وقوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾ [فاطر:42]، والمراد به محمد ﷺ، وقد أعرضوا عنه وكذبوه، افتتح سورة يس بالقسم على صحة رسالته، وأنَّه على صراط مستقيم، وأنَّه أرسل لينذر قوما ما أنذر آباؤهم، قال تعالى: ﴿يسٓ * وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ * عَلَىٰ

---

(1) ينظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، (1/ 386)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 247-248)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2920)، التفسير الحديث، لدروزة، (3/ 107)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 220).

(2) ينظر: (ص:33)، من هذه الرسالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس:1–6].

2- هناك تشابه بين السورتين في إيراد بعض أدلة القدرة الإلهية الكونية، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر:13]، وقال تعالى في سورة يس: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يس:38-39]، وقال تعالى في سورة فاطر: ﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ﴾ [فاطر:12]، وقال تعالى في سورة يس: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس:41].

3- جاء في كلتا السورتين ذكر أصحاب الجنة وأصحاب النار، قال تعالى في سورة فاطر: ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ *جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فاطر32–33]، وقال تعالى في سورة يس: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾ [يس:55]، وذكر أصحاب النار في قوله تعالى في سورة فاطر: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا﴾ [فاطر:36]، وقال تعالى في سورة يس: ﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ * ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾ [يس:63–64](1).

ثالثًا- مناسبة بداية السورة مع نهايتها:

في مطلع السورة الكريمةِ حديثٌ عن خلق السموات والأرض، وفي ختام السورة حديثٌ عن نعمة العناية والحفظ، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر:1]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر:41].

في السورة الكريمة تسليةٌ للنبي ﷺ وتعزية له عن تكذيب الكفار الذين ساروا على خُطى من سبقهم على طريق التكذيب والإعراض، وبينت السورةُ أسباب صدودهم وإعراضهم وهو الاستكبار

(1) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 144)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 287–288).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمكر السيئ، وجاء الوعيدُ بسنة الله تعالى في المكذبين وهي الإهلاك والعذاب. قال تعالى في أول السورة: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [فاطر:4]، وجاء في منتصفها قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر: 25–26]، وفي آخرها قوله تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: 42 – 43][1].

(1) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (6/ 5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (1-8)

بعض أدلة القدرة الإلهية، وبيان رحمته ترغيباً وترهيباً

ويشتمل على أربعة مطالب:

المطلب الأول: قدرة الله تعالى.

المطلب الثاني: رحمة الله ﷻ بالخلق.

المطلب الثالث: النداء الأول تذكير وتسلية.

المطلب الرابع: النداء الثاني أسباب الغرور.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
قدرة الله تعالى

قال تعالى: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر:1].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿فَاطِرِ﴾: أصل الفطر في اللغة الشق عن الشيء مطلقًا، يقال: فطرته فانفطر، وتفطر الشيء أي تشقق، والفطر أيضًا الابتداء والاختراع(1)، وهو المراد هنا(2).

ثانيًا- الإعراب:

* قوله تعالى: ﴿رُسُلًا﴾ تحتمل وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: مفعول ثان لـ ﴿جَاعِلِ﴾ إن كان الجعل بمعنى التصيير، والمعنى: جعل الله ﷻ الملائكة رسلًا أي وسائط بينه وبين الأنبياء-عليهم السلام- مصرفين في أمر الله ﷻ، يبلغون إليهم رسالاته(3).

الوجه الثاني: حال من ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ إن كان الجعل بمعنى الخلق والتكوين، والمعنى: خلق الملائكة حال كونهم رسلًا إلى البشر يبلغون إليهم رسالات ربهم(4).

ثالثًا- المعني الإجمالي:

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ بدأت السورة بتقرير استحقاق الله تعالى للحمد والثناء، فهي سورة قوامها توجيه القلب إلى الله ﷻ، وإيقاظه لرؤية آلائه، واستشعار رحمته وفضله، وامتلاء الحس بهذه البدائع، وفيضه بالتسبيح والحمد والابتهال فهو موجد السموات والأرض ومبدعهما على

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 781)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (3/ 457)، الفائق في غريب الحديث، للزمخشري، (3/ 127)، لسان العرب، لابن منظور، (5/ 56)، الكليات، للكفوي، (ص: 1071).

(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (14/ 319)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، (4/ 387)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي، (11/ 217).

(3) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (2/ 1072)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (2/ 171).

(4) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، (9/ 210).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

غير مثال سابق، عن ابن عباس ﷺ، قال: "ما كنت أدري ما فاطر السموات والأرض حتى أتاني أعربيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها يعني ابتدأتها"[1].

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ والله تعالى القادر خلق الملائكة وجعلهم رسلًا بينه وبين خلقه، يبلغون الأنبياء-عليهم السلام- كلام الله تعالى، ويلهمون الصالحين ما فيه الخير، وجعلهم متفاوتين فى الأجنحة فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، ومنهم من له أكثر من ذلك، كما جاء في الحديث الشريف عن الشيباني، قال سألت زرًا عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ * فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم9–10] قال: أخبرنا عبد الله: **(أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ)**[2]، وأسلوب الآية الأولى يلهم أنَّ ذكر الملائكة ورسالاتهم وأجنحتهم لم يكن مقصودًا لذاته وإنَّما أريد به الإشارة إلى مظهر من مظاهر قدرة الله ﷻ وعظمته في الدرجة الأولى، فالآية مطلقة، وفيما نشهده نحن ونعلمه أشكالًا لا تحصى من الخلق، ووراء ما نعلم أكثر وأكثر، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ أي: زيادة ما شاء من ذلك فيما شاء، ونقصان ما شاء منه ممن شاء، وغير ذلك من الأشياء كلها، لا يمتنع عليه فعل شيء[3].

رابعًا– تحليل المقاصد والأهداف:

وجوب حمد الله تعالى وشكره على إنعامه:

قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٖ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٞ﴾ [فاطر:1].

الله ﷻ مستحق للحمد المطلق؛ لأنَّه الخالق والمالك والمدبر والرازق حقيقة والمتفضل على أوليائه وأعدائه بجميع أنواع النعم ولأنَّ له الكمال المطلق فهو محمود بذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله فلا يقضي سبحانه ولا يقدر ولا يحكم ولا يختار إلا أمرا محمودًا لا نقص فيه ولا عيب بوجه من

(1) البرهان في علوم القرآن، للزركشي، (1/ 293).
(2) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم:10]، ح (4857)، (6/ 141)، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى، ح (174)، (1/ 158).
(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 436)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 222)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 532)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2920–2921)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 518)، التفسير الحديث، لدروزة، (3/ 108).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوجوه. والله ﷻ من أسمائه الحميد لكثرة محامده وكثرة من يحمده من الخلائق، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [الشورى:28]، فله الحمد حمدًا كثيرًا بعدد خلقه وما شاء ربنا مما لا يحصيه إلا هو.

فحمد الله ﷻ مشروع عند حصول النعمة وعند حصول المصيبة وعند الاستفتاح في العبادة وعند الشروع في الدعاء وعند تغير الأحوال وعند وقوع الكربة وعند كل شيء، وحمد الله تعالى له فضائل عظيمة لا يحصيها إلا الله ﷻ فهي تملأ الميزان كما ثبت في صحيح مسلم(1)، وهي حبيبة للرحمن وثقيلة في الميزان كما ثبت في صحيح البخاري(2)، ومن قالها كتبت له حسنات ومحيت عنه خطيئات كما في مسند أحمد(3)، والحمد آخر كلام أهل الجنة قال تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [يونس:10]، والمؤمن إذا حمد الله تعالى في السراء والضراء شعر برضا ويقين في روحه واستسلام مطلق لله ﷻ لأنَّه فوض أمره لله تعالى ورضي بقضائه وقدره واعترف وأقر أنَّ النعم من الله تعالى لا كسب له ولا حول ولا قوة في حصولها من قبل نفسه لأنَّه فقير إلى الله ﷻ وعاجز عن الإحاطة بالنّعم وجاهل بجميع أسباب النعم. فينبغي للمؤمن أن يكون من الحامدين لله ﷻ في السراء والضراء في السر والعلن ليفوز بالثواب وصحبة النبي ﷺ.

قال سيد قطب: "ولا يحتاج القلب المفتوح الواعي الموصول بالله تعالى إلى علم دقيق بمواقع النجوم في السماء، وأحجامها ونسبها، ونسب الفضاء حولها، وطرق سيرها في مداراتها، وعلاقة بعضها ببعض في أحجامها وأوضاعها وحركاتها، لا يحتاج القلب المفتوح الواعي الموصول بالله تعالى إلى علم دقيق بهذا كله ليستشعر الروعة والرهبة أمام هذا الخلق الهائل الجميل العجيب. فحسبه إيقاع هذه المشاهد بذاتها على أوتاره، حسبه مشهد النجوم المتناثرة في الليلة الظلماء. حسبه مشهد النور الفائض في الليلة القمراء... والقرآن يشير إشاراته الموحية لتدبر هذه الخلائق الجليل

---

(1) قال رسول الله ﷺ: (**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَآنِ– أَوْ تَمْلَأُ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)، صحيح مسلم، كتاب الطهارة ، باب فضل الوضوء، ح (223)، (1/ 203).

(2) قال رسول الله ﷺ: (**كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ: سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ العَظِيمِ**)، صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء:47]، ح (7563)، (9/ 163).

(3) قال رسول الله ﷺ: (**مَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ، كُتِبَتْ لَهُ ثَلَاثُونَ حَسَنَةً، أَوْ حُطَّ عَنْهُ ثَلَاثُونَ سَيِّئَةً**)، مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند أبي هريرة ﷺ، ح (8012)، (13/ 387)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (1/ 353).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

منها والدقيق وحسب القلب واحدة منها لإدراك عظمة فاطرها، والتوجه إليه بالتسبيح والحمد والابتهال"[1].

المطلب الثاني
رحمة الله ﷻ بالخلق

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:2].

أولًا- المعاني اللغوية:

﴿مَّا يَفْتَحِ﴾: الفتح: نقيض الإغلاق[2]. ما يفتح الله: أي ما يُرسل الله ﷻ[3].

ثانيًا- المناسبة:

لما بيَّن فى الآية السابقة كمال القدرة ذكر هنا بيان نفوذ المشيئة ونفاذ الأمر[4].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ﴾ شبَّه إرسال النعم بفتح الخزائن للإعطاء وحبس النعم بالإمساك، واستعير الفتح للإطلاق والإمساك للمنع[5].
* الطباق بين: ﴿يَفْتَحِ﴾ و ﴿يُمْسِكْ﴾.
* التعبير بـ ﴿يَفْتَحِ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ﴾ بدلًا من كلمة يرسل مع أنَّ المراد الإرسال: "إيذانا بأنَّها أنفس الخزائن التي يتنافس فيها المتنافسون، وأعزها منالًا"[6].
* اختلاف الضميرين، تأنيث الأول في قوله تعالى: ﴿ مُمْسِكَ لَهَا ۖ﴾ وتذكير الثاني في قوله تعالى:

---

(1) في ظلال القرآن، (5/ 2920).
(2) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (2/ 536).
(3) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (3/ 80)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، (4/ 161)، التفسير الواضح، لحجازي، (3/ 152).
(4) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 596)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 222).
(5) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (3/ 76)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 523)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 221).
(6) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبى السعود، (5/ 463).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿مُرۡسِلَ لَهُۥ﴾ لأنَّ الأول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير فأنثه لتأنيث الرحمة، وترك الثاني على الأصل من التذكير[1].

رابعًا- القراءات:

* قوله تعالى: ﴿وَهُوَ﴾ فيها قراءتان[2].

خامسًا- المعنى الإجمالي:

﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ﴾ أي: شيء يمنحه الله ﷻ لعباده ويتفضل به عليهم من خزائن رحمته، من نعمةٍ، وصحةٍ، وأمنٍ، وعلمٍ، وحكمةٍ، ورزقٍ، وإرسال رسلٍ لهداية الخلق، وغير ذلك من النعم التي لا يحيط بها عدٌّ، فلا يقدر أحدٌ على إمساكه وحرمان خلق الله تعالى منه، فهو الملك الوهاب الذي لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، وفي الحديث كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من الصلاة قال: **(لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ)**[3].

﴿وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ وكذلك ما يغلق من خير عنهم فلا يبسطه عليهم ولا يفتحه لهم، فلا فاتح له سواه؛ لأنَّ الأمور كلها إليه وله، وفي الآية دليل على سبق الرحمة الغضب، وهذه الآية كقوله تعالى: **﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾** [يونس:107].

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ أي: هو تعالى الغالب على كل شيء، الحكيم في صنعه، الذي يفعل ما يريد على مقتضى الحكمة والمصلحة[4].

---

(1) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (3/ 80)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 253)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (3/ 76)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (2/ 171).

(2) ينظر: (ص: 42)، من هذه الرسالة.

(3) صحيح البخاري، كتاب الآذان، باب الذكر عد الصلاة، ح (844)، (1/ 168).

(4) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 437)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 533)، اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (16/ 100)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 519).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

فتح الرحمة والإمساك بيد الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر:2].

إنَّ رحمة الله ﷻ لا يحصيها العدّ، ويعجز الإنسان عن مجرد ملاحقتها وتسجيلها في ذات نفسه، وفيما سخر له من حوله ومن فوقه ومن تحته، إنَّ رحمة الله تعالى لو فتحها سبحانه لأحد من خلقه، فسيجدها في كل شيء، وفي كل موضع، وفي كل حال، وفي كل مكان، وفي كل زمان، فإنَّه لا ممسك لها، يجدها في نفسه وفي مشاعره، ويجدها فيما حوله، وحيثما كان وكيفما كان، وما من نعمة يمسك الله تعالى معها رحمته حتى تنقلب هي بذاتها نقمة، وما من محنة تحفها رحمة الله ﷻ حتى تكون هي بذاتها نعمة، ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله ﷻ فإذا هو مهاد، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه رحمة الله ﷻ فإذا هو شوك، ويعالج أعسر الأمور برحمة الله ﷻفإذا هي هوادة ويسر، ويعالج أيسر الأمور وقد تخلت رحمة الله ﷻ فإذا هي مشقة وعسر، ويخوض بها المخاوف والأخطار فإذا هي أمن وسلام، ويبسط الله ﷻ الرزق مع رحمته ﷻ فإذا هو متاع طيب ورخاء، وإذا هو رغد في الدنيا وزاد إلى الآخرة، ويمسك رحمته، فإذا هو مثار قلق وخوف، ويمنح الله ﷻ الذرية مع رحمته فإذا هي زينة في الحياة ومصدر فرح واستمتاع، ومضاعفة للأجر في الآخرة بالخلف الصالح الذي يذكر الله ﷻ، ويمسك رحمته فإذا الذرية بلاء ونكد وعنت وشقاء، وسهر بالليل وتعب بالنهار، ويهب الله ﷻ الصحة والقوة مع رحمته فإذا هي نعمة وحياة طيبة، والتذاذ بالحياة، ويمسك نعمته فإذا الصحة والقوة بلاء يسلطه الله تعالى على الصحيح القوي، فينفق الصحة والقوة فيما يحطم الجسم ويفسد الروح، ويدخر السوء ليوم الحساب، ويعطي الله تعالى السلطان والجاه مع رحمته فإذا هي أداة إصلاح، ومصدر أمن، ووسيلة لادخار الطيب الصالح من العمل والأثر، ويمسك الله رحمته فإذا الجاه والسلطان مصدر قلق على فوتهما، ومصدر طغيان وبغي بهما، ومثار حقد وموجدة على صاحبهما لا يقر له معهما قرار، ولا يستمتع بجاه ولا سلطان، ويدخر بهما للآخرة رصيدًا ضخمًا من النار والعلم الغزير، والعمر الطويل، والمقام الطيب، كلها تتغير وتتبدل من حال إلى حال مع الإمساك ومع الإرسال وقليل من المعرفة يثمر وينفع، وقليل من العمر يبارك الله فيه، وزهيد من المتاع يجعل الله ﷻ فيه السعادة، ورحمة الله ﷻ لا تعز على طالب في أي مكان ولا في أي حال، وجدها إبراهيم ﵇ في النار، ووجدها يوسف ﵇ في الجب كما وجدها في السجن، ووجدها يونس ﵇ في بطن الحوت في ظلمات ثلاث، ووجدها موسى ﵇ في اليمّ وهو طفل مجرد من كل قوة ومن كل حراسة، كما وجدها في قصر فرعون وهو عدو له

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

متربص به ويبحث عنه، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور، ووجدها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار والقوم يتعقبونهما ويقصون الآثار، ووجدها كل من آوى إليها يأسًا من كل ما سواها، منقطعًا عن كل شبهة في قوة، وعن كل مظنة في رحمة، قاصدًا باب الله تعالى وحده دون الأبواب[1].

فالمؤمن إذا علم أنَّ الله ﷻ إذا فتح أبواب رحمته لأحد فلا ممسك لها، ومتى أمسكها فلا مرسل له، كانت مخافته من الله تعالى، ورجاؤه في الله تعالى إنَّما هي مشيئة الله تعالى، ما يفتح الله فلا ممسك، وما يمسك الله فلا مرسل، يقدر بلا معقب على الإرسال والإمساك. ويرسل ويمسك وفق حكمته، فلو استقر هذا المعنى في قلب إنسان لصمد كالطود للأحداث والأشخاص والقوى والقيم، ولو تضافر عليها الإنس والجن، وهم لا يفتحون رحمة الله تعالى حين يمسكها، ولا يمسكونها حين يفتحها، إنَّها رحمة الله ﷻ يفتح الله تعالى بابها ويسكب فيضها في آية من آياته، آية من القرآن تفتح كوة من النور، وتفجر ينبوعًا من الرحمة، وتشق طريقًا ممهودًا إلى الرضا والثقة والطمأنينة والراحة.

المطلب الثالث
النداء الأول تذكير وتسلية

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ * وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [فاطر:3-4].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿تُؤۡفَكُونَ﴾: من الإفك بمعنى الكذب سمي إفكًا لأنَّه مصروف عن الحق والصواب[2].

تؤفكون: أي كيف تصرفون عن توحيده[3].

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (2922/5،2923).

(2) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (4/ 1572)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (1/ 118).

(3) ينظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 571)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، (3/ 312)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 517)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 336)،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا- المناسبة:

لما بيَّن أنَّ الحمد لله ﷻ وبيَّن بعض وجوه النعمة التي تستوجب الحمد على سبيل التفصيل بين هنا نعمه على سبيل الإجمال، فأمر بهذه الآيات بذكر نعمته بالاعتراف أنَّها منه، فإنَّ الذكر يقود إلى الشكر، والنداء عام يشمل ذكر الناس جميعًا، كما يلتفت الخطاب إلى النبي ﷺ تسليةً له وتعزيةً، وتأسيًا بمن سبقه من الأنبياء-عليهم السلام-، وما سجلوه من صفحاتٍ مضيئةٍ بالصبرِ والصمود في مواجهة تكذيب أقوامهم وإعراضهم(1).

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* الاستفهام في قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ للتقرير، والإنكار، والتوبيخ، والمعنى: لا خالق سواه يرزقكم من السماء والأرض، واختير الاستفهام بـ ﴿هَلْ﴾ دون الهمزة لما في أصل معنى هل من الدلالة على التحقيق والتصديق لأنَّها في الأصل بمعنى قد(2).

* إفراد التكذيب بالذكر في قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾ اهتمامًا بالتسلية تنبيهًا على أنَّ الأكثر يكذب(3).

* تنكير رسل في قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ﴾ لما في التنكير من الدلالة على تعظيم أولئك الرسل زيادة على جانب صفة الرسالة والمعنى: فقد كذبت رسل، أى رسل ذوو عدد كثير، وأولو آيات ونذر، وأهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم، وما أشبه ذلك. وهذا أسلى له، وأحث على المصابرة(4).

رابعًا- القراءات:

* قوله تعالى: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ﴾ في ﴿غَيْرُ﴾ قراءتان.

---

(1) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 222)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 8)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبى السعود، (5/ 463)، تفسير المراغي، (22/ 106)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (6/ 247).

(2) ينظر: تفسير السمعاني، (4/ 345) زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (3/ 506)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي، (11/ 220)، التفسير الوسيط، للواحدي، (3/ 501)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 254).

(3) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 10).

(4) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 598) مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (3/ 77)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 257).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ- قرأ حمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر بخفض الراء ﴿غَيْرِ﴾.

ب- وقرأ الباقون برفعها ﴿غَيْرُ﴾[1].

- وحجة من خفض الراء: نعتا لـ ﴿خَٰلِقٍ﴾ على اللفظ، لأنَّ: ﴿هَلْ﴾ حرف استفهام و ﴿مِنْ﴾ حرف جرّ زائد، و ﴿خَٰلِقٍ﴾ مبتدأ، والخبر جملة ﴿يَرْزُقُكُم﴾.

- وحجة من قرأ بالرفع: صفة لـ ﴿خَٰلِقٍ﴾ على المحل، و ﴿مِنْ﴾ زائدة للتأكيد، و ﴿خَٰلِقٍ﴾ مبتدأ، والخبر جملة ﴿يَرْزُقُكُم﴾[2].

- الجمع بين القراءتين: من قرأ ﴿غَيْرِ﴾ فهي نعت لـ ﴿خَٰلِقٍ﴾، ومن قرأ ﴿غَيْرُ﴾ فهي صفة لـ ﴿خَٰلِقٍ﴾ فالله ﷻ ينبه عباده ويرشدهم إلى الاستدلال على توحيده في إفراد العبادة له، كما أنَّه المستقل بالخلق والرزق فكذلك فليفرد بالعبادة، ولا يشرك به غيره. والله أعلم[3].

* قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ في ﴿تُرْجَعُ﴾ قراءتان.

أ- قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بفتح التاء وكسر الجيم ﴿تَرْجِعُ﴾.

ب- وقرأ الباقون بضم التاء وفتح الجيم ﴿تُرْجَعُ﴾[4].

- وحجة من فتح التاء وكسر الجيم: أنَّه أراد تصير.

- وحجة من ضم التاء وكسر الجيم: أنَّه أراد ترد[5].

- وبالجمع بين القراءتين: من قرأ ﴿تَرْجِعُ﴾ على أنَّه مسمى الفاعل، ومن قرأ ﴿ تُرْجَعُ﴾ على بناء الفعل للمجهول، فالآية فيها وعيد وتهديد للمكذبين، فسيرجعون إلى الله ﷻ لا محالة، وسيجزيهم على تكذيبهم للرسول ﷺ. والله أعلم.

---

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 351).

(2) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 296)، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، لمكي، (210/2)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 163).

(3) ينظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 533).

(4) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 208).

(5) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 95)، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، لمكي، (289/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا- المعنى الإجمالي:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ هذا هو النداء الأول في هذه السورة الكريمة، يأمر الله ﷻ جميع الناس أن يذكروا نعمته عليهم، وهذا شامل لذكرها بالقلب اعترافًا، وباللسان ثناءً، وبالجوارح انقيادًا، فإنَّ ذكر نعمه تعالى داع لشكره، ثم نبههم على أصول النعم، وهي الخلق والرزق، قال تعالى: ﴿هَلۡ مِنۡ خَـٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ فلا خالق غيره تعالى، فهو المنعم على العباد بالرزق والعطاء، فهو الذي ينزل المطر من السماء، ويخرج النبات من الأرض، فكيف تشركون معه ما لا يخلق ولا يرزق من الأوثان والأصنام؟ ولهذا قال تعالى بعده: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ﴾ أي: لا ربَّ ولا معبود إلا الله تعالى الواحد الأحد، ﴿فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ أي: فكيف تُصرفون بعد هذا البيان، ووضوح البرهان، إلى عبادة الأوثان؟(1).

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَۚ﴾ تسلية للنبي ﷺ على تكذيب قومه له والمعنى: وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون فلا تحزن لتكذيبهم، ولا يعظم عليك، فهذه سنة الله ﷻ في الأنبياء من قبلك، فقد كُذّبوا وأُوذوا حتى أتاهم نصرنا، فلك بهم أسوة، ولا بدَّ أن ينصرك الله ﷻ عليهم، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾ أي: إلى الله تعالى وحده مرجع أمرك وأمرهم، وسيجازي كلًا بعمله، وفيه وعيد وتهديد للمكذبين(2).

سادسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- وجوب شكر الله ﷻ على نعمه العديدة:

إنَّ الله ﷻ قد أنعم علينا نعمًا كثيرة لا تعد ولا تحصى قال تعالى: ﴿**وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ**﴾ [إبراهيم:34]، وقال تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ**﴾ [النحل:18]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَـٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾ [فاطر:3]، وقد نبه الله ﷻ في كتابه الكريم إلى كثير من النعم، فأكثر الحديث عنها، ووجه الأنظار، وقرر عباده بها ليدفعهم إلى التفكير ف129129ي مصدرها وموجدها، وأنَّه جدير بالعبادة، ولِما يثير شكر هذه النعم في أنفسهم من محبةٍ لبارئها ولا سيما أنَّ هذه النعم ليست

(1) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: 684)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 519)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (6/ 247).

(2) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 438)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 519).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فى طاقة البشر، والتذكير بنعم الله ﷻ يوقظ القلب الغافل وينبهه على ما يرتع فيه الإنسان من خيرات عظيمة ونعم جليلة، فيكون ذلك أدعى للاستجابة لهدى الله ﷻ والدخول في طاعته، فالنعمة لابد لها من منعم، وهذه النعم الكثيرة على الإنسان إنَّما هي من صنع الله ﷻ الواحد لا شريك له، لذلك وجب على العباد شكر المنعم وتوحيده، ومعظم الآيات التى تتحدث عن النعم تكون مختومة بالتنديد بالمشركين الذين يعبدون الأوثان من دون الله تعالى ولم يوحدوا الله ﷻ(1).

إنَّ شكر الله ﷻ على نعمه العديدة صفة من صفات الأنبياء والمرسلين–عليهم السلام– وعباد الله تعالى الصالحين، وهو سبب لدوام النعم وعدم تحولها أو زوالها، فأكثر الناس ليسوا من الشاكرين، وقليل فقط هم من يشكرون الله ﷻ على نعمه التي لا تعد ولا تحصى، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:13]، وشكر النعم سببٌ في زيادتها كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:7].

والشكر يكون: "بالقلب خضوعًا واستكانة، وباللسان ثناءً واعترافًا، وبالجوارح طاعةً وانقيادًا"(2).

فعلى الإنسان استغلال النعم بما يرضي الله ﷻ والحرص على عدم إساءة استخدامها، وإذا رأى من يسيء استخدامها أو يهدرها فعليه أن يتوجه إليه بالنصح وأن يعينه على الخير.

2- تسلية النبي ﷺ:

تكررت الآيات التي احتوت على تسلية النبي ﷺ وتثبيته والتخفيف عنه وتنوعت أساليبها في هذه السورة، قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [فاطر:4]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [فاطر:8]، وقال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر:25].

مما يمكن أن يدل على أنَّها نزلت في ظرف كان فيه النبي ﷺ شديد الحزن والحسرة على هداية قومه، وما هم فيه من العناد والتكذيب والصد والمكر، فاقتضت حكمة التنزيل موالاة التطمين له وتسليته والتهوين عليه وإخباره بأنَّه ليس مسؤولًا عن هدايتهم ولا هو وكيلًا عليهم ولا جبَّارًا ولا

(1) ينظر: عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، لملكاوي، (ص: 230).
(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، (2/ 237).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مسيطرًا، وإنَّما هو نذير وبشير، كما يلحظ تكرر تسلية النبي ﷺ كثيرًا في السور المكية أكثر من السور المدنية، كما قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:6]، وقال تعالى: ﴿طه * مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ * إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ﴾ [طه:1 –3]، وغيرها من الآيات(1).

المطلب الرابع
النداء الثاني أسباب الغرور

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ*إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ * ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ * أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر:5–8].

أولًا– المعانى اللغوية:

﴿تَغُرَّنَّكُمُ﴾: يقال: غرَّ فلانًا: أي خَدَعه وأطمعه بالباطل، واغتر بالشيء: أي خدع به(2). تغرنكم: أي لا تخدعنكم ولا تلهينكم بالزخارف والملذات(3).

﴿ٱلۡغَرُورُ﴾: جمع غر وأصل الغرور الغفلة(4). والغرور: ما يغتر ويخدع من شيطان وغيره(5).

---

(1) ينظر: التفسير الحديث، لدروزة ، (3/ 118).

(2) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (8/ 4883)، لسان العرب، لابن منظور، (5/ 16)، معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (2/ 1604)،

(3) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 599)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، للأنجري، (4/ 518)، التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء، (8/ 106).

(4) ينظر: معجم الفروق اللغوية، للعسكري، (ص: 384)،

(5) ينظر: تفسير مقاتل، (3/ 552)، بحر العلوم، للسمرقندي، (3/ 81)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري، (2/ 683).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾: مفرد حسرة، يقال: حسر على الشيء، أي أسف وحزن عليه[1]. فلا تذهب نفسك عليهم حسرات: أي لا تهلك نفسك عليهم غمومًا وأحزانًا لكفرهم[2].

ثانيًا- المناسبة:

بعد الدعوة إلى تذكر نعمه تعالى واستحضارها، والدعوة إلى التوحيد الخالص، تأتي آيات هذا المقطع بالتحذير من الاغترار بالدنيا وزخرفها والاغترار بوساوس الشيطان، والوقوع في شراكه ومكائده والانتماء إلى حزبه وأوليائه، فإنَّما يدعو حزبَه إلى السعير، وهي مصير أهل الكفر والعصيان، أمَّا أهل الإيمان والصلاح فلهم من الله ﷻ مغفرة وأجرٌ كبيرٌ على صالحِ أعمالهم، ثم تبيّن الآيات سببًا من أسباب الصدود والإعراض وهو الاغترار بالباطل وزخارفه، ومن هنا جمعت الآيات بين التحذير من الاغترار بالدنيا والشيطان والاغترار بالنفس وهو العجب[3].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* إعادة النداء في قوله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾ بعد النداء الأول في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ لتأكيد العظة والتذكير[4].

* الإطناب في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾، ثم قال تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾[5].

* المقابلة بين جزاء الأبرر والفجار في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ﴾.

* الطباق بين: ﴿يُضِلُّ﴾ و ﴿يَهۡدِى﴾.

---

(1) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (1/ 493).

(2) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 441)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (3/ 1446)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، للشنقيطي، (1/ 476)، التفسير المظهري، (8/ 44).

(3) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (6/ 249).

(4) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبى السعود، (5/ 465).

(5) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 523)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 228).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* التعبير بالجمع في كلمة ﴿حَسَرَٰتٍۚ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ للدلالة على تضاعف اغتمامه ﷺ على أحوالهم أو كثرة قبائح أعمالهم[1].

* التعبير بـ ﴿ يَصۡنَعُونَ﴾ دون يعملون في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ "للإشارة إلى أنهم يدبرون مكائد للنبيء ﷺ وللمسلمين فيكون هذا الكلام إيذانًا بوجود باعث آخر على النزع عن الحسرة عليهم"[2].

* اشتمال الآية الكريمة على فاءات أربع فى قوله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ "للسببية والتفريع وهي التي بلغ بها نظم الآية إلى هذا الإيجاز البالغ حد الإعجاز"[3].

رابعًا- الإعراب:

* قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ * ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ﴾ تحتمل ﴿ٱلَّذِينَ﴾ ثلاثة أوجه من الإعراب:

الوجه الأول: في محل رفع مبتدأ وما بعده الخبر[4]، والمعنى: الذين كفروا لهم عذاب شديد لا يقدر قدره ولا يوصف هوله[5].

الوجه الثاني: في محل نصب صفة لـ ﴿حِزۡبَهُۥ﴾ أو بدلًا منه[6]، والمعنى: إنَّ الشيطان لكم عدو فاحذروه ولا تطيعوه، إنَّما غرضه أن يقذف بأتباعه الذين كفروا في نار جهنم[7].

---

(1) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 254)، روح البيان، لحقي، (7/ 321).
(2) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 267).
(3) المرجع السابق، (22/ 266).
(4) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (1073/2)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، (213/9).
(5) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 262)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 520).
(6) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (2/ 1073).
(7) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 439)، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم، للباحثة: إيمان عامر، رسالة ماجستير، (ص:98).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الوجه الثالث: في محل جر صفة لـ ﴿أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾، أو بدلًا منه[1]، والمعنى: احذروا الشيطان وعداوته، لأنَّ هدفه أن يكون أتباعه من أصحاب السعير، الذين كفروا فيلقون جميعًا فى العذاب الشديد معه[2].

خامسًا- القراءات:

* قوله تعالى: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ﴾ فيهما قراءتان.

أ- قرأ أبو جعفر بضم التاء وكسر الهاء، ونصب السين ﴿تُذۡهِبۡ نَفۡسَكَ﴾.

ب- وقرأ الباقون بفتح التاء والهاء، ورفع السين ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ﴾[3].

- وحجة من ضم التاء وكسر الهاء، ونصب السين: أنَّها من الفعل أذهب، و ﴿نَفۡسَكَ﴾ مفعول به، أي فلا تذهب أنت نفسك[4].

- وحجة من فتح التاء والهاء، ورفع السين: أنَّها من الفعل ذهب و ﴿نَفۡسُكَ﴾ فاعل[5].

- الجمع بين القراءتين: من قرأ ﴿تُذۡهِبۡ نَفۡسَكَ﴾على أنَّ الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت، والمراد به النبي محمد ﷺ، ومن قرأ ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ﴾ على أنَّ نفسك هي الفاعل، فالقراءتان متقاربتان، فالآية تخاطب النبي ﷺ. والله أعلم.

سادسًا- المعني الإجمالي:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ هذا هو النداء الثاني في السورة الكريمة، فوعد الله ﷻ كائن لا محالة، إنَّه واقع لا يتخلف، فهو حق والحق لا بد أن يقع، والحق لا يضيع ولا يبطل ولا يتبدد ولا يحيد، ولكن الحياة الدنيا تغر وتخدع، ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ أي: الشيطان المبالغ في خداعكم، وفي صرفكم عن كل ما هو خير.

---

(1) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (2/ 1073).
(2) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (14/ 324)، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم، للباحثة: إيمان عامر، رسالة ماجستير، (ص:98).
(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 351).
(4) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي، (ص: 462-463)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 164).
(5) ينظر: الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 164).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾: تأكيدٌ لعداوته ودعوةٌ لأخذِ الحذرِ والحيطةِ منه ومن مكائده ومصائده، والترهيب من سوء عاقبة من والاه وسلَّم له الزمام فقاده إلى عذاب السعير، وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلۡجِنِّ فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُّۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف: 50].

قال سيد قطب: "فهل من عاقل يجيب دعوة الداعي إلى عذاب السعير؟! إنَّها لمسة وجدانية صادقة، فحين يستحضر الإنسان صورة المعركة الخالدة بينه وبين عدوه الشيطان، فإنَّه يتحفز بكل قواه وبكل يقظته وبغريزة الدفاع عن النفس وحماية الذات"(1).

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ﴾ بيَّن الله تعالى حال الفريقين الفريق المطيع لإبليس والمتحزِّب له، والفريق الذي عصمه الله ﷻ من فتنة إبليس وجنوده، أمَّا فريق الكافرين فلهم عذاب شديدٌ وأمَّا أهل الإيمان والصلاح فلهم مغفرة وأجر كبير.

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ﴾ أي: مَن حسَّنَ له الشيطان أعماله السيئة من معاصي الله ﷻ والكفر به، فرآه حسنا، وظن أنَّ قبحه جميل، لتزيين الشيطان ذلك له، فلا تغتمَّ لكفرهم ولا تتحسَّر على تركهم الإيمان فإنَّ الله ﷻ حكيم في قدره، فهو يضل من يضل من عباده ويهدى من يشاء لما له في ذلك من الحجة البالغة، والعلم التام باستعداد النفوس، ونحو هذه الآية قوله تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف:6]، ثم هدد الله تعالى الكافرين على قبيح أعمالهم فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ أي: إنَّ الله ﷻ عليم بما يصنعون من القبائح، فيجازيهم عليه بما يستحقون، وفي هذا وعيد تهد منه الجبال وتدك منه الأرض دكا(2).

---

(1) في ظلال القرآن، (5/ 2926).

(2) ينظر: الوجيز للواحدي، (ص: 890)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 534)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2926)، في صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 520)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (6/ 250).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- وعد الله ﷻ حق:

إنَّ الثقة بوعد الله ﷻ من الأسس التي يجب على المسلمين أن يؤمنوا بها إيمانًا راسخًا لا يشوبه ريب، ولا يخالطه شك، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ﴾ [فاطر:5]، أمَّا عدم الثقة بوعد الله ﷻ أو مجرد الشك في ذلك فهو من صفات الكفار والذين في قلوبهم مرض، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ﴾ [البقرة:26]، فوعد الله ﷻ حقّ في كل ما أخبر به أنَّه يكون، فوعده في القيامة حقّ، ووعده لمن أطاعه بكفاية الأمور حقّ، ووعده للمطيعين في الآخرة بوجود الكرامة حقّ، وللعاصين بالندامة حقّ، فإذا علم العبد ذلك استعدّ للموت، ولم يهتم بالرزق، فينشط العبد في استكثار الطاعة ثقة بالوعد، ولا يلمّ بالمخالفات خوفًا من الوعيد.

وقد وعد الله ﷻ رسوله ﷺ بالنصر والفرج مرات كثيرة، وفي مناسبات عديدة، ولم يخلف الله ﷻ وعده، وفي قصص الأنبياء-عليهم السلام- آيات مفصلات بتحقيق وعد الله ﷻ لهم وتمكينهم في الأرض، وحقائق ثابتة راسخة بثقتهم بإنجاز وعده لهم، ونصره إياهم رغم الاستهزاء والسخرية والتكذيب والأوضاع الصعبة التي كانوا عليها والتي سردها القرآن الكريم ليثبت بها الأنبياء-عليهم السلام- وبالتالي ليثبت بها الدعاة على القيام بأعباء الدعوة، وبتحقق وعد الله ﷻ لهم. قال تعالى: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [هود:120].

يجب أن نكون على ثقة بتحقق الوعود التي مازالت في علم الغيب؛ فالنصر آت، والعزة آتية، والدولة الإسلامية التي سيعز الله ﷻ بها الإسلام وأهله، ويذل الكفر وأهله بإذن الله ﷻ لابد قائمة من جديد، كما أخبر الرسول ﷺ بذلك حيث قال رسول الله ﷺ: (**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللهِ هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ**)[1].

والدعاة يجب أن يكونوا على يقين بذلك كله؛ لأنَّ هذا ما وعدنا الله ورسوله، وصدق الله ورسوله، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾

(1) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، ح (2922)، (4/ 2239).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[غافر:51]، ثُمَّ إنَّ الوعد حق ثابت لأنَّ الله تعالى أوجبه على نفسه كرمًا منه وفضلًا، وليس لمخلوق أن يوجب على الله ﷻ شيئًا، وليس لأحد استحقاق على الله تعالى(1)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية ناقلا عن أهل السنة: "واتفقوا على أنَّ الله تعالى إذا وعد عباده شيئا كان وقوعه واجبًا بحكم وعده، فإنَّه الصادق في خبره، الذي لا يخلف الميعاد"(2).

2- التحذير من فتنة الدنيا وفتنة الشيطان، وبيان معاداته للإنسان، وأخذ الحيطة والحذر منه:

إنَّ من أعظمِ المصائب التي تَصرِف العبادَ عن خالقهم شيئان، وهما: الافتتان بالدُّنيا ولَذَّاتِها، والانصياع إلى أوامر الشياطين، فهما تلهيان العبد عن الاستعداد للقاء هذا الوعد الحق وقد حَذَّرنا الله ﷻ من هاتين الخصلتين الخطيرتين في كتابه العزيز؛ كما قال تعالى: ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ*إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ**﴾ [فاطر:5-6].

وقد حذرنا من عداوة الشيطان للإنسان بعد ما قصَّ لنا ما دار بين إبليس وآدم عليه السلام وحواء أن لا يفتننا الشيطان، كما فتن إبليس أبَوَيْنا، وأخرجهما من الجنة، حتى نزع عنهما لباسهما، قال تعالى: ﴿**يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ يَنزِعُ عَنۡهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوۡءَٰتِهِمَآۚ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمۡ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنۡ حَيۡثُ لَا تَرَوۡنَهُمۡۗ إِنَّا جَعَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ**﴾ [الأعراف:27].

فعداوة الشيطان قديمة منذ خَلْقِ آدم عليه السلام وحتى يومنا هذا وحتى قيام الساعة مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوّٞۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرّٞ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٖ**﴾ [البقرة:36]، ولذلك فإنَّ الشيطان لا يتورع في عداوته لبني آدم عليه السلام عن أذيتهم بجميع الطرق سواءً بالمس أو بالوسوسة أو بالإغواء...إلخ.

وكذلك حذرنا الله ﷻ ورسوله ﷺ من فتنة الدنيا وزخرفها قال رسول الله ﷺ: (**فَوَاللَّهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**)(3)، وكان النبي ﷺ من أكثر الناس بُعدًا عن الدنيا وفتنتها عن عبد الله رضي الله عنه، قال: (**نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقُلْنَا: يَا**

---

(1) ينظر: لطائف الإشارات، للقشيري، (3/ 193).

(2) منهاج السنة النبوية، (1/ 448).

(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، ح (6425)، (4/ 97).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً، فَقَالَ: مَا لِي وَلِلدُّنْيَا، مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا)[1]، وكان النبي ﷺ يوصي أصحابه بالتقلل من الدنيا وزينتها، عن عبد الله بن عمر ﷺ، قال: (**أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ، يَقُولُ: إِذَا أَمْسَيْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلاَ تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ)**[2]، ولقد ذم الله ﷻ الذين يؤثرون الدنيا على الآخرة في كثير من آياته قال تعالى: ﴿**بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ**﴾ [الأعلى:16–17][3]، فإيثار الدنيا على الآخرة يظهر جليًّا على تصرفات الناس، فنحن نرى الناس يتراكضون لطلب الدنيا، مسرعين يخافون أن تفوتهم، ونراهم يقعدون ويتأخرون عن حضور المساجد لأداء الصلوات الخمس التي هي عمود الدين، كم نراهم يجلسون في الشوارع والدكاكين الساعات الطويلة، وقد يقاسون شدة الحر أو البرد لطلب الدنيا، بينما لا نراهم يصبرون على الجلوس دقائق معدودة في المسجد لأداء الصلاة أو تلاوة كتاب الله ﷻ، كم نرى كثيرًا من شباب المسلمين يتسابقون إلى ملاعب الكرة، ويدفعون الدراهم للحصول على تذاكر الدخول، ثم يحتشدون فيها ألوفًا مؤلفة، وربما يقضون النهار ويسهرون الليل واقفين على أقدامهم، شاخصة أبصارهم، ناصبة أبدانهم، مبحوحة أصواتهم، يتحملون كل هذه المتاعب في سبيل الشهوات المذمومة، وإذا دعوا إلى حضور الصلوات في المساجد عموا وصمّوا، وولوا وأعرضوا، كأن المؤذن يدعوهم إلى سجن، أو كأنَّه يطلب منهم مذمة، هذا حال الكثير منَّا اليوم، إقبال على الدنيا وإدبار عن الآخرة، لا نعتبر بمن سبقنا، ولا ننظر إلى من حولنا، لا نتأثر بموعظة، ولا ننتفع بذكرى، نسأل الله ﷻ أن يمُنَّ علينا بالتوبة، ويوقظ قلوبنا من الغفلة، إنَّه سميع مجيب.

هذه حقيقة الحياة الدنيا، والذي لا يعرف هذه الحقيقة مغرور هالك، لأنَّ الكمال فيها مستحيل، والنعيم الدائم فيها محال، وأهل الآخرة فيها غرباء، وأهل الباطل والعنت بها أشقياء، ولهذا أعد الله ﷻ أعظم وأكمل وأتم نعيم لعباده المؤمنين المتقين، وأوليائه الصالحين المصلحين، وأحبابه المحبين الصابرين، ألا وهو نعيم الجنة دار السلام، فهي دار طهرها الله ﷻ وسلمها من كل آفة ومرض، وكل هم وحزن وكدر، وسلمها من كل العاهات، والمحرمات.

---

(1) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في أخذ المال، ح (2377)، (4/ 588)، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (2/ 989).

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: (كن فى الدنيا كانك غريب أو عابري سبيل)، ح (6416)، (8/ 89).

(3) ينظر: لطائف الإشارات، للقشيري، (3/ 193)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2926).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (9-14)

آيات اللّه ﷻ فى الكون الدالة على قدرته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (9-14)

آيات الله ﷻ فى الكون الدالة على قدرته

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ * مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ * وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ * وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ وَمِن كُلّٖ تَأۡكُلُونَ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُونَ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَاۖ وَتَرَى ٱلۡفُلۡكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ * يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَۖ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ* إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ [فاطر:9-14].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾: يقال: أثار الشيء: أي هاجه، أعاده مرَّة بعد مرَّة(1). فتثير سحابًا: أي تحركه وتهيجه(2).

﴿ٱلنُّشُورُ﴾: مصدر نشر، نشَرَ يَنشُر نَشْرًا ونُشُورًا، فهو ناشِر، نشَر الله تعالى الموتَى: أي بعَثَهم وأحْياهم(3). النشور: بعث الموتى من القبور للحساب(4).

(1) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (1/ 335).
(2) ينظر: أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 189).
(3) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة ، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (3/ 2211).
(4) ينظر: أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1068).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ﴾: العز خلاف الذل، وهو في الأصل: القوة والشدة والغلبة والرفعة والامتناع، يقال: عَزَّ فلانٌ، أي صَار عَزِيزًا، أي قَوِيَ بعد ذِلَّة[1]. العزة: الشرف والمنعة[2].

﴿يَبُورُ﴾: يقال: بَار يَبُوُر بَورًا وبوارًا: هلك، وبارت السلعة كسدت وأباره: أهلكه، والبور الفاسد الهالك الذي لا خير فيه يقال: امرأة بور وقوم بور[3]. يبور: أي مايفسد ويبطل[4].

﴿مُّعَمَّرٍ﴾: عمَّرَ يُعمِّر، تعميرًا، فهو مُعمِّر، والمفعول مُعمَّر يقال: رجل معمر أي عاش زمنًا طويلًا[5]. مُعمَّرٌ: طويل العمر[6].

﴿عَذۡبٌ فُرَاتٌ﴾: فاعل من فَرُت، والفرات: الماء العذب[7]. عذب فرات: طيب حلو شديد العذوبة[8].

﴿سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ﴾: ساغ الطعام أو الشراب في الحلق: سهل مدخله في الحلق، يقال: لقمة سائغة أي سهلة البلع[9]. سائغ: أي مريء سهل انحداره[10].

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (3/ 885)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (7/ 4280)، لسان العرب، لابن منظور، (5/ 375).

(2) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 255)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، (3/ 315)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، للأنجري، (4/ 522)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 228).

(3) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، (10/ 253-254).

(4) ينظر: غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص: 360)، زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (3/ 508)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 392).

(5) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (2/ 1551).

(6) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 603)، تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 228).

(7) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (8/ 5149).

(8) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (3/ 82)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، (8/ 102)، مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، (ص: 327).

(9) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (5/ 3273).

(10) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، (3/ 317).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾: فاعل من أجَّ، يقال: أجَّ الماءُ: إذا اشتدَّت ملوحتُه[1]. أجاج: شديد الملوحة أو المرارة[2].

﴿حِلْيَةً﴾: هي ما يُتزيّن به من المصوغات أو الأحجار الثَّمينة[3]. حلية: اللؤلو والمرجان[4].

﴿مَوَاخِرَ﴾: المخر: الشق، وقد مخرت السفينة تمخر، وتَمْخُرُ مَخْرًا ومُخورًا إذا جرتْ تشقُّ الماء مع صوت[5]. مواخر: جواري تشق الماء [6].

﴿يُولِجُ﴾: أولج المفتاحَ في القُفْل أي أدخله فيه[7]. يولج: يدخل[8].

﴿قِطْمِيرٍ﴾: القطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها[9]. قطمير: أي القشرة الرقيقة على النواة [10].

---

(1) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (1/ 64).
(2) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، (8/ 102)، مفردات غريب القرآن، للأصفهاني، (ص: 10)، تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 573)، التفسير الوسيط، للواحدي، (3/ 503)،
(3) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، (37/ 469).
(4) ينظر: جامع البيان، للطبري، (14/ 185)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، للأنجري، (4/ 526)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 229).
(5) ينظر: غريب الحديث، للقاسم بن سلام، (2/ 193)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 376)، لسان العرب، لابن منظور، (5/ 160).
(6) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 450)، غريب القرآن، لابن قتيبة، (ص: 360)، بحر العلوم، للسمرقندي، (3/ 83)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، (8/ 103)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (3/ 691).
(7) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (3/ 2491).
(8) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (4/ 499)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، (3/ 319)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 229).
(9) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 797)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (5/ 119)، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، لأبي حيان، (ص: 258)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي، (ص: 464).
(10) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، (8/ 103)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، (3/ 319)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 522)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 345).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا- المناسبة:

بعد الإخبار فى الآيات السابقة عن عذاب الكفار الشديد، والمغفرة والأجر الكبير للمؤمنين يوم القيامة، أردف ذلك بيان أنَّ هذا اليوم لا ريب فيه، فأقام الدليل بضرب المثل على البعث بإحياء الأرض بعد موتها الذي يدل على تحققه لا محالة، ثم استدل علي البعث أيضًا بخلق الإنسان ومروره في أطوار مختلفة، ثم أعقب ذكر البراهين المختلفة على وحدانيته وعظيم قدرته بخلقه الأشياء المتحدة في الجنس المختلفة في المنافع[1].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* التعبير بالمضارع في قوله تعالى: ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ دون ما قبله، وما بعده؟ استحضارًا لتلك الصورة البديعة الدالة على كمال القدرة الربانية، ليحكى الحال التي تقع فيها إثارة الرياح السحاب، ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار الأمر[2].

* الالتفات في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ﴾ من الغيبة إلى التكلم للإشعار بالعظمة[3].

* التشبيه المرسل للبعث بإحياء الأرض بعد موتها قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ وجه التشبيه كما ذكرها الرازي من ثلاثة وجوه: أحدها: "أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة، وثانيها: كما أن الريح يجمع القطع السحابية كذلك يجمع بين أجزاء الأعضاء وأبعاض الأشياء، وثالثها: كما أنَّا نسوق الريح والسحاب إلى البلد الميت نسوق الروح والحياة إلى البدن الميت"[4].

---

(1) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 111-115)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 235).
(2) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 601)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 255)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (9/ 16)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 16)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 390).
(3) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 523).
(4) مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، (26/ 225).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* اثبات العزة هنا لله ﷻ في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾، وفي آية أخرى أثبت العزة لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، قال تعالى: ﴿**وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ**﴾ [المنافقون:8]، ووجه الجمع بينهما: "أن عزّ الربوبية لله ﷻ وصفًا، وعزّ الرسول ﷺ وعزّ المؤمنين لهم فضلًا من الله ﷻ ولطفًا فإذا العزّة لله جميعًا"[(1)].

* المجاز الإسنادي في قوله تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ مجاز في المسند ومجاز في الإسناد فالصعود مجاز عن العلم والكلم معلوم فأسند الفعل للمفعول به[(2)].

* وضع اسم الإشارة موضع ضميرهم في قوله تعالى: ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ إيذانًا لتمييزهم أكمل تمييز بما هم فيه من الشر والفساد عن سائر المفسدين واشتهارهم بذلك وما فيه من معنى البعد للتنبيه على ترامي أمرهم في الطغيان وبعد منزلتهم في العدوان[(3)].

* الطباق بين: ﴿تَحۡمِلُ﴾ و ﴿تَضَعُ﴾، وبين: ﴿يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ﴾ و ﴿يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾.

* المقابلة بين: ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ﴾ و ﴿مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾.

* التعبير بفعل الإنباء في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ﴾ لأنَّ النبأ هو الخبر عن حدث خطير مهم[(4)].

رابعًا – الإعراب:

* قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ الضمير﴿هُوَ﴾ يحتمل وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: ضمير فصل للتوكيد لا محل له من الإعراب[(5)]، والمعني: إنَّ الذين يكيدون المكائد للإسلام والمسلمين، لهم في الآخرة عذاب شديد ومكر أولئك المجرمين–هو لا غيره–

---

(1) لطائف الإشارات، للقشيري، (3/ 195).
(2) ينظر: تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للعلوي، (23/ 385).
(3) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (5/ 468)، روح البيان، لحقي، (7/ 326)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 275).
(4) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 284).
(5) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (2/1073–1074)، إعراب القرآن، للدعاس، (3/ 78).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يبور [1].

الوجه الثاني: في محل رفع مبتدأ ثاني، وخبره الجملة الفعلية ﴿يَبُورُ﴾ والجملة الاسمية ﴿هُوَ يَبُورُ﴾ في محل رفع خبر للمبتدأ الأول ﴿مَكْرُ﴾[2]، والمعنى: ومكر الذين يكيدون السوء للإسلام والمسلمين هو باطل[3].

خامسًا– القراءات:

* قوله تعالى: ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾ فيها قراءتان.

أ– قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وخلف العاشر بالإفراد ﴿ٱلرِّيحَ﴾.

ب– وقرأ الباقون بالجمع ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾[4].

– وحجة من قرأ بالإفراد: أنَّه اسم جنس يدل على القليل والكثير.

– وحجة من قرأ بالجمع: نظرًا لاختلاف أنواع الرياح في هبوبها: جنوبًا، وشمالًا، وصبا، ودبورا، وفي أوصافها: حارّة، وباردة[5].

– الجمع بين القراءتين: لقد ذهب المفسرون إلى أنَّه لا فرق بين القراءتين من حيث المعنى باعتبار أنَّ قراءة الإفراد ﴿ٱلرِّيحَ﴾ هو اسم جنس يدل على القليل والكثير، فتتفق مع قراءة الجمع ﴿ٱلرِّيَٰحَ﴾، لأنَّ المقصود من الآية تذكير بنعم الله ﷻ ومظاهر قدرته الدالة على وحدانيته قال القرطبي: "فمن وحد الريح فلأنَّه اسم للجنس يدل على القليل والكثير. ومن جمع فلاختلاف الجهات التي تهب منها الرياح"[6]. وفي هذا ردّ على من اعتبر أنَّ الريح إذا جاءت مفردة فى القرآن فإنَّه يراد بها ريح العذاب. والله أعلم.

* قوله تعالى: ﴿مَّيِّتٍ﴾ فيها قراءتان.

---

(1) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (2/ 172)، أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم، للباحثة: إيمان عامر، رسالة ماجستير، (ص:101).
(2) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (2/1073-1074).
(3) ينظر: أثر اختلاف الإعراب في تفسير القرآن الكريم، للباحثة: إيمان عامر، رسالة ماجستير، (ص:101).
(4) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 223).
(5) ينظر: حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 118)، الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، لمكي، (271/1)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (2/ 62).
(6) الجامع لأحكام القرآن، (2/ 198).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ- قرأ نافع وحفص وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف العاشر بالتشديد ﴿مَّيِّتٍ﴾.

ب- وقرأ الباقون بالتخفيف ﴿مَّيْتٍ﴾(1).

_ وحجة من قرأ بالتشديد والتخفيف: أنهما لغتان من لغات العرب(2).

- الجمع بين القراءتين: لغات من لغات العرب.

* قوله تعالى: ﴿يُنقَصُ﴾ فيها قراءتان.

أ- قرأ يعقوب بفتح الياء وضم القاف ﴿يَنقُصُ﴾.

ب- وقرأ الباقون بضم الياء وفتح القاف ﴿يُنقَصُ﴾(3).

- وحجة من فتح الياء وضم القاف: مبنيًّا للفاعل، والفاعل يفهم من المقام، تقديره: أيّ شيء ما

- وحجة من ضم الياء وفتح القاف: مبنيًّا للمجهول، والجار والمجرور، ﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾ نائب فاعل(4).

- الجمع بين القراءتين: من قرأ ﴿يَنقُصُ﴾ فالفاعل مقدر أي شيء ما، ومن قرأ ﴿يُنقَصُ﴾ فقد جعله مبنيا للمجهول، و نائب الفاعل ﴿مِنْ عُمُرِهِۦٓ﴾، فالقراءتان تفيدان أنَّ الله ﷻ قد كتب عمر الإنسان فى اللوح المحفوظ، من غير زيادة ولا نقصان. والله أعلم.

سادسًا- المعنى الإجمالي:

﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ في هذه الآية تقريرٌ لحقيقة البعث بدليل حسيٍّ مشاهَدٍ وهو إرسال الرياح فالله ﷻ يرسل الرياح على السحاب المشبع ببخار الماء، وتحركه حيث يشاء الله تعالى، وتنشره فى السماء، ويسوق الله ﷻ هذا السحاب إلى بلد ميت لا نبات به، فينزل المطر عليه، فتحيا الأرض بالنبات بعد يبسها، وتصبح مخضرة ذات زرع وشجر، بعد أن كانت تربة هامدة، قال تعالى: ﴿**فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [فصلت:39]، ﴿كَذَٰلِكَ

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 224).
(2) ينظر: الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (2/ 66).
(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 352).
(4) ينظر: إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، للدمياطي، (ص: 463)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 164).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ٱلنُّشُورُ﴾ هكذا ينشر الله ﷻ الموتى بعد بلائهم في قبورهم، فيحييهم بعد فنائهم، كما أحيينا هذه الأرض بالغيث بعد مماتها.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ﴾ من كان يريد العزة فليتعزز بالله ﷻ، فلله تعالى العزة جميعًا وهي أولى الأقوال بالصواب، ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ وهو شامل لكل كلام طيب فيه تسبيح، وفيه إصلاح، وفيه دعوة إلى الخير، وفيه أمر بالمعروف، وفيه نهي عن المنكر، ﴿وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ والعمل الصالح يتقبله الله ﷻ ويثيب صاحبه عليه، فلا يقبل الكلام الطيب إلا مع العمل الصالح، ولا يكون العمل صالحًا إلا إذا كان خالصًا لله ﷻ، ﴿وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ﴾ هذا بيانٌ للكلام الخبيث، بعد بيان حال الكلم الطيب أي والذين يحتالون بالمكر والخديعة لإطفاء نور الله ﷻ وكيد الإسلام والمسلمين لهم عذاب شديد، ﴿وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ أي: مكر هؤلاء باطل فاسد لأنَّه ما أسرَّ أحد سوءًا ودبَّره إلا أبداه الله ﷻ وأظهره، ثم ذكَّرهم تعالى بدلائل التوحيد والبعث، بعد أن ذكَّرهم بآيات قدرته وعزته.

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ جَعَلَكُمۡ أَزۡوَٰجٗاۚ﴾ الله ﷻ خلق آدم ؑ من تراب، ثم خلق ذريته من ماءٍ مهين وهو المنيُّ الذي يُصبُّ في الرحم، والله ﷻ خلق الناس أزواجًا؛ ذكورًا وإناثًا، وزوج بعضهم ببعض، لتستقر حياة الناس على الأرض، ﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٖ وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ وما تحمل امرأة في رحمها إلا بعلم الله ﷻ، والله ﷻ قدر أعمار الناس، فمنهم من يعمر طويلًا، ومنهم من لا يعيش إلا القليل، وكل ذلك مقدر عند الله ﷻ، لايزيد ولا ينقص، ولا يخرج أحدهم عن العمر الذى حدده الله ﷻ وهذا أمر سهلٌ يسير على الله ﷻ لأن الله ﷻ قد أحاط بكل شيء علمًا، ثم ضرب تعالى مثلًا للمؤمن والكافر فقال تعالى: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ﴾ أي: وما يستوي ماء البحر وماء النهر، ﴿هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ﴾ أي: هذا ماء حلوٌ شديد الحلاوة، يسهل انحداره في الحلق لعذوبته، ﴿وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾ وهذا ماءٌ شديد الملوحة، فكما لا يتساوى البحران: العذبُ، والملح، فكذلك لا يتساوى المؤمن مع الكافر، ولا البرُّ مع الفاجر، قال أبو السعود: "هذا مثل ضرب للمؤمن والكافر والفرات الذي يكسر العطش والسائغ الذي يسهل انحداره لعذوبته والأجاج الذي يحرق بملوحته"(1).

(1) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، (5/ 469).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ومع تباين البحرين فقد جعل الله ﷻ فيهما منافع للناس، ففيهما السمك الطيب، الذى هو لحم طري مفيد للجسم، ومنهما تستخرجون الحلية والزينة التى تلبسونها، مثل اللؤلؤ والمرجان وغيرها، وتستخدمونها فى السفر، فتركبون السفن على اختلاف أحجامها، فتراها تشق الماء في سيرها، والواجب أن نشكر الله ﷻ على هذه النعم.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ﴾ أي: يدخل أحدهما في الآخر فيكون أطول منه، فيزيد في زمن كل منهما بالنقص من الآخر، فيطول هذا ويقصر هذا، ثم يتقارضان صيفا وشتاء، ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ سيّر الشمس والقمر وبقية الكواكب السيّارة، والثوابت الثاقبة بإرادته وقدرته، ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي: كل من الشمس والقمر يسيران في فلكهما ما شاء الله تعالى أن يسيرا، فإذا جاء الأجل، وقرب انقضاء الدنيا، انقطع سيرهما، وتعطل سلطانهما، وخسف القمر، وكورت الشمس، وانتثرت النجوم، فلمَّا بين تعالى ما بيَّن من هذه المخلوقات العظيمة، وما فيها من العبر الدالة على كماله وإحسانه، ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ أي: ذلكم الفاعل لهذه الأمور البديعة، هو ربكم العظيم الشأن، الذي له المُلك والسلطان والتصرف الكامل في الخلق، ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ أي: والذين تعبدون من دون الله ﷻ من الأوثان والأصنام لا يملكون شيئًا ولو بمقدار القطمير، وهو القشرة الرقيقة التي بين التمرة والنواة.

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ إن تدعوا أيها الناس هذه الأصنام لم يسمعوا دعاءكم لأنَّها جماد لا تفهم عنكم ما تقولون، ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ أي: ولو سمعوا دعاءكم على الفرض والتسليم ما استجابوا لكم؛ لأنَّها ليست ناطقة، ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ أي: ويوم القيامة يتبرؤون منكم ومن عبادتكم إياهم، ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: لا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه[1].

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 442-444)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 536-541)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 391)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: 685-686)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (6/254-259)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (8/126).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سابعًا– تحليل المقاصد والأهداف:

1– تقرير عقيدة البعث:

تنوعت الأدلة والبراهين فى الحديث عن البعث وضرب الأمثلة، وردّ حجج المنكرين للمعاد، فمن الأدلة التى تدل على البعث إيجاد الأشياء والكائنات بعد عدمها وفنائها، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس:78]، وكذلك ظاهرة النوم واليقظة باعتبارهما نموذجًا متكررًا للموت والحياة، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ فِيهِ لِيُقۡضَىٰٓ أَجَلٞ مُّسَمّٗىۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ مَرۡجِعُكُمۡ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأنعام:60]، ومن الأدلة على وقوع البعث وإحياء الموتى التى نحن بصدد الحديث عنها ظاهرة الإحياء المتكررة للأرض الموات، والتي يراها الإنسان ويشاهدها في مجال الطبيعة الواسعة، فالإنسان يشاهد أمامه أرضًا جرداء لا حياة فيها، ثم ينزل الله ﷻ عليها الغيث فتدب فيها الحياة وتنبت فيها الزروع وأنواع النبات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح والمنافع، وليس البعث إلا شبيها بهذه العملية المتكررة التي يشاهدها الإنسان دومًا في حياته قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ [فاطر:9]، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۭ بَهِيجٖ * ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ * وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج:5–7]، يقول ابن القيم:

"جعل الله سبحانه إحياء الأرض بعد موتها نظير إحياء الأموات، وإخراج النبات منها نظير إخراجهم من القبور، ودل بالنظير على نظيره، وجعل ذلك آية ودليلا على خمسة مطالب: أحدها: وجود الصانع، وأنَّه الحق المبين، وذلك يستلزم إثبات صفات كماله وقدرته وإرادته وحياته وعلمه وحكمته ورحمته وأفعاله. الثاني: أنَّه يحيي الموتى. الثالث: عموم قدرته على كل شيء. الرابع: إتيان الساعة وأنَّها لا ريب فيها. الخامس: أنَّه يخرج الموتى من القبور كما أخرج النبات من الأرض"(1)، ووجه التشبيه في إحياء الأرض بعد موتها بإحياء الموتى من قبورهم: "أنَّ إحياءهم من قبورهم يكون بمطر يبعثه الله تعالى على قبورهم، فتنشق عنهم القبور، ثم تعود إليهم الأرواح"(2)، وهذا يوضحه الحديث الذي رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عمرو– رضي الله عنهما– عن

---

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (1/ 112).

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (7/ 230).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النبي ﷺ في خبر المسيح الدجال وفيه: **(ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ - أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ - مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ - نُعْمَانُ الشَّاكُّ -[1] فَتَنْبُتُ مِنْهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَى، فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ)**[2].

ومن الأدلة أيضًا على البعث ما أشار إليه القرآن ولفت إليه نظر الإنسان من أن يتدبر في المراحل التي مر بها ويمر بها خلقه تعالى وتكونه وانتقاله من مرحلة التراب إلى أن يكون نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يصبح طفلًا وكهلًا ثم يتوفى، فهذه المراحل في كل واحد منَّا يلاحظها الإنسان ويشاهدها ولا سبيل إلى إنكارها، فالله ﷻ الذي خلق الإنسان ابتداء وجعله ينتقل في تلك المراحل لا يعجزه أن يعيده كما بدأه ويبعثه مرة أخرى، قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْ أَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ**﴾ [الحج:5].

ويعلق ابن القيم على هذه الآية بقوله: "يقول سبحانه: إن كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في أنكم مخلوقون، ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت، والبعث الذي وعدتم به نظير النشأة الأولى فهما نظيران في الإمكان والوقوع، فإعادتكم بعد الموت خلقا جديدا كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها"[3]،

ويقول سيد قطب: "إنَّ هذه الأطوار التي يمر بها الجنين، ثم يمر بها الطفل بعد أن يرى النور لتشير إلى أن الإرادة المدبرة لهذه الأطوار ستدفع بالإنسان إلى حيث يبلغ كماله الممكن في دار الكمال، إذ إنَّ الإنسان لا يبلغ كماله في حياة الأرض، فهو يقف ثم يتراجع لكيلا يعلم من بعد علم شيئا فلا بد من دار أخرى يتم فيها تمام الإنسان. فدلالة هذه الأطوار على البعث دلالة مزدوجة. فهي تدل على البعث من ناحية أنَّ القادر على الإنشاء قادر على الإعادة، وهي تدل على البعث لأن الإرادة المدبرة تكمل تطوير الإنسان في الدار الآخرة. وهكذا تلتقي نواميس الخلق والإعادة،

---

(1) قال العلماء: الأصح: الطَّلّ. والشَّكّ من الرّاوي: نعمان، ينظر: شرح مسلم، للنووي (10/ 76).

(2) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب في خروج الدجال ومكثه في الأرض، ونزول عيسى وقتله إياه، وذهاب أهل الخير والإيمان، وبقاء شرار الناس وعبادتهم الأوثان، والنفخ في الصور، وبعث من في القبور، ح (2940)، (4/ 2259).

(3) إعلام الموقعين عن رب العالمين، (1/ 189).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونواميس الحياة والبعث، ونواميس الحساب والجزاء وتشهد كلها بوجود الخالق المدبر القادر الذي ليس في وجوده جدال"(1).

وغير ذلك من الأدلة والبراهين على إمكانية البعث، وأخيرًا أذكر نموذجين من القرآن يدلان على البعث على سبيل المثال وليس الحصر.

الأول: قصة الرجل الذي مر على قرية وهي خاوية فاستبعد عودة أهلها إلى الحياة مرة أخرى، فأراه الله ﷻ عجيب قدرته في الإعادة والإحياء، فأماته مائة عام ثُمَّ بعثه، وأراه كيف أنَّ طعامه طيلة هذه المدة لم يفسد، بينما حماره أصبح عظاما بالية وأوقفه الله ﷻ على كيفية دبيب الحياة في العظام البالية وعودة حماره إلى الحياة مرة ثانية قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِاْئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة:259].

والثاني: أصحاب الكهف وكيف ضرب الله تعالى على آذانهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا ثم بعثهم وكانوا نموذجًا حيًّا لإمكانية البعث والمعاد قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف:21]، فهذان النموذجان وغيرهما مما ورد في القرآن يدلان أوضح الدلالة وأبينها على إمكانية البعث وتحققه ولا يماري في ذلك إلا معاند متكبر.

2- من ابتغى العزة بغير الله ﷻ ذل:

الله ﷻ يأمرنا أن نكون أعزاء، لا نذل ولا نخضع لأحد من البشر، والخضوع إنَّما يكون لله ﷻ وحده، فالمسلم يعتز بدينه وربه، ويطلب العزة في رضا الله ﷻ.

والعزة نوعان: عزة ممدوحة وعزة مذمومة.

فالعزة الممدوحة: هي التي لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، فهي عزة حقيقية دائمة؛ لأنَّها من الله ﷻ قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ﴾ [فاطر:10]، أمَّا العزة المذمومة فهي التي يتخذها الكافرون، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:2]، وهذا وإنْ كان ظاهره العزة؛ ولكنْ في باطنه الذلةُ والعذابُ، ويرجعُ الأمر في حقيقته إلى الذلة المذمومة، قال الله ﷻ

(1) في ظلال القرآن، (4/ 2411).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حكايةً عن حال الكافرين: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا * كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا﴾ [مريم 81-82].

فيجب على المسلم أن يعتزّ بدينه ويرتفع بنفسه عن مواضع المهانة، فيبقى موفورَ الكرامة مرتاحَ الضمير مرفوعَ الرأس شامخَ العرين سالمًا من ألم الهوان متحررًا من رقِّ الأهواء ومن ذلِّ الطمع، لا يسير إلا وفقَ ما يُمليه عليه إيمانه، والحقُّ الذي يحمله ويدعو إليه، ولن يحني رأسه لمخلوق متجبر، ولا لعاصفة طاغية، ولا لوضع، ولا لحكم، ولا لدولة، ولا لمصلحة، ولا لقوة من قوى الأرض جميعًا. "والعزة الصحيحة حقيقة تستقر في القلب قبل أن يكون لها مظهر في دنيا الناس. حقيقة تستقر في القلب فيستعلي بها على كل أسباب الذلة والانحناء لغير الله. حقيقة يستعلي بها على نفسه أول ما يستعلي. يستعلي بها على شهواته المذلة، ورغائبه القاهرة، ومخاوفه ومطامعه من الناس وغير الناس. ومتى استعلى على هذه فلن يملك أحد وسيلة لإذلاله وإخضاعه"(1).

ثم عقب القرآن الكريم بعد هذه الحقيقة الضخمة بما له أثره ومغزاه فقال تعالى: ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ﴾ فالكلم الطيب والعمل الصالح يكرمان صاحبهما، ويمنحانه العزة والاستعلاء(2).

والتواضع طريق من طرق العزة، عن أبي هريرة ﷺ، عن رسول الله ﷺ، قال: **(وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ)**(3).

إنَّ التربيةَ على العزة أمرٌ بالغُ الأهمية؛ لأنَّها تربيةٌ على معالي الأخلاق ومحاسنها، لاسيما أنَّ هذه الأهميةَ تزداد في هذه الأزمنةِ التي تَعجُّ بالفِتن والمِحن، حتى أصبحَ الذلُّ والهوان يدبُّ في الفرد قبل الأمة، وما ذلك إلا لأنَّ الأمة ابتعدت عن كتابِ ربها، وسنة نبيها ﷺ.

ومن العجب أنَّ الله ﷻ يريد لهذه الأمة العزة والرفعة، وهي تريد الذل والهوان، لقد أراد الله ﷻ لأمة محمد ﷺ أن تكون عزيزة لأنَّه أراد لها أن تبني الأرض وتعمرها بالخير، ومن المعلوم أنَّه لا يبني الأرض ضعيف وإنَّما يبنيها العزيز.

---

(1) في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2930-2931).
(2) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2930-2931)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 239)، العزة فى القرآن الكريم دراسة موضوعية، للباحث: وائل جابر، رسالة ماجستير، (ص:100-116).
(3) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة، باب استحباب العفو والتواضع، ح (2588)، (4/2001).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- الأعمار كالأرزاق مقدرة محددة في صحيفة كل إنسان:

العمر والأجل من قضاء الله ﷻ وقدره الذي كتبه في اللوح المحفوظ، فقد كتبه الله ﷻ بعلمه الذي لا يخطئ، ومشيئته التي لا تتخلف، قال تعالى: ﴿**وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ**﴾ [فاطر:11]، يقول ابن عباس -رضي الله عنهما- في تفسير هذه الآية: "ليس أحد قضيت له طول الحياة والعمر إلا هو بالغ ما قدرت له من العمر، قد قضيت ذلك فإنَّما ينتهي إلى الكتاب الذي قدرت له لا يزاد عليه، ليس أحد قضيت له أنه قصير العمر ببالغ العمر، ولكن ينتهي إلى الكتاب الذي كتبت له فذلك قوله: ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍۚ﴾ يقول: كل ذلك في كتاب عنده"(1).

يقول البيهقي -رحمه الله تعالى-: "إنَّ الله جل ثناؤه قد كتب ما يصيب عبدا من عباده من البلاء والحرمان والموت وغير ذلك، وأنَّه إن دعا الله تعالى أو أطاعه في صلة الرحم وغيرها، لم يصبه ذلك البلاء، ورزقه كثيرا، وعمره طويلا، وكتب في أم الكتاب ما هو كائن من الأمرين"(2).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: "إنَّ الله أمر الملك أن يكتب له أجلا وقال: إن وصل رحمه زدته كذا وكذا والملك لا يعلم أيزداد أم لا؛ لكن الله تعالى يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر"(3).

فالعبد إذا أيقن بأنَّ الأجل محدد، وأنَّ الرزق مقدر، واطمأن قلبه بذلك؛ فإنَّه لن يجزع من فقر أصابه، أو جائحة أتلفت ماله، ولن يشغل نفسه بالدنيا عن عمل الآخرة؛ لأنَّه يعلم أنَّه مهما سعى واجتهد وأجهد نفسه فلن يكتسب إلا ما كُتب له فما عليه إلا أن يستعد لهذا اليوم الذي - حتمًا - سيسير فيه إلى ربه تعالى.

4- ضعف الآلهة التي يعبدها المشركون من دون الله ﷻ:

ينكر المشركون تفرد الله ﷻ بالألوهية والوحدانية، ومن ثم فهم يعبدون أوثانًا وأصنامًا زاعمين أنَّها تقربهم إلى الله ﷻ وتشفع لهم عنده، قال تعالى: ﴿**أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْۚ**

(1) القضاء والقدر، للبيهقي، (ص: 217).
(2) المرجع السابق، (ص: 214).
(3) مجموع الفتاوى، (8/ 517).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡكُمۡ أَدَعَوۡتُمُوهُمۡ أَمۡ أَنتُمۡ صَٰمِتُونَ * إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمۡثَالُكُمۡۖ فَٱدۡعُوهُمۡ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ * أَلَهُمۡ أَرۡجُلٌ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٍ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَعۡيُنٌ يُبۡصِرُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ ءَاذَانٌ يَسۡمَعُونَ بِهَاۗ قُلِ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ إِنَّ وَلِـِّۧيَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡكِتَٰبَۖ وَهُوَ يَتَوَلَّى ٱلصَّٰلِحِينَ * وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَكُمۡ وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ * وَإِن تَدۡعُوهُمۡ إِلَى ٱلۡهُدَىٰ لَا يَسۡمَعُواْۖ وَتَرَىٰهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ وَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:191-198].

ففي هذه الآيات يتضح إنكار الله ﷻ على المشركين الذين عبدوا معه الأنداد والأوثان التي هي مخلوقة مربوبة لا تملك من الأمر شيئًا ولا تضر، ولا تنفع، ولا تبصر، ولا تسمع، ولا تنتصر لعابديها لأنَّها جمادات، وعابدوها أكمل منها بسمعهم، وبصرهم، وبطشهم، فهي لا تسمع الدعاء؛ لأنَّها مخلوقات مثلهم، بل هي لا تفعل ما يفعله عبادها من الحركة، والبطش، والسمع، والبصر، فهي في غاية المهانة والحقارة(1).

فلا يليق بالعاقل أبدًا أن يعبد إلهًا دونه وأقل منه، والعابد هو أكمل من معبوده وأقوى بروحه التي بها حياته، وبحواسه التي بها يصرف أموره، وبنطقه الذي به يفهم عن الناس ويفهمون به عنه، فهذه الأصنام ميتة لا حياة فيها وأما عُبَّادها فهم أحياء، وهي لا تنطق وأمَّا عبادها فينطقون، وليس لها أرجل، وأيدي، وسمع، وبصر، وعبادها لهم ذلك.

وقد بيَّن الله ﷻ أنَّ هذه الآلهة التي يدعوها المشركون لا تسمعهم في دعائهم لها ولو سمعت لم يتيسر لها إجابة الدعاء، فليست ناطقة ولا سامعة وليس كل سامع قولًا يتيسر له الجواب عنه، وقد وصفها الله ﷻ بالغفلة تشبيهًا لها بمن يسهو عما يقال له، وهذا فيه غاية التوبيخ لهم في عبادتهم ما لا يعقل شيئًا ولا يفهم وهو كالغافل، قال تعالى: ﴿إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر:14]، ويقول تعالى: ﴿وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الأحقاف:5].

وقد ضرب الله تعالى الأمثال لهؤلاء الداعين، قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۚ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (13/ 319-329)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (189،188/2)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (3/ 529).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [الرعد:14]، فشبههم الله تعالى في دعائهم الأصنام بالراعي يصيح بالغنم وهي لا تفهم ما يريد، أو بالعطشان الجالس على باب البئر باسطًا كفيه للماء ليجيب دعاءه ويروي غُلّته، فلا هو نزل البئر فشرب ولا الماء يحس بدعائه فيستجيب له لأنَّه جماد، وهكذا أصنامهم لن تستجيب لهم؛ لأنَّها جمادات ميتة لا أرواح فيها فلا تسمع دعاءه[1].

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (16/ 399)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (4/ 445).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الرابع

المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (15-28)

غني الله ﷻ عن خلقه وعدله فيهم

ويشتمل على خمسة مطالب:

المطلب الأول: النداء الثالث افتقار العباد إلى الله ﷻ.

المطلب الثاني: المسئولية الفردية فلا يحمل أحد وزر أحد.

المطلب الثالث: لا تتساوى الأضداد المؤمن والكافر.

المطلب الرابع: تسلية النبي ﷺ، وبيان وظيفته.

المطلب الخامس: العلم يدعو إلى الإيمان.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
النداء الثالث افتقار العباد إلى الله ﷻ

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ * إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ * وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر:15-17].

أولًا- المناسبة:

"لمَّا عدَّد تعالى نعمه على العباد، وأقام الأدلة والبراهين على قدرته وعزته وسلطانه، ذكَّرهم هنا بحاجتهم إليه، واستغنائه ﷻ عن جميع الخلق"(1).

ثانيًا- وجوه البلاغة:

*التعبير بالتعريف فى الفقراء في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ ليدل على اختصاص الفقر بجنس الناس، ليريهم شدة افتقارهم وإن كان غيرهم فقراء ولكن فقراء الناس أعظم، ولو نكر لكان المعنى: أنتم يعني الفقراء(2).

*الطباق بين ﴿يُذْهِبْكُمْ﴾ و ﴿وَيَأْتِ﴾.

ثالثًا- المعنى الإجمالي:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ هذا هو النداء الثالث في هذه السورة الكريمة وهو متناسق مع النداءات السابقة التي وُجِّهت للناس جميعًا، وجاءت بتوجيهاتٍ رشيدة وحكَمٍ بالغةٍ، فجاء الخطاب هنا لجميع البشر لتذكيرهم بنعم الله ﷻ الجليلة عليهم، أي: أنتم المحتاجون إليه تعالى في بقائكم وكل أحوالكم، ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ والله ﷻ هو الغنيُّ عن العالم على الإطلاق، والمحمودُ على نعمه التي لا تُحصى قال أبو حيان: "هذه الآية موعظة وتذكير، وأنَّ جميع الناس محتاجون إلى إحسان الله تعالى وإنعامه في جميع أحوالهم، لا يستغني أحد عنه طرفة عين، وهو الغني عن العالم على الإطلاق"(3). ثم قرر استغناءه عن الخلق، ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ

(1) صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 524).
(2) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 606)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (9/ 23)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (5/ 471)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (2/ 174).
(3) البحر المحيط في التفسير، (9/ 23).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَيَأۡتِ بِخَلۡقٖ جَدِيدٖ﴾ أي: لو شاء الله ﷻ لأهلككم وأفناكم وأتى بقومٍ آخرين غيركم يطيعونه ويأتمرون لأمره وينتهون عما نهاهم عنه، وفي هذا وعيدٌ وتهديد، ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٖ﴾ أي: ليس ذلك بصعب أو ممتنع على الله ﷻ، بل هو سهل يسير(1).

رابعًا– تحليل المقاصد والأهداف:

افتقار الناس جميعًا إلى الله ﷻ:

إنَّ الافتقار إلى الله ﷻ من العبادات القلبية العظيمة التي لا بد أن يستحضرها المؤمن امتثالًا لأمر الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ﴾ [فاطر:15].

عرَّف الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى– حقيقة الفقر بقوله: "فحقيقة الفقر أن لا تكون لنفسك ولا يكون لها منك شيء، بحيث تكون كلك لله تعالى"(2). ثم قال: "الفقر الحقيقي: دوام الافتقار إلى الله في كل حال، وأن يشهد العبد –في كل ذرة من ذراته الظاهرة والباطنة– فاقة تامة إلى الله تعالى من كل وجه"(3).

فالافتقار إلى الله ﷻ أن يُجرِّد العبد قلبه من كل حظوظها وأهوائها، ويُقبل بكليته إلى ربه ﷻ متذللًا بين يديه، مستسلمًا لأمره ونهيه، متعلقًا قلبه بمحبته وطاعته، قال تعالى: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الأنعام:162–163].

والمتأمل في جميع أنواع العبادة القلبية والعملية يرى أنَّ الافتقار فيها إلى الله ﷻ هي الصفة الجامعة لها، فبقدر افتقار العبد فيها إلى الله ﷻ يكون أثرها في قلبه، ونفعها له في الدنيا والآخرة فهذه المنزلة الجليلة التي يصل إليها القلب هي سرُّ حياته وأساس إقباله على ربه ﷻ، فالافتقار يحدو العبد إلى ملازمة التقوى ومداومة الطاعة ويتحقق ذلك بأمرين متلازمين هما:

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 454،455)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 541) صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 524)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (134/8).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (2/ 411).

(3) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأول: إدراك عظمة الخالق: فكلما كان العبد أعلم بالله ﷻ وصفاته وأسمائه كان أعظم افتقارًا إليه وتذللًا بين يديه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: 28].

الثاني: إدراك ضعف المخلوق وعجزه: فمن عرف قدر نفسه، وأنَّه مهما بلغ في الجاه والسلطان والمال فهو عاجز ضعيف لا يملك لنفسه صرفًا ولا عدلًا؛ تصاغرت نفسه، وذهب كبرياؤه، وذلَّت جوارحه، وعظم افتقاره لمولاه، والتجاؤه إليه، وتضرعه بين يديه، قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ * إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ * يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ * فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق5-10][1].

وقد جمع الإمام ابن القيم بين هذين الأمرين بقوله: "من كملت عظمة الحق تعالى في قلبه عظمت عنده مخالفته، لأنَّ مخالفة العظيم ليست كمخالفة من هو دونه، ومن عرف قدر نفسه وحقيقتها، وفقرها الذاتي إلى مولاها الحق في كل لحظة ونفس، وشدة حاجتها إليه، عظمت عنده جناية المخالفة لمن هو شديد الضرورة إليه في كل لحظة ونفس. وأيضًا فإذا عرف حقارتها عظم قدر من خالفه عظمت الجناية عنده، فشمر في التخلص منها، وبحسب تصديقه بالوعيد ويقينه به، يكون تشميره في التخلص من الجناية التي تلحق به"[2].

فالعبد ينبغي أن يكون مفتقرًا إلى الله ﷻ، لا إلى أحد من الناس، ولا إلى شيء من الدنيا، فهو قد نفض يديه من الدنيا، فلا يطمع ولا ينافس فيها، ولا يتعلق قلبه بها، لأنَّه مفتقر على الله ﷻ وحده لا شريك له. فالناس في حاجة إلى تذكيرهم بهذه الحقيقة بأنهم هم الفقراء إلى الله ﷻ وأنَّ الله غني عنهم كل الغنى وأنَّهم حين يدعون إلى الإيمان بالله ﷻ وعبادته وحمده على آلائه فإنَّ الله ﷻ غني عن عبادتهم وحمدهم، وهو المحمود بذاته.

---

(1) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2937)، مجلة البيان، (الافتقار إلى الله لبُّ العبودية)، (196/ 26).

(2) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، (1/ 164).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني
المسئولية الفردية فلا يحمل أحد وزر أحد

قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [فاطر:18].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ﴾: من الوزر بمعنى الحمل والثقل، وأكثر ما يكون استعمالًا فى حمل الآثام يقال: وَزَرَ يَزِرُ فَهُوَ وَازِرٌ، إذا حمل ما يثقل ظهره من الأشياء المثقلة(1). لا تزر وازرة: أي لا تحمل نفس آثمة إثم نفس أخرى(2).

﴿مُثْقَلَةٌ﴾: الثقل ضد الخفة، يقال: أثقلت المرأة إذا ثقل حملها(3). مثقلة: أي نفس أثقلتها الذنوب(4).

﴿حِمْلِهَا﴾: جمع أحمال وحُمولة، الحَمل بالفتح ما كان في بطن، أو على رأس شجرة، والحِمل بالكسر ما كان على ظهر، يقال: حملت الشئ على ظهرى أحمله حملا(5). حِملها: أي ذنوبها التى أثقلتها(6).

﴿تَزَكَّىٰ﴾: التزكية مصدر زكى الشيء يزكيه، وهي تطلق ويراد بها معنيان: التطهير والزيادة(7). تزكى: أي تطهر من الكفر والمعاصى(8).

---

(1) ينظر: المحيط في اللغة، للطالقاني، (9/ 84)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (6/ 108)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (11/ 7150)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (5/ 179)، تاج العروس، للزبيدي، (14/ 358)،

(2) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (3/ 84)، تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 703)، الوجيز، للواحدي، (ص: 630).

(3) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (4/ 1647)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (2/ 863).

(4) ينظر: أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1071)، حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للعلوي، (23/ 394).

(5) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (4/ 1676)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (2/ 106).

(6) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 339)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 230).

(7) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (3/ 17)، لسان العرب، لابن منظور، (14/ 358)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (5/ 2819).

(8) ينظر: السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 230).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا– المناسبة:

لما قرر في الآيات السابقة استغناء الله ﷻ عن الخلق وكان الخطاب للناس جميعًا على وجه الوعيد والتهديد جاءت هذه الآية طمأنة للناس بأنَّ العقاب لا يكون حكمه إلا عند الذنب فلا ينفك أحد عما يستحق به العقاب[1].

ثالثًا– وجوه البلاغة:

* التعبير بـ ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ دون (ولا تزر نفس وزر أخرى): "لأن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها، لا وزر غيرها"[2].

* الجمع بين قوله تعالى: ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ وبين قوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [العنكبوت:13]، وقوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ﴾ [النحل:25]، لا تعارض بينهما فهاتان الآيتان اللتان في العنكبوت والنحل في الضالين المضلين، وأنَّهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم، كما أنَّ الدعاة إلى الحق يثيبهم الله ﷻ على عملهم وعمل من اهتدى بهديهم، واستفاد من علمهم[3].

* تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ للاهتمام[4].

رابعًا– الإعراب:

* قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ تحتمل ﴿ذَا﴾ وجهين من الإعراب:

الوجه الأول: خبر كان منصوب بالألف لأنّه من الأسماء الخمسة، والتقدير: ولو كان المدعو ذا قربى[5]، والمعني: لاتعاقب نفس بذنب غيرها، وإن تدع نفس مثقلة بالأوزار أحدًا ليحمل

---

(1) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 32)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 287).

(2) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 606).

(3) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 606)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 257)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (3/ 83).

(4) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 292).

(5) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (2/ 1074).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عنها شيئا منها لا يحمل عنها ولو كان الذي سألته ذا قرابة من أب، أو أخ[1].

الوجه الثاني: حال منصوب بالألف على اعتبار أنَّ كان تامة بمعنى وجد، والتقدير: ولو وجد المدعو ذا قربى[2]،

والمعنى: وإن تدع نفس مثقلة بالذنوب نفسًا غيرها إلى حمل شيء من ذنوبها معها لم تحمل تلك المَدْعُوَّةُ من تلك الذنوب شيئا، ولو وجدت قريبة لها في النسب، فكيف بغيرها مما لا قرابة بينها وبين الداعية لها؟[3].

خامسًا- المعنى الإجمالي:

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ الله ﷻ عادل مع عباده لا يظلم أحدًا، ومن عدله أنَّه يحاسب كل إنسان على عمله فلا تحمل نفسٌ آثمةٌ إثم نفسٍ أخرى، ولا تعاقب بذنب غيرها، فكل نفس مذنبةٍ تَحمل إثمها الذي اقترفته، ﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ وإن تسأل ذات ثقل من الذنوب من يحمل عنها ذنوبها وتطلب ذلك فلن يستجيب لها، ولن تحمل عنها شيئًا، ولو كانت قريبة لها في النسب، كأبٍ أو ابنٍ، أو أخٍ، أو زوجٍ، لأنَّ كل إنسان مشغول بنفسه وحاله، كما قال تعالى: ﴿**يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ**﴾ [عبس:34-37]. ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بيان لمن يتعظ بالإنذار وهم أولو الأبصار والمؤمنون، الذين يخشون ربهم ويخافون عذابه، الذين يحرصون على إقامة الصلاة، ويحسنون أداءها، ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ أي: من طهَّر نفسه من الذنوب فإنما ثمرة ذلك التطهر عائدة عليه، ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ أي: إلى الله ﷻ مرجع الخلائق يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله، فيثيب المطيع المتزكي، ويعاقب المُعرض المذنب[4].

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 455).

(2) ينظر: التبيان في إعراب القرآن، للعكبري، (2/ 1074).

(3) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 396).

(4) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 455)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 541-542)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2939)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 524-525)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (134/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

المسئولية الفردية، فلا يحمل إنسان ذنب آخر:

تقرر الآية القرآنية قاعدة قرآنية عظيمة هي: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾، وهذه القاعدة طالما استشهد بها العلماء لعظيم أثرها في باب العدل والإنصاف، وهذه القاعدة القرآنية ورد تقريرها في كتاب الله ﷻ خمس مرات، وهذا بلا شك له دلالته ومغزاه[(1)].

وهذه القاعدة لا تعارض ما دلَّت عليه النصوص التي تدل على أنَّ الإنسان يتحمل إثم ما ارتكب من ذنوب، وإثم الذين أضلهم بقوله وفعله، كما مر معنا سابقًا[(2)].

يقول سيد قطب– رحمه الله–: "حقيقة فردية التبعة والجزاء ذات أثر حاسم في الشعور الأخلاقي، وفي السلوك العملي سواء. فشعور كل فرد بأنه مجزي بعمله، لا يؤاخذ بكسب غيره، ولا يتخلص هو من كسبه، عامل قوي في يقظته لمحاسبة نفسه قبل أن تحاسب!... كما أنَّه– فى الوقت ذاته– عامل مطمئن، فلا يقلق الفرد خيفة أن يؤخذ بجريرة الجماعة فيطيش وييئس من جدوى عمله الفردي الطيب. ما دام قد أدى واجبه في النصح للجماعة"[(3)].

فكل إنسان سيقدم على الله ﷻ فردًا وسيحاسب محاسبة فردية؛ إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر فلابد أن يتحمل مسؤولية نفسه في تربية نفسه وتزكيتها إلى طريق الخير والاستقامة، قال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا * لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا *

---

(1) قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكسِبُ كُلُّ نَفسٍ إِلَّا عَلَيهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَة وِزرَ أُخرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرجِعُكُم فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُم فِيهِ تَختَلِفُونَ﴾ [الأنعام:164]، وقوله تعالى: ﴿مَّنِ ٱهتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهتَدِي لِنَفسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَة وِزرَ أُخرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبعَثَ رَسُولا﴾ [الإسراء:15]، وقوله تعالى: ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [فاطر:18]، وقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:38]، وقوله تعالى: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [النجم:38].

(2) ينظر: (ص:65، 161)، من هذه الرسالة.

(3) في ظلال القرآن، (5/ 2938).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا﴾ [مريم:93-95]، فهذا بيان عدل الله ﷻ وحكمته، أنَّه لا يعاقب أحدًا بذنب أحد، ولا يعاقب أحدا أكثر من العقوبة الناشئة عن ذنبه.

وإذا أردنا أن نبحث عن أمثلة تطبيقية لهذه القاعدة في كتاب الله ﷻ فمن أشهرها وأظهرها تطبيق نبي الله يوسف عليه السلام، وذلك عندما جعل السقاية في رحل أخيه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَٰرِقُونَ﴾ [يوسف:70]، فأراد إخوته استنقاذ أخيهم مقابل أن يأخذ أحدهم مكانه، قال تعالى: ﴿قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:78]، فأبى يوسف عليه السلام، فلا عقوبة إلا لمن يستحق العقوبة، والقاعدة الشرعية تؤكد ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فأعلن هذا، قال تعالى: ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾ [يوسف:79].

وإذا أردنا أن نقارن هذا بقول فرعون الظالم حينما قال له كَهَنته: إنَّ غلامًا من ذرية إبراهيم عليه السلام سيولد وسيكون هلاك ملك مصر على يديه، فأمر فرعون عند ذلك بقتل أبناء بني إسرائيل حذرًا من وجود هذا الغلام وهم آلاف وربما أضعاف ذلك بعشرات من أجل طفلٍ واحد فقط!! ولكن الذي كان يقول للناس: أنا ربكم الأعلى لا يستغرب منه هذا الأمر!

ففي الواقع ثمة أناس ساروا على هدي يوسف عليه السلام؛ فنراهم لا يؤاخذون إلا من أخطأ أو تسبب في الخطأ، ولا يوسعون دائرة اللوم والعقاب على من ليس له صلة بالخطأ، وفي المقابل فمن الناس من يأخذ الأبرياء بذنب المسيئين، وكثيرا ما نرى في الواقع عقوبة الأبرياء بمذنب واحد حتى داخل الأسرة الواحدة، فمثلًا: رجوع الرجل من عمله مرهقًا، فيدخل بيته فيرى ما لا يعجبه من أولاده ككسر زجاج النافذة مثلًا، أو يرى ما لا يعجبه من زوجته كتقصيرها فى البيت أو غير ذلك من الأمور التي قد تستثير بعض الناس، فإذا افترضنا أن هذه مما تستثير الغضب، أو أنَّ هذا خطأ

يستحق التنبيه، أو التوبيخ على فاعله، فما ذنب بقية الأولاد الذين لم يشاركوا في كسر الزجاج مثلاً؟! وما ذنب الأولاد أن يَصُبَّ عليهم غضبه إذا قصرت الزوجة في شيء؟! وما ذنب الزوجة مثلًا حينما يكون المخطئ هم الأولاد؟! وقس على ذلك كثيرًا.

فلنتب إلى الله جميعًا، التوبة الصادقة النصوح، من ذنوبنا وأوزارنا في أخلاقنا ومعاملتنا، لنتب إلى الله ﷻ من إهمال تربية أبنائنا وبناتنا وأهلينا وليستحضر المؤمن هذه القاعدة القرآنية العظيمة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ فإن هذا خير مآلًا وأحسن تأويلًا، وأقرب إلى العدل والقسط الذي قامت عليه السموات والأرض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث
لا تتساوى الأضداد المؤمن والكافر

قال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ * وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ * وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:19-23].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿ٱلْحَرُورُ﴾: الحر نقيض البرد، يقال: بلد حَرُور: أي حره دائم(1). الحَرُور: أي شدة الحر(2).

ثانيًا- المناسبة:

بعد أن بيَّن الله ﷻ قلة نفع النذارة للكافرين وأنَّها لا ينتفع بها غير المؤمنين، ضرب للفريقين الكافر والمؤمن أمثالًا كاشفة أنَّهما لا يستويان، وعدّد الأمثلة للتعريف بأنَّ المؤمن بصير الطريق، والكافر أعمى الطريق، وأنَّ الإيمان نور فلا يخفى على المؤمن، والكفر ظلمة فيزيد الأعمى حيرة، ثم ذكر مآلهما ومرجعهما، فالمؤمن بإيمانه في ظل وراحة، والكافر بكفره في حر وتعب، ثم جعل الكفار كالموتى لا يسمعون نصيحة ولا يهتدون بعظة (3).

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* الطباق بين: ﴿ٱلْأَعْمَىٰ﴾ و ﴿ٱلْبَصِيرُ﴾، وبين: ﴿ ٱلظُّلُمَٰتُ﴾ و ﴿ٱلنُّورُ﴾، وبين: ﴿ٱلظِّلُّ﴾ و ﴿ٱلْحَرُورُ﴾، وبين: ﴿ٱلْأَحْيَآءُ﴾ و ﴿ٱلْأَمْوَٰتُ﴾.

* الاستعارة التصريحية في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ استعار المشبه به وهو الأعمى للكافر، لعدم الاهتداء إلى الطريق الصحيح، واستعار البصير للمؤمن لاهتدائه إلى الطريق الصحيح(4).

---

(1) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (4/ 177)، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للحموي، (1/ 129).

(2) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (2/ 174)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، (4/ 386)، تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للعلوي، (23/ 398)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1071).

(3) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 122)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 292)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 253)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 350).

(4) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 528)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 253).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* نفي التساوي بين كل متقابلين في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ * وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ * وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾، لكنه لم يكرر حرف النفي (لا) في المتقابلين الأولين كما ذكر في بقية المتقابلات وذلك: "لأن تكرار (لا) النافية يفيد تأكيد نفي التساوي في كل مدخول عليه على حدة، إضافة إلى إفادتها النفي بين المتقابلين بوجه عام. فما ذكرت فيه كلمة (لا) في الطرف المقابل، يحمل دلالة عدم التساوي النسبي بين أفراد كلٍّ من المتقابلين، إضافة إلى عدم التساوي العام بين المتقابلين"[(1)]، ولم يكرر (لا) النافية مع المتقابلين الأولين ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ إشارة إلى أنَّه قصد نفي التساوي بين الأعمى والبصير بوجه عام، ولم يرد نفي التساوي النسبي بين جزئيات كل منهما[(2)].

* التعبير بالجمع فى الظلمات مع إفراد النور، في قوله تعالى: ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾ لتعدد فنون الباطل واختلافها، واتحاد الحق الذي لا طريق سواه[(3)].

رابعًا– المعنى الإجمالي:

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ * وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ * وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ ضرب الله ﷻ الأمثال في هذه الآيات للفريقين، المؤمن والكافر، لتأكيد النفى في تساويهما، فكما لا يستوى الأعمى والبصير، كذلك لا يستوى المؤمن المهتدى والكافر الضال، وكما لا تستوى الظلمات والنور، كذلك لا يستوى الكفر والإيمان، وكذلك لا يستوى ثواب المؤمنين، الذي هو كالظل الداعي إلى الراحة والنعيم، وعقاب الكافر الذى هو كالريح الحارة التي تلفح الوجوه.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ المؤمنون أحياء والكفار أموات، ولا يستوى الأحياء ولا الأموات، وليس المراد بالحياة الصورة المادية المعروفة، وإنَّما المراد الصورة المعنوية، فالمؤمنون أحياء في قلوبهم، ونفوسهم، وأرواحهم، ومشاعرهم، والكفار أموات القلوب، والنفوس، والمشاعر، كذلك لا يستويان، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ أي: إن الله ﷻ يسمع من يشاء إسماعه، ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ يخبر الله ﷻ رسوله ﷺ أنَّه لا يستطيع إسماع الكفرة،

(1) قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله ﷻ، للميداني، (ص:537).
(2) ينظر: المرجع السابق، نفس الصفحة.
(3) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (5/ 472)، روح البيان، لحقي، (7/ 338)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 397)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 525)، التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، (11/ 872).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لأنَّهم لا يريدون أن يسمعوا ويهتدوا، ومهمته ﷺ الإنذار؛ يبلغ الناس شرع الله ﷻ وينذرهم عقابه، أمَّا الهدى والضلال فبيد الله ﷻ[1].

خامسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

1– لا يستوى المؤمنون والكافرون في صفة أو فعل أو مصير:

هذه حقيقة قرآنية قاطعة وردت في أكثر من آية في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام:50]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ ۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:24]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ * وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ * وَلَا الظِّلُّ وَلَا الْحَرُورُ * وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ * إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:19-23]، وقال تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [غافر:58].

فالآيات جاءت لتنبيه الناس وتحذيرهم من مغبة الكفر الذي يجعل صاحبه كالأعمى الذي لا يبصر ما حوله، وليس المراد بالبصر هنا مجرد الرؤية بالعين، وإنَّما المراد بصيرة القلب وحيويته، كما أنَّه ليس المراد بالعمى هنا عدم الرؤية بالعين، إنَّما المراد به عمى القلب[2]، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:46]، فالكافر أعمى القلب والبصيرة، أعمى عن اتباع طريق الحق، وعمى قلبه يوقعه في الجهل، فيكفر بالحق ويتبع الهوى ويسير مع الباطل فيستحق الدخول في نار جهنم، وأمَّا المؤمن فالنور في قلبه، يتبع الحق ويبتعد عن الباطل.

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 457)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 542)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (264/6)، التفسير المنهجي، لمجموعة من الباحثين، (135/8).

(2) ينظر: جامع البيان، للطبري، (19/ 358)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

"فالإيمان حياة القلوب ونور البصائر وانشراحٌ للصدور وبهجةُ النفوس، وجلاء الأفهام، وربيعُ الأكوان، أمَّا الكفر فإنه ظلمةٌ في القلب ووحشةٌ في النفسِ وموتٌ للروحِ وغشاوةٌ على البصيرة وحيرةٌ للعقول وضيق في الصدور "[1].

يقول سيد قطب: "إنَّ الإيمان نور، نور في القلب ونور في الجوارح، ونور في الحواس، نور يكشف حقائق الأشياء والقيم والأحداث وما بينها من ارتباطات ونسب وأبعاد، فالمؤمن ينظر بهذا النور، نور الله،... والإيمان حياة، حياة في القلوب والمشاعر، حياة في القصد والاتجاه، والكفر عمى، عمى في طبيعة القلب، وعمى عن رؤية دلائل الحق، وعمى عن رؤية حقيقة الوجود، وحقيقة الارتباطات فيه، وحقيقة القيم والأشخاص والأحداث والأشياء، والكفر ظلمة أو ظلمات، فعند ما يبعد الناس عن نور الإيمان يقعون في ظلمات من شتى الأنواع والأشكال، والكفر حر حرور تلفح القلب فيه لوافح الحيرة والقلق وعدم الاستقرار على هدف، وعدم الاطمئنان إلى نشأة أو مصير. ثم تنتهي إلى حر جهنم ولفحة العذاب هناك!... ولكل طبيعته ولكل جزاؤه، ولن يستوي عند الله هذا وذاك"[2].

والمصيبة العظمى أن يكون الكافر الأعمى قائدًا وآمرًا للمسلم البصير، وصدق القائل حين قال:

أَعمَى يَقُودُ بَصيرًا لَا أَبَا لَكُمُ * قَدْ ضَلَّ مَنْ كانَتِ الْعُميَانُ تَهْدِيه**[3].

فعلينا بالاستمساك بديننا، والثبات على مبادئنا، والجهاد في سبيل الله ﷻ لرفع راية الإسلام، فنكون بذلك مبصرين للحق، نعيش في النور، ونقف في الظل، ونتمتع بالحياة، بينما يعيش مَنْ يحاصرنا ويتآمرون علينا كالأعمى في الظلمات، بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، فكيف إذا انضاف إليها الحرور، وصار أصحابها في عداد الأموات؟!!

2- الهدى والضلال بيد الله ﷻ وحده، وما على الرسول ﷺ إلا البلاغ:

دلَّت كثير من الآيات القرآنية على أنَّ الهدى والضلال بيد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ * إِنۡ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:22-23]، فمن شاء الله ﷻ أن يهديه هداه، ومن شاء أن يضله أضله، فلا يكون للرسول ﷺ ولا لأحد دور لا في الهداية ولا في الضلالة، ولو شاء الله ﷻ لهدى الناس جميعًا، فإنَّه سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (264/6).
(2) في ظلال القرآن، (5/ 2939،2940).
(3) البيت لبشار بن برد، حدائق الأزاهر، للقيسي، (ص: 59).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

في الأرض ولا في السماء، ولكن حكمته سبحانه وتعالى اقتضت أن نكون مختلفين، مهتدين ومضلين، فمن أطاع الله ﷻ ورسوله ﷺ دخل الجنة، ومن عصى الله ﷻ ورسوله ﷺ دخل النار، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل:93]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ۖ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [إبراهيم:4]، فالهداية إلى الحق بيد الله ﷻ وحده وليس لأحد من البشر فيها من نصيب، كما قال الله تعالى لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [القصص:56]، وقد يقول قائل كيف ذلك؟ وقد قال الله ﷻ لرسول ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:53]، والجواب: إنَّ هذه الآية نزلت عندما حاول النبي ﷺ مع عمه أبي طالب أن يَنطِق بكلمة التوحيد؛ ليَنخلِع من ثوب الشِّرك في آخر رَمَقٍ من حياته[1]، فقال: **(أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ)**[2]، وعمه يأبى ذلك؛ مخافة المسبَّة من قومه، فالله ﷻ يقول لنبيه؛ مُسلِّيًا له، ومخبرًا بأنَّه أدَّى ما عليه من الهداية، وهي هداية الدلالة والإرشاد، والهداية التي نفاها الله ﷻ عن رسوله ﷺ هي هداية التوفيق، فالرسول ﷺ يفتح الطريق أمام الناس ويبِّين لهم ويرشدهم، وأمَّا إدخال الناس في الهداية، فهذا أمر ليس إلى الرسول ﷺ، إنَّما هو مما تفرد الله ﷻ به، لذلك دعانا الله ﷻ إلى سؤاله وحثنا على التضرع إليه أن يهدينا إلى الصراط المستقيم كما ندعو في سورة الفاتحة التي نقرؤها في كلِّ ركعة، قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة:6-7][3]، والمسلم يدعو في صلاته لعلمه أنَّ الهداية بيد الله تعالى، ومع ذلك فالعبد مطالب بالأخذ بأسباب الهداية، مُطالَب بالصبر والثبات والبدء بطريق الاستقامة، فقد وهبه الله ﷻ عقلًا منيرًا، يميز بين الخير والشر، والهدى والضلال، فإذا بذل الأسباب الحقيقية، وحرص على أن يرزقه الله ﷻ الهداية التامة جاءه التوفيق من الله تعالى.

---

(1) ينظر: أسباب النزول، للواحدي، (ص: 337).

(2) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعلَمُ بِٱلمُهتَدِينَ﴾ [القصص:56]، ح (4772)، (6/ 112).

(3) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد، للعثيمين، (1/ 348).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الرابع
تسلية النبي ﷺ، وبيان وظيفته

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ * وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ * ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [فاطر:24-26].

أولًا- المعاني اللغوية:

﴿بِٱلزُّبُرِ﴾: جمع لكلمة زبور، والزبر الكتب[1]. بالزبر: أي الكتب المكتوبة كصحف إبراهيم وموسى- عليهما السلام-[2].

﴿نَكِيرِ﴾: العقوبة الرادعة، يقال: أمر نكير أي صعب[3]. نكير: أي إنكارى عليهم بالتدمير[4].

ثانيًا- المناسبة:

لما بيَّن فى الآية السابقة أنَّ مهمة الرسول ﷺ محصورة في الإنذار؛ يبلغ الناس شرع الله ﷻ وينذرهم عقابه، وأنَّ والهدى والضلال بيد الله ﷻ، وكان اقتصار هذا الوصف على الرسول ﷺ ربما أوهم الإنذار فقط، أتبعه هنا ببيان عظمته ووبيان رسالته، مبشرًا للمطيعين بالجنة، ومنذرًا للمكذبين بالنار، وأنَّ الله ﷻ لم يترك أمة سدى، بل أرسل الرسل فمنهم من أجاب دعوة الداعي ونجا، ومنهم من استكبر وعصى[5].

---

(1) ينظر: المحيط في اللغة، للطالقاني، (9/ 45)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 666)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (5/ 2749).

(2) ينظر: فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 397) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: 688)، التفسير الواضح، لحجازي، (3/ 161)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1072).

(3) ينظر: القاموس الفقهي، لأبي حبيب، (ص: 362).

(4) ينظر: تفسير الجلالينن، للمحلي والسيوطي، (ص: 575)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، (3/ 323)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1072).

(5) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 40)، تفسير المراغي، (22/ 122)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 296).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثا- وجوه البلاغة:

* الاقتصار على جانب من رسالة الرسول ﷺ وهو الإنذار، دون الجمع بينه وبين التبشير كما سبق في نفس الآية، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ لأنَّ الخطاب فى مواجهة المكذبين، الذين لن يؤمنوا أبدًا، والذين ليس لهم إلا ما تحمل إليهم النذر من عذاب، وبلاء، وقد يكون عدم ذكر وصف البشارة للإكتفاء بدلالة ما قبله عليه فالنذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة[1].

* التعبير بالكتاب بعد الزبر في قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ للتأكيد[2].

* ذكر الباء مع كلمتي الزبر والكتاب في قوله تعالى: ﴿جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾، وتجريده من آية آل عمران في قوله تعالى: ﴿**فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ**﴾ [آل عمران:184] لأنَّ المقام في سورة فاطر مقام التوكيد والتفصيل في الحديث عن الإنذار والدعوة والتبليغ، بخلاف ما ورد في سورة آل عمران فهو الحديث عن حادثة معينة وليس في سياق الآيات فاختلف الأمر هنا ولهذا حذفت الباء لأنه مناسب للإيجاز [3].

* التعبير بالظاهر موضع الإضمار في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ ليفيد التصريح بذمهم بما في حيز الصلة، والإشعار بعلة الأخذ[4].

* الاستفهام التقريري في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ وهو هنا كناية عن شدة العقاب[5].

* توافق الفواصل في قوله تعالى: ﴿إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ و ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ و ﴿فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ مما يزيد في جمال الكلام ورونقه ووقعه في النفس[6].

---

(1) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 608)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 297)، التفسير القرآني للقرآن، للخطيب، (11/ 876).

(2) ينظر: تفسير السمعاني، (4/ 355)، معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (3/ 692)، اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (16/ 127).

(3) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني، (ص:94)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 298).

(4) ينظر: روح البيان، لحقي، (7/ 341)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 397)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي، (11/ 242)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 299)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 342).

(5) ينظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي، (11/ 242)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 300)

(6) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 528)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 258).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا – القراءات

* قوله تعالى: ﴿رُسُلُهُم﴾ فيها قراءتان.

أ- قرأ أبو عمرو بإسكان السين ﴿رُسْلُهُم﴾

ب- وقرأ الباقون بضمها ﴿رُسُلُهُم﴾[1].

– وحجة من سكن السين: أنَّه استثقل حركة بعد ضمتين لطول الكلمة وكثرة الحركات فأسكن السين.

– وحجة من ضمها: أنَّه أتى على الأصل[2].

– الجمع بين القراءتين: لغات من لغات العرب. والله أعلم.

خامسًا– المعنى الإجمالي:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ﴾ يخبر الله ﷻ نبيه ﷺ أنّه أرسله بشيرًا ونذيرًا، واختاره رسولًا للعالمين جميعًا، يبشر المطيعين بالجنة، وينذر المكذبين بالنار، ﴿وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ﴾ أي: ما من أمةٍ من الأمم في العصور والأزمنة الخالية إلا وقد جاءها رسول، قال تعالى: **﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾** [النحل:36].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ جَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُنِيرِ﴾ هذه الآية مواساة وتسلية للرسول ﷺ، فهو ليس الوحيد الذي كذبه قومه، فقد بعث الله ﷻ قبله رسلًا إلى أقوامهم، فكذبوهم وكفروا بهم، بالرغم أنَّهم جاءوا بالمعجزات الباهرة، والأدلة القاطعة، وبالكتب الواضحة كالتوراة، والإنجيل، وصحف إبراهيم، وزبور داود–عليهما السلام–، ﴿ثُمَّ أَخَذۡتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۖ﴾ أي: ثم بعد إمهالهم أخذتُ هؤلاء الكفار بالهلاك والدمار، ﴿فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ أي: فكيف كانت عقوبتي لهم وإنكاري عليهم؟ وهذا تهديد لكفار قريش المكذبين للنبي ﷺ[3].

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 216).
(2) ينظر: حجة القراءات،لابن زنجلة، (ص: 225)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (2/ 34).
(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 460)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 543)، تفسير المراغي، (22/ 124)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 526).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا: تحليل المقاصد والأهداف:

1- وظيفة الرسول ﷺ الإنذار والتبشير:

من وظيفة الرسول ﷺ أنّه بعث مبشرًا ومنذرًا ليس لأمته فقط ولكن للإنسانية كلها، مبشرًا لمن أطاع، ومنذرًا لمن عصى، وقد ورد في القرآن آيات كثيرة تؤكد ضرورة البشرى والإنذار، قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾ [مريم: 97]، وقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:24]، وقد ضرب الرسول ﷺ لنفسه مثلًا في هذا، عن أبي موسى ﷺ، قال رسول الله ﷺ: **(إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ**[1]**، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَأَدْلَجُوا**[2]**، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ، وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ)**[3].

وكذلك الرسل –عليهم السلام– كانوا مبشرين ومنذرين، وتبشير الناس وإنذارهم دنيوي وأخروي، فهم في الدنيا يبشرون الطائعين بالحياة الطيبة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97]، ويخوِّفون العصاة بالشقاء الدنيوي، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه:124]، وفي الآخرة يبشرون الطائعين بالجنة ونعيمها، قال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [النساء:13]، ويخوفون المجرمين والعصاة من عذاب الله ﷻ في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ [النساء:14].

"ومن يطالع دعوات الرسل يجد أنَّ دعوتهم قد اصطبغت بالتبشير والإنذار، ويبدو أنَّ التبشير والإنذار على النحو الذي جاءت به الرسل هو مفتاح النفس الإنسانية، فالنفس الإنسانية مطبوعة على طلب الخير لذاتها، ودفع الشر عنها، فإذا بصّر الرسل النفوس بالخير العظيم الذي

---

(1) العُرْيَانُ: ضرب به النبي ﷺ المثل لأمته لأنَّه تجرد لإنذارهم، ينظر: شرح السنة، للبغوي، (1/ 195).

(2) فَأَدْلَجُوا: من الإدلاج وهو السير في الليل أو أوّله، ينظر: المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(3) صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن الرسول ﷺ، ح (7283)، (9/ 93).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يحصِّلونه من وراء الإيمان والأعمال الصالحة فإن النفوس تشتاق إلى تحصيل ذلك الخير، وعندما تُبيَّن لها الأضرار العظيمة التي تصيب الإنسان من وراء الكفر والضلال فإنَّ النفوس تهرب من هذه الأعمال، ونعيم الله المبشر به نعيم يستعذبه القلب، وتلذُّه النفس، ويهيم به الخيال"[1].

والله ﷻ لا يُدخِل أحدًا النار إلا بعد إرسال الرسل الذين يُبيِّنون للناس طريق الغيِّ من الرشاد، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: 15]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: 165]، وقد ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ قال: **(وَلاَ أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ العُذْرُ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ المُبَشِّرِينَ وَالمُنْذِرِينَ)**[2].

ووظيفة التبشير والإنذار مستمرة بالقرآن الكريم بعد وفاة النبى ﷺ في كل زمان ومكان، وهذا بحفظ الله ﷻ للرسالة القرآنية الكريمة، وبها يكون الرسول ﷺ بعث للناس كافَّة بشيرًا ونذيرًا، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ:28].

2- تسلية النبي ﷺ:

قال تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ [فاطر:25]، قد سبقت الإشارة إليها عند حديثنا عن تحليل المقصد والهدف من قوله تعالى: ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ [فاطر:4][3].

---

(1) الموسوعة العقدية، لمجموعة من الباحثين، (3/ 495).

(2) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب قول النبي ﷺ: (لا شخص أغيَرُ من الله)، ح (7416)، (9/ 123)، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش، ح (2760)، (4/ 2114).

(3) ينظر: (ص: 130)، من هذه الرسالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الخامس
العلم يدعو إلى الإيمان

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:27-28].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿جُدَدٌ﴾: مفردها جُدَّة بالضم وهي الطريقة والعلامة، والجُدَّة: الخُطَّة التي في ظهر الحمار تخالف لونه[1]. جدد: أي ذات طرائق وخطوط مختلفة الألوان[2].

﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: جمع غِربيب وهو الشديد السواد، يقال: أسود غربيب أي شديد السواد[3]. غرابيب سود: أي متناهية في السواد كالأغربة[4].

ثانيًا- المناسبة:

إنَّ في الآية لفت نظر إلى بعض مظاهر خلق الله ﷻ، فبعد أن ذكر سبحانه دلائل وحدانيته وعظيم قدرته التي أعرض عنها المشركون عنادًا واستكبارًا، أردف ذلك ذكر ما يرونه من المشاهدات الكونية المختلفة الأشكال والألوان، فجميع ما خلق الله ﷻ متنوع مختلف، فالاختلاف بين أفراد الأصناف والأنواع ناموس جبلي فطر الله ﷻ عليه مخلوقات هذا العالم الأرضي، فلا غرو أن يكون بينهم الجاهل والأحمق، والمعاند والمكابر والمستكبر، والعالم والواعي والراضخ للحق والمستجيب إلى دعوة الهدى، والمعرض عن ذلك، فالعلماء الواعون هم الذين يدركون معاني دعوته ويستجيبون إليها ويخشون الله ﷻ[5].

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 453)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (1/ 245).

(2) ينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي، (8/ 105)، إيجاز البيان عن معاني القرآن، للنيسابوري، (2/ 685)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 524).

(3) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (1/ 192)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (3/ 352)، لسان العرب، لابن منظور، (1/ 646)، المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (2/ 648).

(4) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 524)، التفسير الواضح، لحجازي، (3/ 163)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 352)، التفسير الحديث، لدروزة، (3/ 120).

(5) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 125)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 300)، التفسير الحديث، لدروزة، (3/ 120،121).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا– وجوه البلاغة:

* الإستفهام التقريري، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ وفيه معنى التعجب(1).

* الالتفات من الغيبة إلى التكلم، في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا﴾ لإظهار كمال الاعتناء بالفعل لما فيه من الصنع البديع المنبئ عن كمال القدرة، ولأنَّ المنة بالإخراج أبلغ من إنزال الماء(2).

* تقديم ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ علي ﴿سُودٌ﴾، في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ لقصد التأكيد، وكثيرًا ما يأتي مثلُ هذا في كلام العرب، وهو حاصل على كل حال، وهذا يعني أن تقديم ﴿وَغَرَابِيبُ﴾ علي ﴿سُودٌ﴾ فيه توكيد على أنه حالِك(3) السواد(4)، مما يؤكد أنَّ هذه الأجسام تعد أجسامًا معتمة تمامًا، فهي مثالية في سوادها وعتمتها، والغرضُ بيان قدرته تعالى، فليس اختلاف الألوان قاصرًا على الفواكه والثمار بل إن في طبقات الأرض وفي الجبال الصلبة ما هو أيضًا مختلف الألوان.

* تقديم اسم الله تعالى وتأخير العلماء، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ ليؤذن أنَّ معناه أنَّ الذين يخشون من عباده العلماء دون غيرهم، ولو عكس لكان المعنى أنَّهم لا يخشون إلا الله ﷻ، وهما معنيان مختلفان كما يبدو للمتأمل(5).

---

(1) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (9/ 28)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 528)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 344)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 258).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 235)، الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، (9/ 226)، اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (16/ 128)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 398)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 528)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 344)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 258).

(3) حالِك: أي شديد السواد، ينظر: تهذيب اللغة، للهروي، (4/ 63)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (4/ 1581)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (3/ 1547).

(4) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (4/ 437)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 236)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 303)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 526).

(5) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 611)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (3/ 86)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (5/ 475)، إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (8/ 152)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان، للنيسابوري، (5/ 515)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 304).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* قصر صفة على موصوف، في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ فقد قصر الخشية على العلماء[1].

* تذييل الآية بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليل لوجوب الخشية، لدلالته على أنَّه يعاقب على المعصية، ويغفر الذنوب لمن تاب من عباده[2].

رابعًا- المعنى الإجمالي:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا﴾ ألم تر يا محمد ﷺ أنَّ الله ﷻ أنزل الماء من السحاب، وخلق منه النبات، والزروع، والثمار المختلفة في ألوانها، وأجناسها، وأشكالها، وطُعومها، وروائحها، منها الأحمر، والأسود، والأصفر، وغير ذلك، مع أنَّها تسقى بماءٍ واحدٍ، قال تعالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد:4]. ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾: كذلك خلق الله ﷻ الجبال مختلفة الألوان، منها طرقٌ بيض، وطرقٌ حمر، وغرابيب شديد السواد، وهذا التنوع في صفاتها يدل على قدرة الله ﷻ ووحدانيته، ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كذلك الأناسي، والدواب، والأنعام-الإبل والبقر والغنم- مختلفة الألوان كذلك، قال تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ [الروم:22]، فيجب على الناس التفكر في ذلك ليزدادوا إيمانا، ولهذا قال الله تعالى بعد هذا: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ أي: إنَّما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ فالعلماء على مختلف تخصصاتهم أكثر الناس خشية وخوفًا منه، وذكرًا له وإقبالًا عليه، فهم يجمعون بين الخوف منه لأنه عزيز، والرجاء فيما عنده لأنه غفور[3].

(1) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 528)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 258).
(2) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 611)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 258)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (3/ 87)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، للشوكاني، (4/ 398)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 305).
(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 461،462)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/543،544)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 526)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (8/138،139).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- الألوان دليل على قدرة الله ﷻ وعلمه:

إنَّ اختلاف ألوان الثمار كما نراه من تنوع ألوانها وطعومها وروائحها، واختلاف ألوان الجبال والحيوانات، وكذلك اختلاف ألوان الناس، يدل على قدرة الله تعالى في بديع صنعه، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:22]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:27-28].

وجاء قوله تعالى: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ﴾ عامًا ولم يُحدده ليوحي بتعدد ألوان النبات، والجبال، والناس، والدواب، والأنعام، والسبب في اختلاف ألوان الناس ما بينه الحديث الشريف من أنَّ آدم عليه السلام خلق من قبضة قبضها الله ﷻ من جميع الأرض فاختلفت ألوان بني آدم عليه السلام بسبب اختلاف ألوان الأرض، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، قال سمعت رسول الله ﷺ، يقول: **(إِنَّ اللهَ ﷻ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الْأَرْضِ، فَجَاءَ بَنُو آدَمَ عَلَى قَدْرِ الْأَرْضِ. جَاءَ مِنْهُمُ الْأَبْيَضُ وَالْأَحْمَرُ وَالْأَسْوَدُ وَبَيْنَ ذَلِكَ، وَالْخَبِيثُ، وَالطَّيِّبُ وَالسَّهْلُ، وَالْحَزْنُ وَبَيْنَ ذَلِكَ)**[1].

وعن اختلاف ألوان الثمار التي تحدثنا عنها الاكتشافات العلمية الحديثة تؤكد أنَّه كما تختلف الثمار في مجموعاتها كذلك تختلف في ألوانها، وطعمها، ورائحتها، ويرجع هذا الاختلاف الواضح إلى تركيبها الكيميائي، وإلى صفاتها الطبيعية، وما تحويه من عناصر غذائية، ومواد مختلفة وضعت بنسب مختلفة قدرها الله تعالى بمقادير دقيقة تعطي لكل ثمرة خصائصها، وكذلك العامل الحاسم في تلوين الجبال، واختلاف ألوانها، التي تأخذ ألوانها من ألوان معادنها التي تشترك في بنيتها، والمعادن تتلون بقدر أكسدتها، حيث إنَّ الماء له علاقة بهذه الأكسدة، لذلك تجد أنَّ أحد عوامل تلوينها، واختلاف ألوانها يعود إلى الماء.

---

(1) مسند أحمد، مسند الكوفيين، مسند أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ح (19582)، (32/ 353)، سنن أبي داود، كتاب السنة، باب فى القدر، ح (4693)، (4/ 222)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وقال الألباني: صحيح، صحيح الجامع، للألباني، (2/ 163،164).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا نستطيع فى هذا البحث الحديث عن سبب اختلاف الألوان في كل ما خلقه الله تعالى فهي كثيرة، فمن أراد الاستفادة فعليه الاطلاع في كتاب موسوعة الإعجاز العلمي فى الكتاب والسنة للنابلسي[1].

وعلى كل حال: فالواجب على المؤمن أن يسلم لله سبحانه وتعالى حكمته البالغة في خلقه وأمره، فما تبين لنا منها، حمدنا الله تعالى على ما بين لنا من مراده وحكمه، وما زاد المؤمن ذلك إلا إيمانًا وتسليمًا، وما خفي علينا أمره، فوضناه إلى الله ﷻ وآمنا به.

وفي هذه الأرض تنوع وتعدد لا يعلم عدده إلا اللّٰه ﷻ؛ تنوع في الجبال الرواسي التي تحفظها أن تميد، وتنوع في الأنهار، وتنوع في طبائع قطع الأرض المتجاورات، وتنوع في الثمرات التي تثمرها ذات الأرض الواحدة التي خلقها اللّٰه ﷻ، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنۡ أَعۡنَٰبٍ وَزَرۡعٌ وَنَخِيلٌ صِنۡوَانٌ وَغَيۡرُ صِنۡوَانٍ يُسۡقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٍ فِي ٱلۡأُكُلِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ﴾ [الرعد:4]، فإنَّ التعددية، والتنوع في هذا الخلق، هي عوالم لا يدري إحصاءها إلا اللّٰه ﷻ، والعجيب أن الله ﷻ ذكر في هذا النص الكريم شيئًا غريبًا لا يمكن أن يصدر من بشر، وذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ وهذا يعني أنَّ العلماء هم أشد خشية لله ﷻ من غيرهم، وهذه الآية كانت سببًا في إسلام أحد العلماء لأنَّه أدرك أنَّه لا يمكن لبشر أن يعرف مثل هذه الحقيقة[2].

---

(1) ينظر: موسوعة الإعجاز العلمي فى الكتاب والسنة، للنابلسي، (ص:92-95).

(2) هنا قِصَّة أذكرها كتبها الأستاذ: وحيد الدين خان حيث نقل عن العلامة الهندي الدكتور عناية الله المشرقي أنه قال: "كنتُ أدرس في كمبريدج، وذات يوم كانتِ السماءُ تمطر بغزارة، فخرجت من بيتي لقضاء حاجة، فإذا بي أرى الفلكي المشهور السير جيمس جينز ذاهبًا إلى الكنيسة والإنجيل والشمسية تحت إبطه، فدَنَوْتُ منه وسلَّمْتُ عليه، فلم يَرُدَّ عليَّ، فسَلَّمْتُ مرة أخرى، فسألني: ماذا تريد مني؟ فقلتُ له: أريد أن أسألك عن شيئين: الأول: لماذا لا تَفْتَح مظلتك رغم نزول المطر؟! فابتسم السير جينز، وفتح المظلة، وأمَّا السؤال الثاني: فلماذا تذهب إلى الكنيسة وأنت عالِمٌ كبيرٌ ذائع الصيت؟! وهنا توَقَّف العالِمُ الكبير لحظةً، ثم قال لي: نلتقي معًا هذا المساء لنناقشَ هذه القضية، فذهبتُ إليه في الموعد المحدد...، فسألني على الفور: ماذا كان سؤالك لي في هذا الصباح؟ ودون أن ينتظرَ مني جوابًا، بدأ يتكَلَّم عن الكون ونظامه الدقيق المدهش، وعن الكواكب في السماء ونظامها العجيب المُحْكَم، وعن المجرَّات وأبعادها اللامتناهية، وطوفان أنوارها الباهرة، فنظرْتُ إلى العالم الكبير فإذا به يبكي، ويداه ترتعدان من خشية الله! ثم توقَّفَ فجأةً، وبدأ يقول: عندما ألقي نظرةً على روائع خلق الله يبدأ كياني يهتَزُّ مِن الجلال الإلهي، وعندما أركع أمام الله، أقول: إنك لعظيم، أحس بسعادة تفوق كل سعادة! فقلتُ له: لقد تأثَّرْتُ كثيرًا بما قلتَ، فهل تسمحُ لي بقراءة آية مِن آيات كتابي المقدس (القرآن)؟ فأجاب المستر جينز: بكل سرور تفضل. فقرأتُ عليه قولَه سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ=

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتدبروا كيف ربط الله ﷻ بين العلم وخشية الله تعالى من جهة، وبين معجزة الألوان من جهة ثانية، ليدلنا على أهمية هذا التنوع في عالم الألوان وتأثيرها على الناس، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ * أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الزمر:21-22]، إنَّ الله ﷻ يريد أن يعطينا إشارة إلى أهمية التفكر في عالم الألوان واختلافها، وبخاصة أنَّ التراب واحد والماء واحد ولكننا نرى عالمًا مليئًا بالألوان لا تكاد تجد له نهاية.

فالله ﷻ يلفت أنظار الناس إلى كمال قدرته، في تنويع المخلوقات المختلفة من الشيء الواحد وهو الماء الذي ينزل من السماء فيُخرج به ثمرات مختلفا ألوانها من أصفر، وأحمر، وأخضر، وأبيض، ومتنوعًا طعمها، ورائحتها، وهذا يُعَدُّ من الإعجاز العلمي الذي اعترف به العلم أنَّه من صنع الإله القادر على كل شيء.

2- العلم سبيل الخشية:

آيتان عظيمتان تحثَّان الناس جميعًا على العلم، وتبيِّن فضله وارتباط العلم بخشية الله تعالى وهما:

الآية الأولى قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:27-28]، نرى أنَّه من الفهم الضيق لهذه الآية حصرها على علماء القرآن والسنَّة فحسب، وإن كانوا هم على رأس العلماء، فشَرَف العلم بشرف المعلوم، لكننا نرى أنَّ معنى الآية أشمل من ذلك، فالآية تتناول علومًا كثيرة؛ منها: العلم بالكون، والماء، والنبات، والمُناخ، والإنسان، والحيوان، وغيرها من العلوم، فكلُّ من علم شيئًا من هذه العلوم وانتفع منها فسيزيده ذلك العلم خشية من ربه، فتورث صاحبها استحضار عظمة الرب ومزيدًا من الإيمان به؛ لذا قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾(1).

= السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ* وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر:27-28]، وما كدتُ أتوقَّف حتى صرَخ السير جينز قائلاً: ماذا قلت؟ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاء﴾؟! مدهش، غريب، عجيب جدًّا! مَنْ أنبأ محمدًا بهذا؟ هل هذه الآيةُ في القرآن حقًّا؟ لو كان كما تقول فاكْتُبْ شهادة عنِّي: أن القرآن وحي من عند الله! لقد كان محمَّدٌ أميًّا، ولا يمكن أن يكشفَ هذا السر بنفْسِه، فالله هو الذي أخْبَرَه بهذا السِّرّ"، الإسلام يتحدى، لوحيد الدين خان، (ص: 180).

(1) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (4/ 437).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما الآية الثانية قال تعالى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [الزمر:9]، فهذه الآية يستدل بها عددٌ مِن أهل العلم على أهميَّة العلم الشرعي المتَخَصِّص وضرورة الاجتهاد في تحْصيلِه، فالعلم الحقيقي الذي يقود صاحبه إلي الله ﷻ يكون بالعلم بالله تعالى وبالعمل بما يرضيه بالقنوت آناء الليل ساجدًا وقائمًا، خاشعًا لله تعالى، خائفًا من أهوال يوم القيامة، يرجو ما عند الله ﷻ من رحمات ومغفرة. ومِن جميل ما طالعْتُه في ذلك، ما كتَبَه شيخُ الإسلام ابنُ تيميَّة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ "والمعنى أنَّه لا يخشاه إلا عالم؛ فقد أخبر الله ﷻ أنَّ كل من خشي الله تعالى فهو عالم، كما قال في الآية الأخرى: ﴿**أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ**﴾ [الزمر:9]"[(1)].

وهناك أحاديث نبوية صحيحة عديدة فيها تنويه بالعلم وحثّ عليه وتنويه بالعلماء وفضلهم ومسؤولياتهم، ومن ذلك ما ورد عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ)**[(2)]، وقال رسول الله ﷺ: **(مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ)**[(3)]، وعن ابن مسعود ﷺ، أنَّه قال: "ليس العلم عن كثرة الحديث، ولكن العلم عن كثرة الخشية"[(4)]، وقد يُفتن البعض بالعلم بكثرة الرواية، ويعجب بذلك وقلوبهم فارغة من الخشية؛ فالذين يخشون الله تعالى هم العارفون به، وكلما كانت المعرفة للعظيم أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر، وقد كان رسول الله ﷺ أعلم الناس بالله العظيم وأشدهم له خشية، وفي هذا المعنى يقول النبي ﷺ: **(أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ)**[(5)].

(1) مجموع الفتاوى، (7/ 21).

(2) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن، ح (2699)، (4/ 2074).

(3) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين، ح (71)، (1/ 25)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب النهي عن المسألة، ح (1037)، (2/ 719).

(4) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 545).

(5) صحيح البخاري، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، ح (5063)، (7/ 2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد أجمع العارفون على أنَّ الخشوع محله القلب[1]، فالعلم النافع هو ما باشر القلب فأوجب له السكينة والخشية والتواضع والانكسار.

ولما كانت الخشية هي منزلة العلماء وصفوة خلق الله تعالى، وكانت لها هذه الدرجة العالية عند الله ﷻ، وكان جزاؤها المغفرة والجنة والفوز العظيم؛ لذا كان رسول الله ﷺ يدعو ويعلمنا الدعاء لحصول هذه الدرجة، قال رسول الله ﷺ: **(اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مُصِيبَاتِ الدُّنْيَا، وَمَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا)**[2].

والعلم هو في نفسه غاية الغايات، ونهاية النهايات؛ والعلم أيضًا وسيلة سامية لغايات بالغة السمو، فبغير العلم لا نستطيع أن نعالج مشاكل الحياة علاجًا سليمًا محكمًا، وبغيره لا نستطيع أن نحمي أنفسنا وندفع عنها عدوان المعتدين، فالعلم إذن يجمع بين الحق والقوة، والسعادة والسيادة، والعظمة والسلطان، فـ بالعلم استطاع الإنسان أن يسخر الماء والهواء، والبخار والكهرباء[3].

(1) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، (1/ 517).

(2) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء في عقد التسبيح باليد، ح (3502)، (5/ 528)، قال الألباني: حسن، صحيح الجامع الصغير وزيادته، للألباني، (1/ 272).

(3) ينظر: أوضح التفاسير، للخطيب، (1/ 532).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الخامس

المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (29-37)

فضل تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والإنفاق وجزاء المؤمنين والكافرين

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: فضل تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والإنفاق.

المطلب الثاني: حال السعداء من ورثة كتاب الله ﷻ.

المطلب الثالث: جزاء الكافرين بالعذاب.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
فضل تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والإنفاق

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ * وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [فاطر 29–31].

أولًا– المعاني اللغوية:

﴿لَّن تَبُورَ﴾: أي لن تكسَد وتفسَد، أو لن تهلِك(1).

ثانيًا– المناسبة:

لما بيَّن الله ﷻ فى الآية السابقة ما للعلماء من مقام عند الله ﷻ، وما فى قلوبهم من خشية له، أردف بعد ذلك حال العالمين بكتاب الله ﷻ العاملين بما فرض فيه من أحكام، كإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والإنفاق في سبيل الله تعالى، راجين من الله تعالى حسن المثوبة وكمال الأجر، وزيادة الفضل، فكل من توافرت فيهم هذه الأوصاف فهم العلماء العاملون به، نسأل الله ﷻ أن نكون منهم، وبيَّن أنَّ هذا الكتاب حق ومصدق لما تقدمه من الكتب السابقة(2).

ثالثًا– وجوه البلاغة:

* التعبير بـ ﴿يَتۡلُونَ﴾ بالفعل المضارع دون الماضي، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ للإشعار بالتجدد والاستمرار(3)، فكأنَّ المؤمن في كل آن وحين في حاجة ملحة للتلاوة.

* الطباق بين: ﴿سِرّٗا﴾ و ﴿وَعَلَانِيَةٗ﴾.

---

(1) ينظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 575)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: 689)، (ص:141)، من هذه الرسالة.

(2) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 236)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 49)، تفسير المراغي، (22/ 127،128)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 305)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 265)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (137/8).

(3) ينظر: البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (3/ 310)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 50)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 306).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* تقديم ﴿سِرًّا﴾ على ﴿عَلَانِيَةً﴾ في قوله تعالى: ﴿وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ لأنَّها أبعد عن الرياء، وأخر العلانية وذكرها لأنَّه تأتي مواطن علانية لابد من الإنفاق فيها، ولا يمكن أن تحجب، لكن لابد من إخلاص النية لله ﷻ[1].

* الاستعارة في قوله تعالى: ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ استعار التجارة للمعاملة مع الله ﷻ لنيل ربح الثواب، وشبهها بالتجارة الدنيوية وهي معاملة الخلق بالبيع والشراء لنيل الربح، ثم أيدها بقوله تعالى: ﴿لَّن تَبُورَ﴾[2].

* توافق الفواصل في قوله تعالى: ﴿لَّن تَبُورَ﴾ و ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ مما يزيد في جمال الكلام ورونقه ووقعه في النفس[3].

رابعًا- المعنى الإجمالي:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾ يخبر الله تعالى عن عباده المؤمنين الذين يتلون كتابه ويؤمنون به ويعملون بما فيه، من إقام الصلاة على الوجه الأكمل في أوقاتها، بخشوعها وآدابها، وشروطها، وأركانها، والإنفاق مما رزقهم الله ﷻ في الأوقات المشروعة ليلًا ونهارًا، فى السر والعلن، ﴿يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ أي: يرجون بعملهم هذا ثوابًا عند الله ﷻ لابد من حصوله، تجارة رابحة، لن تكسَد وتفسَد، أو لن تهلك بالخسران أبدًا، ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ أي: ليوفيهم الله ﷻ على ثواب ما عملوه في الدنيا، ويضاعفه لهم بزيادات لم تخطر لهم، ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ أي: مبالغ في الغفران لأهل القرآن، شاكر لطاعتهم، وقد سمى العلماء هذه الآية بـ آية القراء[4].

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾ أي: والذي أوحيناه إليك يا محمد ﷺ من الكتاب هو الحق الذي لا شك فيه، ولا ريب في صدقه.

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي: حال كونه مصدقًا لما سبقه من الكتب الإلهية المنزلة كالتوارة، والإنجيل، والزبور، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ أي: إنَّ الله ﷻ بعباده لذو علم وخبرة بما يعملون بصير بما يصلحهم من التدبير[5].

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 307).
(2) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 528)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 258).
(3) ينظر: المرجعين السابقين، نفس الجزء والصفحة.
(4) ينظر: نفس المرجعين السابقين، نفس الجزء والصفحة.
(5) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 463-465)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 545،546)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 527).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

1– التجارة الرابحة مع الله ﷻ:

التجارة مع الله ﷻ هي عمل العلماء الذين يخشون الله ﷻ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ * لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾ [فاطر29–30]، فبعد أن ذكر الله ﷻ الذين يخشونه وهم العلماء، ذكر أعمالهم من تلاوة كتابه، وإقامة الصلاة، والإنفاق سرًا وعلنًا، وهؤلاء العلماء أطاعوا الله ﷻ من أجل نيل الثواب منه، وهي التجارة التي لن تهلك أبدًا.

التجارة مع الله تعالى هي حقيقة هذه الحياة الفانية، فالمسلم عليه أن يذكر دائمًا أنَّه في تجارة مستمرة مع ربه، كل ساعة وكل دقيقة حتى كل ثانية لا يخلو من عملية البيع والشراء، ماذا باع لله ﷻ؟ وأي سلعة عرض إليه تعالى؟ هل هي سلع مقبولة أومردودة؟.

وإذا كان الهدف من هذه الحياة هو عبادة الله تعالى وابتغاء مرضاته فلا مفر إذن من التجارة مع الله تعالى، فهي واجبة بموجب الحياة في هذه الدنيا، لأنَّ التجارة مع الله تعالى تنجي من العذاب الأليم يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ * تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ * يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ * وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصف:10–13]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [البقرة:207]، فكل معاملة شرعية مع الله ﷻ، وكل عبادة لله ﷻ خالصة فهي تجارة، وكل تجارة مع الله ﷻ لا يمكن أن تبور بحال من الأحوال.

ويتبين لنا أنَّ التجارة مع الله ﷻ هي الإيمان بالله ﷻ وبرسوله ﷺ مع فعل الطاعات من التلاوة، والصلاة، والصدقة، والجهاد في سبيله بالمال، والنفس مع الإخلاص.

إنَّ التجارة مع الله ﷻ تفترق عن سائر التجارات في الدنيا؛ لأنَّها معاملة بين العبد الفقير الضعيف المحتاج، والرب الغني القادر القاهر، فكل أحد منَّا يريد أن يعامل غيره من أجل أن يربح منه، فهي معاملة بين فقير وفقير، وبين محتاج ومحتاج، فكل منَّا يريدك لنفسه، والله تعالى غني

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عنًّا، وتجارة الدنيا رخيصة قليلة البقاء كحال الحياة الدنيا! ولكن تجارة الحسنات أو التجارة الرابحة تجارة باقية الربح[1].

وكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة تحدثت عن فضل تلاوة القرآن، والصلاة، والإنفاق، لا نسطيع ذكرها في هذا البحث، وإنَّما سأكتفى بذكر حديث واحد على كل منهما:

من الرِّبح العظيم في قراءة القرآن: عن أبي أمامة الباهلي[2] قال، سمعت رسول الله ﷺ يقول: **(اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ، اقْرَءُوا الزَّهْرَاوَيْنِ الْبَقَرَةَ، وَسُورَةَ آلِ عِمْرَانَ، فَإِنَّهُمَا تَأْتِيَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا غَيَايَتَانِ، أَوْ كَأَنَّهُمَا فِرْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا، اقْرَءُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، فَإِنَّ أَخْذَهَا بَرَكَةٌ، وَتَرْكَهَا حَسْرَةٌ، وَلَا تَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ)**[3].

ومن فضل الصلاة: عن أبي هريرة ﵁، أَنَّ رسول الله ﷺ كان يقول: **(الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ)**[4].

ومن فضل الإنفاق: عن أبي هريرة ﵁، عن النبي ﷺ قال: **(سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ)**[5].

---

(1) ينظر: التجارة فى القرآن الكريم، لعبد العزيز عمر، (ص:43-50).

(2) هو: صدى بن عجلان، كان من المكثرين في الرواية عن رسول الله ﷺ، وأكثر حديثه عند الشاميين، توفي سنة 86هـ، وهو آخر من مات بالشام من أصحاب رسول الله ﷺ، ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر، (4/ 1602)، سير أعلام النبلاء، للذهبي، (3/ 359).

(3) صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل قراءة القرآن، وسورة البقرة، ح (804)، (1/ 553).

(4) صحيح مسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بنيهن ما اجتنبت الكبائر، ح (233)، (1/ 209).

(5) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، باب الصدقة باليمين، ح (1423)، (2/ 111)، صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة، ح (1031)، (2/ 715).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فطوبى لكل مؤمن تاجر سلعته إلى الله تعالى، طوبى له بالفوز العظيم والنجاح الحقيقي في الدنيا، والفوز الأخروي بدخول الجنة التي تجري من تحتها الأنهار ومساكن طيبة وذلك هو الفوز العظيم.

2- تصديق القرآن الكريم للكتب السابقة:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ هُوَ ٱلۡحَقُّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [فاطر:31]، يصف الله ﷻ في هذه الآية الكريمة القرآن الكريم أنَّه حق ومصدق لما بين يديه.

لقد اشتمل القرآن الكريم على كثير من الآيات التي تفيد أنَّه حق ومصدق لما تقدمه من الكتب السابقة، قال تعالى: ﴿نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:3]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ﴾ [المائدة:48]، وقال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ وَمَنۡ حَوۡلَهَاۚ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۖ وَهُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام:92]، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة التي وصف فيها القرآن الكريم بأنه حق ومصدق لما بين يديه.

تكفل الله ﷻ بحفظ القرآن الكريم إلى أن يرث الأرض ومن عليها، فجعل القرآن الكريم شاهدًا على ما سبقه من الكتب، ومبينًا لما حرف منها، وحاكمًا بما أقره الله تعالى وأمر به من أحكام، وهو أمين عليها في ذلك كله، أمَّا الكتب السابقة فقد بعث الله ﷻ موسى عليه السلام ومعه التوراة، فحرفها قومه، وبدَّلوا وغيَّروا، حتى أصبحت التوراة غير التوراة، وبعث سبحانه عيسى عليه السلام ومعه الإنجيل، فحُرف كما حُرفت، وبُدل كما بُدّلت، حتى أصبح الإنجيل غير الإنجيل، وبعث الله ﷻ أنبياء آخرين، وأنزل معهم الكتب، ولم تسلم مما أصاب أمثالها، إلا القرآن الكريم، فقد تكفل الله تعالى بحفظه، قال ابن كثير- رحمه الله تعالى-: "جعل الله هذا الكتاب العظيم، الذي أنزله آخر الكتب وخاتمها، أشملها وأعظمها وأحكمها حيث جمع فيه محاسن ما قبله، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره؛ فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها كلها. وتكفل تعالى بحفظه بنفسه الكريمة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:9]"[1].

---

(1) تفسير القرآن العظيم، (3/ 128).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبيان أنَّ القرآن الكريم صدق ما سبقه من كتب من جهات متعددة وهي الآتي:

1- أنه أثبت الوحي، حيث أخبر الله ﷻ في كثير من آياته أن الله تعالى أرسل رسلًا كثيرين قبل محمد ﷺ وأوحى إليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا﴾ [النساء:163]، فهذا تصديق لأصل الوحي وللرسالات السابقة، وبذلك يكون القرآن مصدقا لما بين يديه، ويكون محمد ﷺ كذلك مصدقا لمن سبقه من رسل الله تعالى.

2- أنَّ القرآن الكريم جاء حسب وصفه الموجود في تلك الكتب، حيث اشتمل على وصف خاتم الرسل، وأنَّه يأتي بكتاب من عند الله ﷻ، فنزول القرآن على وفق هذه النعوت تصديق لهذه الكتب.

3- أنَّ القرآن الكريم قد وافق ما سبقه من كتب في مقاصد الدين الإلهي وأصوله التي لا تختلف باختلاف الشرائع والرسالات[1].

المطلب الثاني
حال السعداء من ورثة كتاب الله ﷻ

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ * جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ * وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ * ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ [فاطر:32-35].

أولًا- المعاني اللغوية:

﴿ٱلۡحَزَنَۖ﴾: جمع أحزان، والحزن خلاف السرور، حزَنَ يَحزن حُزْنًا فهو مُحزِن، وحزَنه الأمر: أي غمه[2]. الحزن: أي كل ما يحزن ويغم[3].

---

(1) ينظر: تصديق القرآن للكتب السماوية وهيمنته عليها، لسلامة، (ص: 79-82).

(2) ينظر: المحيط في اللغة، للطالقاني، (3/ 10)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (5/ 2098)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (2/ 54)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (1/ 380).

(3) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (3/ 513)، الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للواحدي، (7/ 319).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ﴾: المُقامة مثل الإقامة، يقال: أقمت بالمكان إقامة ومقامَة ومُقَامًا[1]. دار المُقامة: أي دار الإقامة الدائمة (الجنة)[2].

﴿نَصَبٌ﴾: التعب والإعياء، يقال: نصب الرجل نصبًا أي تعب[3].

﴿لُغُوبٌ﴾: اللُغُب: إعياء من التعب وفتور، وهو نتيجة النصب، نتيجة النصب يفتر الإنسان، فالنصب تعب ثم نتيجة الإعياء يحصل فتور[4]، فالنصب واللغوب كلاهما يراد بهما التعب، ومنهم من فرق بينهما فقال: "إنَّ النصب تعب الأبدان، واللغوب تعب القلوب والأرواح"[5].

ثانيًا- المناسبة:

لما أثنى الله ﷻ على الذين يتلون كتاب الله تعالى، ذكر بعد ذلك ورثته أمام هذا الكنز الثمين فهم على ثلاثة أقسام: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، ثم أوضح جزاء العاملين به في الآخرة[6].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* تقديم الظالم وتوسط المقتصد وتأخير السابق في قوله تعالى: ﴿فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ قدم الظالم للإيذان بكثرتهم، وأنَّ المقتصدين أقل منهم عددًا

---

(1) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (4/ 271)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (8/ 5669)، تاج العروس للزبيدي، (33/ 311)، المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (2/ 768).

(2) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 129)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 230)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 355).

(3) ينظر: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (10/ 6625)، لسان العرب، لابن منظور، (1/ 758)، تاج العروس، للزبيدي، (4/ 270)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 614)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 529)، لباب التأويل في معاني التنزيل، للخازن، (1/ 95).

(4) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (1/ 220)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (5/ 256)، لسان العرب، لابن منظور، (1/ 742)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 614)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 317).

(5) فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، للأنصاري، (ص:469).

(6) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 237)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 529)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 265).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسابقون أقل من القليل، قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:13]، وقيل قدم الظالم لئلا ييأس من فضله، وقيل: ليعرّفه أنَّ ذنبه لا يبعده من ربه تعالى(1).

* تقييد السبق بالخيرات في قوله تعالى: ﴿سَابِقُۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ إشارة إلى عزة الرتبة وصعوبة مأخذها.

* التعبير بالجمع في ﴿جَنَّٰتُ﴾ دون المفرد في قوله تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ لأنَّها جنات كثيرة وليس جنة واحدة، فهناك جنة الفردوس، وعدن، والنعيم، والمأوى، والخلد، والسلام، وعليين، وفي كل جنة مراتبُ ونُزلٌ بحسب مراتب العاملين(2).

* صيغتا المبالغة في قوله تعالى: ﴿لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾(3).

* الإطناب في قوله تعالى: ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ للمبالغة في انتفاء كل من النصب واللغوب(4).

رابعًا- القراءات:

* قوله تعالى: ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾ فيها قراءتان.

أ- قرأ أبو عمرو بضم الياء وفتح الخاء ﴿يُدْخَلُونَهَا﴾.

ب- وقرأ الباقون بفتح الياء وضم الخاء ﴿يَدْخُلُونَهَا﴾(5).

- وحجة من قرأ بضم الياء وفتح الخاء: أنَّه أضاف الفعل إلى غيرهم، لأنَّهم لا يدخلون حتي يدخلهم الله ﷻ إياها.

- وحجة من قرأ بفتح الياء وضم الخاء: أنَّه أضاف الفعل إليهم، لأنَّهم هم الداخلون بأمر الله ﷻ لهم(6).

- وبالجمع بين القراءتين: يتبين لنا أنَّ كلتا القراءتين متداخلتان لأنَّهم إذا أمروا بالدخول دخلوا، ولأنَّهم لا يدخلونها حتى يُدخلهم الله تعالى إياها، فهم داخلون مُدخلُون. والله أعلم.

(1) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري، (3/ 613)، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 259)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل، للنسفي، (3/ 89)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 56)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 312).

(2) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 530).

(3) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 533)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 264).

(4) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 317)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 533).

(5) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 252).

(6) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 296)، حجة القراءات لابن زنجلة، (ص: 212،213).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* قوله تعالى: ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾ فيها قراءتان.

أ- قرأ عاصم ونافع وأبو جعفر بالنصب ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾.

ب- وقرأ الباقون بالخفض ﴿وَلُؤْلُؤٍ﴾(1).

- وحجة من قرأ بالنصب: على أنَّها مفعول به أي يحلون أساور من ذهب ولؤلؤا خالصًا.

- وحجة من قرأ بالخفض: أنّها معطوفة على ﴿ذَهَبٍ﴾، وتفيد أنَّ المؤمنين لهم أساور من ذهب مرصعة باللؤلؤ(2).

- والجمع بين القراءتين: القراءتان ترجعان إلى معنى واحد، فالآية الكريمة تبين ما أعد الله ﷻ لهؤلاء المصطفين من ورثة كتاب الله تعالى، يتزيون بالحلي من أساور من ذهب ولؤلؤا. والله أعلم.

خامسًا- المعنى الإجمالي:

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ أي: ثُمَّ أورثنا هذا القرآن العظيم لأفضل الأمم وهم أمة محمد ﷺ الذين اختارهم على سائر الأمم، وخصَّهم بهذا الفضل العظيم، قال تعالى: ﴿**كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ**﴾ [آل عمران:110]، ووراثتهم للقرآن متفاوتة، فهم ليسوا على مستوى واحد، وقد قسمهم سبحانه وتعالى إلى ثلاثة أقسام:

_ المسلم الظالم لنفسه: وهو الذي ظلم نفسه بتجاوزه الحد، المقصر في أداء الواجبات، والمرتكب لبعض المحرمات.

- المسلم المقتصد: وهو المتوسط في فعل الخيرات والصالحات، إذ يؤدى الواجبات فقط، ويترك السنن والنوافل والمستحبات، ويترك المحرمات فقط، لكنه يفعل المكروهات.

- المسلم السابق بالخيرات: وهو الحريص على فعل الواجبات والمستحبات والسنن، وعلى ترك المحرمات والمكروهات، وبعض المباحات، وهو يتلو القرآن باستمرار، ويعمل به.

وأفضل الأصناف الثلاثة هم السابقون بالخيرات فهم في أعلى المنازل في الجنة، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ؓ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ (أَنَّهُ قَالَ فِي هَذِهِ الآيَةِ: ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا**

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 326).

(2) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 252)، حجة القراءات لابن زنجلة، (ص: 474).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [فاطر: 32]، قَالَ: هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَكُلُّهُمْ فِي الجَنَّةِ)[1]، عن ابن عباس ﷺ، قال: "الذين اصطفينا من عبادنا هم أمة محمد ﷺ ورثهم الله كل كتاب أنزله؛ فظالمهم يغفر له، ومقتصدهم يحاسب حسابا يسيرا، وسابقهم يدخل الجنة بغير حساب"[2]، ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ أي: ذلك الإرث والاصطفاء لأمة محمد ﷺ هو الفضل العظيم الذي لا يدانيه فضل ولا شرف، فقد تفضل الله ﷻ عليهم بهذا القرآن المجيد، الباقي مدى الدهر، وهو الفضل الذي فضل به من كان مقتصرًا عن منزلته في طاعة الله ﷻ من المقتصد والظالم لنفسه.

ثم أخبر تعالى عمَّا أعده للمؤمنين في جنات النَّعيم فقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا﴾ أي: جنات إقامة ينعَّمون فيها بأنواع النَّعيم، وهي مراتب ودرجات متفاوتة حسب تفاوت الأعمال، ﴿يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ أي: يزينون في الجنة بأساور من ذهب مرصَّعة باللؤلؤ وجميع ما يلبسونه في الجنة من الحرير، بل فرشهم وستورهم كذلك.

﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ أي: وقالوا عند دخولهم الجنة الحمدُ لله تعالى الذي أذهب عنا جميع الهموم والأكدار والأحزان، ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ﴾ أي: واسع المغفرة للمذنبين، شكور لطاعة المطيعين، ﴿ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: أنزلنا الجنة وأسكننا فيها، وجعلها مقرًا لنا وسكنًا، لا نتحول عنها أبدًا، وكل ذلك من إنعامه وتفضله علينا ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ﴾ أي: لا يصيبنا فيها تعب، ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ أي: ولا يصيبنا فيها إعياءٌ ولا فتور[3].

سادسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- ميراث القرآن لأمة محمد ﷺ، وورثته على ثلاثة أقسام، كلهم يدخلون الجنة:

شرف الله ﷻ أمة محمد ﷺ بإيراث القرآن الكريم، واصطفاهم واختارهم على سائر الأمم، قال تعالى: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ

(1) سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب من سورة الملائكة، ح (3225)، (5/ 363)، قال الترمذي: حسن غريب، وقال الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح: صحيح، مشكاة المصابيح، للتبريزي، (2/ 735).

(2) جامع البيان، للطبري، (20/ 465).

(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 469)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 546-552)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 529،530)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (8/142،143).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ﴾ [آل عمران:110]، فهذا الحكم بالخيرية على أمة النبي محمد ﷺ مرتبط بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الحكم يدور مع علته، فحيث ما وجدت العلة صح الحكم، وحينما نفتقد العلة فالحكم ليس لهؤلاء بل لغيرهم(1).

بيَّن الله ﷻ توريث الأمة لهذا الكتاب أنَّهم ثلاثة أقسام، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَـٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [فاطر:32]، وقد بيَّنا في المعنى الإجمالي ماهو الظالم لنفسه، والمقتصد والسابق بالخيرات(2).

بعد أن أكرمنا الله ﷻ وجعلنا من أمة محمد ﷺ، فينبغي علينا أن نعلم أين نحن من هذة الآية، في أي صنف من هذه الأصناف الثلاثة؟.

فلنتنافس إذن حتى نكون من السابقين، لنصل إلى أعلى الدرجات في الجنة.

2- من نعيم المؤمنين في الجنة لا يمسهم نصب ولا يمسهم لغوب، وذهاب الحزن، ويتزينون بأنواعٍ من الحلي، ولباسهم من الحرير:

نعيم الجنة يفوق الوصف، ليس له نظير فيما يعرفه أهل الدنيا، ومهما ترقى الناس في دنياهم فسيبقى ما يبلغونه أمرًا هينًا بالنسبة لنعيم الآخرة، وما أخفاه الله عنَّا من نعيم الجنة شيء عظيم لا تدركه العقول، ولا تصل إلى كنهه الأفكار، قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة:17]، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: **(أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ ﴿فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾** [السجدة:17])(3).

لقد وعد الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين في الآخرة دارًا يتنعمون فيها جزاءً على طاعاتهم وأعمالهم الصالحة في الدنيا وهي الجنّة، فيها كل ما تشتهي أنفسهم، ولا همّ فيها ولا حَزَن ولا تباغض، بل يكون أهلها فرحين راضين مسرورين بما منَّ الله عليهم، وينعم أهل الجنة في الجنة بالأمن من الموت، ومن كل جزع وتعب ونصب، ومن الشيطان وكيده، وسائر الآفات والمصائب،

(1) ينظر: روح المعاني، للألوسي، (2/ 244).

(2) ينظر: (ص:192)، من هذه الرسالة.

(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح (3244)، (4/ 118).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٞ شَكُورٌ * ٱلَّذِيٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلۡمُقَامَةِ مِن فَضۡلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٞ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٞ﴾ [فاطر:34-35].

ومن أشكال النعيم فى الجنة أنَّهم يلبسون الفاخر من اللباس، ويتزينون فيها بأنواع الحلي، فمن لباسهم الحرير، ومن حلاهم أساور الذهب والفضة واللؤلؤ، تلك الملابس الحريرية الناعمة الملونة والحلي اللامعة البراقة التي تلتف بها أجسام أهل الجنة حتى يبدون بالنور الذى يشع منهم كالقمر في ليلة اكتماله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ مَنۡ أَحۡسَنَ عَمَلًا * أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَيَلۡبَسُونَ ثِيَابًا خُضۡرٗا مِّن سُندُسٖ وَإِسۡتَبۡرَقٖ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ [الكهف:30-31]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [الحج:23]، وقال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا يُحَلَّوۡنَ فِيهَا مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٖ وَلُؤۡلُؤٗاۖ وَلِبَاسُهُمۡ فِيهَا حَرِيرٞ﴾ [فاطر:33]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمۡ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضۡرٞ وَإِسۡتَبۡرَقٞۖ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٖ وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا﴾ [الإنسان:21][1]، ولباسهم أرقى من أي ثياب صنعها الإنسان، عن البراء بن عازب- رضي الله عنهما-، قال: **(أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، بِثَوْبِ مِنْ حَرِيرٍ فَجَعَلُوا يَعْجَبُونَ مِنْ حُسْنِهِ وَلِينِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: لَمَنَادِيلُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ فِي الجَنَّةِ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا)**[2].

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنَّ لهم أمشاطًا من الذهب والفضة، وأنهم يتبخرون بعود الطيب، مع أنَّ روائح المسك تفوح من أبدانهم الزاكية، عَنْ أَبي هريرة ﷺ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **(آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمْ الأَلُوَّةُ - قَالَ أَبُو اليَمَانِ: يَعْنِي العُودَ -، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ)**[3].

وثياب أهل الجنة وحليهم لا تبلى ولا تفنى، عن أبي هريرة ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **(مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ)**[4].

---

(1) ينظر: الجنة والنار، للأشقر، (ص: 236-237)، الموسوعة العقدية، لمجموعة من الباحثين، (5/ 129).
(2) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح (3249)، (4/ 118).
(3) صحيح البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة، ح (3246)، (4/ 118).
(4) صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب في دوام نعيم أهل الجنة وقوله تعالى: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الأعراف:43]، ح (2836)، (4/ 2181).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث
جزاء الكافرين بالعذاب

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ * وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر:36-37].

أولًا- المعاني اللغوية:

﴿يَصْطَرِخُونَ﴾: الصُراخُ: الصوت العالى، والصارخ المستغيث، يقال: صرخ المريض أي صاح واستغاث بشدة وعَوِيل[1]. يصطرخون: أي يستغيثون ويصيحون بشدة [2].

ثانيًا- المناسبة:

بعد بيان حال السعداء في الآخرة في جنان الخلد، ذكر حال الأشقياء في الآخرة أنَّهم في النار خالدين فيها[3].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* صيغة المبالغة في قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[4].

* التهكم في صيغة الأمر في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ﴾[5].

* وضع الظاهر موضع الضمير في قوله تعالى: ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ لتسجيل الظلم عليهم، وأنَّهم بكفرهم وظلمهم ليس لهم نصيرٌ أصلًا لا من الله ﷻ ولا من العباد[6].

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (1/ 426)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (3/ 348)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (3/ 21).

(2) ينظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج، (4/ 271)، تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 576)، الوجيز، للواحدي، (ص: 894)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1075).

(3) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 132)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 271)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 357).

(4) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 533)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 264).

(5) ينظر: المرجعين السابقين، نفس الجزء والصفحة.

(6) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 531).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا– القراءات:

* قوله تعالى: ﴿نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ فيهما قراءتان.

أ– قرأ أبو عمرو بالياء وضمها وفتح الزاي ورفع كل ﴿يُجۡزَى كُلُّ كَفُورٖ﴾.

ب– وقرأ الباقون بالنون وفتحها وكسر الزاي ونصب كل ﴿نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾[1].

– وحجة من قرأ بالياء وضمها وفتح الزاي ورفع كل: أنَّه دلّ بالفعل على بنائه لما لم يسمّ فاعله، فرفع ما أتى بعده به.

– وحجة من قرأ بالنون وفتحها وكسر الزاي ونصب كل: أنَّه إخبار من الله ﷻ عن نفسه ونصب قوله: ﴿كُلَّ كَفُورٖ﴾ بتعدّي الفعل إليه نفسه [2].

_ الجمع بين القراءتين: القراءتان تفيدان بيان العذاب الشديد الفظيع الذي أعده الله ﷻ لكل كافر. والله أعلم.

خامسًا– المعنى الإجمالي:

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ﴾ أي: والذين جحدوا بآيات الله تعالى وكذبوا رسله فإنَّ لهم نار جهنم خالدين فيها.

﴿لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ﴾ أي: لا يحكم عليهم بموتٍ ثانٍ، فيستريحوا من عذاب النار.

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ﴾ أي: ولا يخفف عنهم شيء من العذاب، بل هم في عذاب دائم مستمر لا ينقطع، قال تعالى: **﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾** [طه:74]، وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **(أَمَّا أَهْلُ النَّارِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَحْيَوْنَ)**[3]، ﴿كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ﴾ أي: هذا مصير كل إنسان كفور على جرائمه التي ارتكبها في الدنيا.

﴿وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ أي: وهم يتصارخون في جهنم ويستغيثون برفع أصواتهم ربنا أخرجنا من النار، وردنا إلى الدنيا لنعمل عملًا صالحًا

---

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 352).

(2) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 296)، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، لمكي، (ص:210).

(3) صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار، ح (185)، (1/ 172).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقربنا، غير الذي كنا نعمله، فردَّ عليهم موبخًا لهم: ﴿أَوَ لَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ أولم نتركم ونمهلكم في الدنيا عمرًا مديدًا يكفي لأن يتذكر فيه من يريد التذكر والتفكر؟ فماذا صنعتم في هذه المدة التي عشتموها؟ وما لكم تطلبون عُمراً آخر؟ وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(أَعْذَرَ[1] اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً)**[2].

﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ أي: وجاءكم الرسول ﷺ نذيرًا، فحذركم وخوفكم، فكذبتموه، ﴿فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ أي: فذوقوا العذاب يا معشر الكافرين، فليس لكم اليوم ناصر ولا معين يدفع عنكم عذاب الله[3].

سادسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

1– العذاب الأليم للكفار يوم القيامة، وتمني الرجوع إلى الدنيا:

النار هي الدار التي أعدها الله ﷻ للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسجن فيه، وهي الخزي الأكبر، والخسران العظيم، الذي لا خزي فوقه، ولا خسران أعظم منه، وفيها من ألوان العذاب الشديد والآلام والأحزان ما تعجز عن تسطيره أقلامنا، وعن وصفه ألسنتنا، وهي مع ذلك خالدة وأهلها فيها خالدون، لا يرحلون ولا يبيدون، قال تعالى: **﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾** [الأعراف:36]، وقال تعالى: **﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾** [السجدة:12]، وقال تعالى: **﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقۡضَىٰ عَلَيۡهِمۡ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنۡهُم مِّنۡ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي كُلَّ كَفُورٖ * وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَ لَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾** [فاطر:36–37]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ * وَمَا ظَلَمۡنَٰهُمۡ وَلَٰكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ * لَقَدۡ جِئۡنَٰكُم بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَكُمۡ لِلۡحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾** [الزخرف:74–78]، فهم خالدون في

---

(1) أعذر: أي أزال عذره ولم تبق له حجة في التقصير، ينظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعينى، (23/ 36).

(2) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر، ح (6419)، (8/ 89).

(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 475–478)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 552–554)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 529–531).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عذاب أليم ملازم لا ينقطع، فلا يفارقون النار ولا تفارقهم، فعذابه متجدد يزداد ولا ينقص، ولا يموتون ولا يخرجون منها أبدًا مما يجعل الإنسان يبذل في سبيل الخلاص منها نفائس الأموال، فيتمنون الرجوع إلى الدنيا ليصلحوا ما كان أفسدوه في دنياهم وأنَّى لهم هذا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: 36]، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال النبي ﷺ: (**يُقَالُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ، وَلِأَهْلِ النَّارِ: يَا أَهْلَ النَّارِ خُلُودٌ لاَ مَوْتَ**)[1]، والإقامة الدائمة في العذاب هي أعظم الخسران؛ لأنَّه لا نجاة بعدها البتة، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ * لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ [الزمر:15–16]، وحين ييأس أهل النار من انقطاع العذاب أو توقفه، وحين ينقطع أملهم في الخروج من النار يرجون تخفيف العذاب عنهم، قال تعالى: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة:162]، ثم تتقاصر هممهم عن ذلك فأملوا في تخفيف العذاب يومًا واحدًا فقط، ولن ينالوه، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ * قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِۖ قَالُواْ بَلَىٰۚ قَالُواْ فَٱدْعُواْۗ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ [غافر: 49–50][2].

إنَّ شدة النار وهولها تفقد الإنسان صوابه، وتجعله يجود بكل أحبابه لينجو من النار، وأنَّى له النجاة، قال تعالى: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذِۭ بِبَنِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـْٔوِيهِ * وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ * كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ * نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج: 11–16].

2– الإعذار لمن بلَّغه الله ﷻ من العمر ستين سنة:

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: 37]، اختلف المفسرون في مقدار العمر التي ذكرته الآية، فقال بعضهم: أربعون سنة، وقيل: خمسون، وقيل ستون، وقيل سبعون، وغير ذلك من الأقوال، وأصحها

(1) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب يدخل الجنة سبعون ألفًا بغير حساب، ح (6545)، (8/ 113).

(2) ينظر: الجنة والنار، للأشقر، (ص: 94).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والله أعلم ستون سنة[1]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **(أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً)**[2]، وما ذكره ابن جرير أنَّ في رجاله بعض من يجب التثبت في أمره[3]، لا يلتفت إليه مع تصحيح البخاري له[4].

ولمَّا كان هذا العمر الذي يعذر الله تعالى إلى عباده كان هو الغالب على أعمار هذه الأمة كما ورد في البخاري، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ ﷺ: **(أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ، وَأَقَلُّهُمْ مَنْ يَجُوزُ ذَلِكَ)**[5].

قال القرطبي: "وجعل الستين غاية الإعذار لأنَّ الستين قريب من معترك العباد، وهو سن الإنابة والخشوع والاستسلام لله تعالى، وترقب المنية ولقاء الله ﷻ، ففيه إعذار بعد إعذار الأول بالنبي ﷺ، والثاني بالشيب"[6].

وقال ابن بطال[7]: "إنما كانت الستون حدا لهذا لأنَّها قريبة من المعترك وهي سن الإنابة والخشوع وترقب المنية فهذا إعذار بعد إعذار لطفا من الله بعباده حتى نَقَلَهُم من حالة الجهل إلى حالة العلم ثم أعذر إليهم فلم يعاقبهم إلا بعد الحجج الواضحة وإن كانوا فطروا على حب الدنيا وطول الأمل لكنهم أمروا بمجاهدة النفس في ذلك ليمتثلوا ما أمروا به من الطاعة وينزجروا عما نهوا عنه من المعصية وفي الحديث إشارة إلى أن استكمال الستين مظنة لانقضاء الأجل"[8].

---

(1) ينظر تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 554).
(2) صحيح البخاري، سبق تخريجه، ينظر: (ص:198).
(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 478).
(4) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 555)
(5) سنن الترمذي، أبواب الدعوات، باب في فضل التوبة والاستغفار وما ذكر من رحمة الله بعباده، ح (3550)، (5/ 553)، قال الترمذي، حسن غريب، وقال الألباني: حسن، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، (2/ 386).
(6) الجامع لأحكام القرآن، (7/ 276).
(7) هو: شارح صحيح البخاري المحدث العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي ثم البَلَنْسي، نسبة إلى بلدة من بلاد المغرب يُقال لها: بَلَنْسِيَة، أصله من قرطبة، وأخرجتهم الفتنة إلى بلنسية، يعرف بابن اللَّجَّام، لم تذكر كتب التراجم مولده، كان من كبار المالكية، وكان من أهل العلم والمعرفة والفهم، مليح الخط، حسن الضبط، عني بالحديث العناية التامة، وأتقن ما قيد منه، توفي- رحمه الله- سنة 449هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، (13/ 303)، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لعياض، (8/ 160).
(8) فتح الباري، لابن حجر، (11/ 240).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فينبغي على المسلم أن يكون على ما يحبه الله ﷻ في كل وقت وحين، شابًا كان أو شيخًا، لكن الأمر أكثر تأكيدًا في حق كبير السن إذ إنَّ ذلك العمر يدعو إلى الوقار والتأنّي، ومن لم يكن في هذه السن على حال يرضاه الله ﷻ وقد دنا أجله ولم يبق إلا القليل فليعزم عزمًا جازمًا صادقًا على التوبة والإنابة، فمتى ستكون هذه التوبة؟! إنَّ الغالب أنَّ المرء في هذه السن تضعف قواه، وتقل عزيمته، فاستحالة أن يرجع إلى الحالة الأولى من النشاط والقوة فحق عليه أن يستسلم لمولاه، فإنَّه الغفور الودود(1).

قال قتادة: "اعلموا أن طول العمر حجة، فنعوذ بالله أن نعير بطول العمر، قد نزلت هذه الآية: ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ﴾ [فاطر: 37]، وإنَّ فيهم لابن ثماني عشرة سنة"(2).

ولئن كان يطلب ممن بلغ هذا العمر الإكثار من الطاعات، فإنَّه لا يعني التبتل وترك الدنيا تمامًا، فإنَّ ذلك مخالف للفطرة التي فطر الله ﷻ الناس عليها، ولكن المطلوب مزيد عناية بأمر الآخرة الباقية، والتخفف من الدنيا العاجلة الفانية، عن أبي هريرة ﷺ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **(لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ)**(3)، وعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: **(يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ، قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ)**(4).

فأعمارنا أمانة ائتمننا الله تعالى عليها فلا نضيعها في غير طاعة الله ﷻ، حتى لا نندم على ما ضاع من عمرنا، كما الحال مع الكفار يصطرخون في نار جهنم يتمنون الرجوع إلى الدنيا لكن أنّى لهم هذا.

---

(1) ينظر: يا صاحب الستين، لدعجم، (ص: 42-53).
(2) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 553).
(3) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب من بلغ ستين سنة، فقد أعذر الله إليه في العمر، (6420)، (8/ 89).
(4) سنن الترمذي، أبواب الزهد، باب ما جاء في طول العمر للمؤمن، ح (2330)، (4/ 566)، قال الترمذي: حسن صحيح، وقال الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح: صحيح لغيره، مشكاة المصابيح، للتبريزي، (3/ 1453).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث السادس

المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (38-45)

دلائل الإيمان، وأسباب الصدود

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: من دلائل العظمة وشواهد القدرة.

المطلب الثاني: من أسباب الصدود.

المطلب الثالث: النظر إلى آيات الله ﷻ الكونية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
من دلائل العظمة وشواهد القدرة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا * قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا * إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر: 38-41].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿خَلَٰٓئِفَ﴾ جَمْع خَلِيفَة، والخليفة: الذي يستخلف ممن قبله، يقال: استخلف فلانًا أي جعله مكانه[1]. خلائف: أي خلفاء من كان قبلكم[2].

﴿مَقۡتٗاۖ﴾: مقَتَ يمقُت مَقْتًا، فهو ماقت، يقال مقُت الشّخصُ إلى النّاس أي صار بغيضًا مكروهًا عندهم[3]. مقتًا: أي أشد البعض والغضب والاستحقار[4].

﴿غُرُورًا﴾: غَرَّهُ يغُرُّه غَرًّا وغُروراً أي خدعه، وغرّ نفسه يغرها غرورًا أي خدعها[5]. غرورًا: أي خداعًا أو باطلًا[6].

---

(1) ينظر: لسان العرب، لابن منظور، (9/ 83)، تاج العروس، للزبيدي، (23/ 265).

(2) ينظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 577)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، (3/ 332)، التفسير الواضح، لحجازي، (3/ 169)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1076).

(3) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (3/ 2112)، المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (2/ 879).

(4) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 260)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 529).

(5) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 768)، لسان العرب، لابن منظور، (5/ 11).

(6) ينظر: أوضح التفاسير، للخطيب، (1/ 534)، التفسير الواضح، لحجازي، (3/ 169).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا- المناسبة

بعد بيان مصير أهل الإيمان وعاقبة الكفار، بيَّن بعد ذلك إحاطة علمه لينفي وجود نصير للظالمين، ثم ذكر خلافتهم في الأرض ليقطع حجتهم بطلب العودة إلى الدنيا، وأعقبه بتهديد الكافرين على كفرهم، فإنَّه لا ينفع عند الله ﷻ إلا المقت، ولا يفيدهم إلا الخسارة، وجلَّى من شواهد قدرته وعظمته ووجوه لطفه وتمام نعمته إمساكه السموات والأرض أن تزولا [1].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* التشابه بين قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:39]، وقوله تعالي في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: 165]، حذف حرف الجر(فى) أوسع وأشمل من حيث اللغة، أما الإثبات فهي ظرفية ومحددة، فالسياق في سورة فاطر هو في الكافرين ابتداءً وانتهاءً، أما في سورة الأنعام فالسياق في مخاطبة المؤمنين إلى النهاية فكانوا أعمّ وأشمل، فالمؤمنون خلائفهم أطول وأكثر من الكافرين فجاء بالمعنى الأعمّ والأشمل في سورة الأنعام بحذف (فى)[2].

* الإطناب في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ لزيادة التشنيع والتقبيح على مَن كفر بالله ﷻ[3].

* الاستفهام الإنكاري في قوله تعالى: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾، وكذلك في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾ للتوبيخ[4].

* صيغتا المبالغة في قوله تعالى: ﴿حَلِيمًا غَفُورًا﴾[5].

* التعبير بالوصف بالحلم والغفران في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ إشارة إلى أنَّ السموات

---

(1) ينظر: تفسير المراغي، (22/ 134)، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: 690)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 271)، التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (284/6).

(2) ينظر: لمسات بيانية في نصوص من التنزيل، للسامرائي، (ص: 751).

(3) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 260)، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (5/ 480)، تفسير المراغي، (22/ 135)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 533)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 270).

(4) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 534)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 276).

(5) ينظر: المرجعين السابقين، نفس الجزء والصفحة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأرض كادت تزول لإشراك الكفرة، فأمسكهما الله تعالى عن الزوال لحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة(1).

رابعًا– القراءات:

* قوله تعالى: ﴿بَيِّنَتٍ مِّنْهُۚ﴾ فيها قراءتان.

أ– قرأ ابن كثير وأبو عمرو وحفص وحمزة وخلف العاشر بغير ألف على التوحيد ﴿بَيِّنَتٍ﴾.

ب– وقرأ الباقون بالألف على الجمع ﴿بَيِّنَاتٍ﴾(2).

– وحجة من قرأ بالتوحيد: علي إرادة الجنس.

– وحجة من قرأ بالجمع: لكثرة ما جاء به النبي ﷺ من الآيات والبراهين الدالة على صدقه(3).

– الجمع بين القراءتين: يتبين لنا من القراءتين أنَّ القرآن الكريم بينة على صدق الرسول ﷺ، به آيات بينات، وحجج واضحة. والله أعلم.

خامسًا– المعني الإجمالي:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَـٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: إنَّ الله ﷻ أحاط علمه بكل ما خفي في الكون من غيب السموات والأرض، لا يخفى عليه شأن من شؤونهما، ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ أي: يعلم الله ﷻ مضمرات الصدرو، فكيف لا يعلم أعمالهم الظاهرة؟.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَـٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ أي: هو جعلكم أيها الناس خلائف في الأرض، بعد عاد، وثمود، ومن مضى قبلكم من الأمم، تخلفونهم في مساكنهم جيلًا بعد جيل، وقرنًا بعد قرن، ﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ﴾ أي: فمن كفر بالله ﷻ فعليه وبال كفره، لا يضر بذلك إلا نفسه، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَـٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ﴾ أي: ولا يزيدهم كفرهم إلا طردًا من رحمة الله ﷻ

(1) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، للبغوي، (3/ 700)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (4/ 443)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (9/ 40)، اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (16/ 154)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 328).

(2) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 352).

(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 297)، الحجة للقراء السبعة، للفارسي، (6/ 30)، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، لمكي، (211/2)، طلائع البشر في توجيهات القراءات العشر، للقمحاوى، (ص:170).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعدًا وبغضًا شديدًا من الله تعالى، ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا﴾ أي: ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا هلاكًا.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: قل يا محمد ﷺ تبكيتًا لهؤلاء المشركين: أخبروني عن شركائكم الذين جعلتموهم آلهة وعبدتموهم من دون الله ﷻ، وأشركتموهم معه في العبادة، بأي شيء استحقوا هذه العبادة؟. ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ أي: أروني أيَّ شيء خلقوه في هذه الدنيا من المخلوقات حتى عبدتموهم من دون الله؟ ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أي: أم شاركوا الله ﷻ في خلق السموات فاستحقوا بذلك الشركة معه في الألوهية؟ ﴿أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ﴾ أي: أم أنزلنا عليهم كتابًا ينطق بأنَّهم شركاء الله تعالى فهم على بصيرة وحجة وبرهان في عبادة الأوثان، ﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ إضرابٌ عن السابق وبيانٌ للسبب الحقيقي أي إنَّما اتخذوهم آلهة بتضليل الرؤساء للأتباع بقولهم: الأصنام تشفع لهم، وهو غرور باطل وزور.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ أي: إنَّ الله ﷻ بقدرته وبديع حكمته، يمنع السموات والأرض من الزوال، والسقوط، والوقوع، كما قال تعالى: **﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾** [الحج: 65]. ﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾ أي: ولئن زالتا ما أمسكهما أحد سواه، ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ إنَّه تعالى حليم لا يعاجل العقوبة للكفار مع استحقاقهم لها، واسع المغفرة والرحمة لمن تاب منهم وأناب(1).

سادسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

1– إحاطة علم الله ﷻ:

إنَّ الله ﷻ قد أحاط بكل شيء علمًا، قال تعالى: **﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾** [التوبة:78]، وقال تعالى: **﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا﴾** [طه:98]، وقال تعالى: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾** [فاطر:38]، وقال تعالى: **﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾** [الجن: 28]، فما من قول ولا فعل في السر ولا في الجهر ولا في الأرض ولا في السماء، وفي الحركات والسكنات، وفي الطاعات والمعاصي، إلا وقد أحاط به

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 479،480)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/557،558)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 531،532)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (8/146،147).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علما، قال تعالى: ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبا:3]، فالله ﷻ وحده علام الغيوب، مطلع علينا يعلم أعمالنا خيرًا كانت أو شرًا، أحصاها الله ﷻ وكتبها في كتاب لايضل ربي ولاينسى.

وكثيرًا ما نجد ارتباط العلم الإلهي مشفوعًا بما يترتب عليه من إحصاءٍ للأعمال، ومن محاسبة عليها، ومن مجازات بالنعيم والجحيم؛ لأنها مرتبطة ارتباطًا شديدًا بمسؤولية الإنسان، ووقوفه أمام الله ﷻ، وما ينبني عليها من الإحساس بمراقبة الله ﷻ على أعمال الإنسان الظاهرة والباطنة، قال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: 284]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُۗ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ *يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:29-30]، وتأتي الآيات الكثيرة في كتاب الله ﷻ لتذكر بأنَّ الله تعالى عالم بالعباد، وآجالهم، وأرزاقهم، وأحوالهم، وشقاوتهم، وسعادتهم، ومن يكون منهم من أهل الجنة، ومن يكون منهم من أهل النار، قال المفسرون: عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر:38]، "والجملة لتأكيد ما سبق من دوام عذاب الكفار في النار، لأنَّ الله تعالى يعلم من الكافر أنَّه تمكّن الكفر في قلبه بحيث لو دام في الدنيا إلى الأبد ما آمن بالله ولا عبده، فالعذابُ الأبديُّ مساوٍ لكفرهم الأبدي، فلا ظلم ولا زيادة"(1).

فهو سبحانه وتعالى عليم بما كان وما هو كائن وما سيكونُ، لم يَزَل عالِما ولا يَزال عالما بما كان وما يكون، فهل تجد شيئًا يمكن إخفاؤه عن الله ﷻ؟ وهل يقدر الإنسان على أن ينكر شيئًا مما عمل في الدنيا عندما يقف بين يديه تعالى فيجد كل ما عمل من خير أو شر مكتوبًا؟ ولقد حذر الله ﷻ عباده، ومن لم يحذر بعد ذلك فلا يلومنَّ إلا نَفْسَه، فالناس مهما احتالوا على بعضهم، وأظهر غير ما يبطن فصدقوه وظنوه صادقًا، وهو فاسد القلب سيئ العمل، فإنَّ ذلك غير خافٍ على الله ﷻ، وأنَّه قد يفعل السوء على غفلة من الناس، وينسبه إلى غيره من ذوي البراءة، ولكنَّه لا يفوت على الله تعالى؛ وقد يدافع عن المذنب ويحامي عنه، ويثبت أمام الناس براءته، ولكنَّه لا يقدر على ذلك عند الله ﷻ.

(1) صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 531).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والذي يشهد قلبه إحاطة علم الله ﷻ بكل شيء يدفعه ذلك إلى تحري ما يرضي ربه ليفعله، وما يسخطه ليجتنبه، وستكون في قلبه رقابة ذاتية لا تفارقه وذلك هو عين الصلاح، وفي حديث جبريل عليه السلام المشهور عندما سأل النبي ﷺ عن الإحسان فقال ﷺ: **(أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ)**[1].

2- عجز المشركين عن الإتيان بدليل يدل على صدق دعوتهم لغير الله ﷻ:

قال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا**﴾ [فاطر: 40]، وقال تعالى: ﴿**قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**﴾ [الأحقاف:4]، تحدى الله ﷻ المشركين بالإتيان بالدليل السمعي والعقلي على صحة عبادتهم فعجزوا، وهما حجتان قاطعتان وبرهانان ساطعان إن وجدا، فتحداهم بالدليل السمعي النقلي، قال تعالى: ﴿ٱئْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾، فلن يقدروا على الإجابة، فتبين عجزهم، ثم طالبهم بالدليل العقلي والذي يدل على أن الذي خلق هو الذي يعبد لا المخلوق الضعيف، ولذلك قال الله تعالى: ﴿أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾، فلا يستطيعون إثبات شيء من ذلك فدل على بطلان عبادتهم، وأنَّ الواجب هو إفراد الله ﷻ بالعبادة.

ثمَّ إنَّ الله تعالى بيَّن لهم أنَّه سيسأل المشركين عن زعمهم الشركاء يوم القيامة، ولن يجدوهم في وقت هم أشد حاجة لعذر يعتذرون به، قال الله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ**﴾ [القصص:74-75].

"فعلم مما تقدم أنَّ من الأدلة الدالة على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة والكفر بالطواغيت هو ما أقامه الله تعالى من الحجة على استحقاقه للعبادة، ثم بيانه فساد عمل المشركين باتباعهم للظن وعدم إقامتهم للحجة الساطعة على عبادة آلهتهم التي يعبدونها، وهذا النوع من الاستدلال هو من نوع الإبطال المستلزم لصحة نقيض ما أبطل، أي إذا بطلت عبادة غير الله بما تقدم من الأدلة الدالة على ضعف غير الله وعجزه، وبما ثبت من عدم نفع غيره، بل ثبت ضرره على عابده، كان

---

(1) صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان، والإسلام، والإحسان، وعلم الساعة، ح (50)، (1/ 19).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نقيض هذا هو الحق، وهو ترك عبادة غير الله وإفراد الله وحده بالعبادة، إذ هو وحده المتصف بالصفات التي بها تستحق العبادة"(1).

والقرآن الكريم أخبر أنَّ المشركين احتجوا بباطل من القول على زعمهم صحة عبادتهم لغير الله، واستندوا في ذلك إلى أمرين:

الأمر الأول: بمشيئة الرحمن فكان بقاؤهم على الشرك على زعمهم مما يرضاه الله، وظنّوا أنَّ عدم أخذهم بالعذاب دليل على رضى الله تعالى عليهم.

والأمر الثاني: هو استنادهم على تقليد آبائهم وكل ذلك من الخرص والظن، فدل ذلك على بطلان عبادتهم غير الله، فلزم من هذا إفراد الله ﷻ بالعبادة وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ * أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ * بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف:20–22].

إنَّ الله تعالى يخاطب المشركين بأسلوب فيه ترهيب عسى أن يعودوا إلى صوابهم، فيخبرهم أنَّهم سيسألون الحجة والبرهان على شركهم يوم القيامة فيعجزون هناك، ويعلمون علم اليقين أنَّهم كانوا على باطل ويندمون على شركهم وتعنتهم، لقد اتخذ القرآن عدة طرق عقلية يشهد بها العقل والواقع المحسوس الملموس وكلها تثبت عجز هذه الآلهة ومن ثم بطلان عبادتها من دون الله تعالى.

(1) الموسوعة العقدية، لمجموعة من العلماء، (1/ 234).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني
من أسباب الصدود

قال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا * ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر:42-43].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ﴾: الجَهْدُ: المشقَّةُ، يقال: جَهَدَ دابته وأَجْهَدَها، إذا حمل عليها في السير فوق طاقتها وجَهَدَ الرجل في كذا، أي جَدَّ فيه وبالغ[1]. جهد أيمناهم: أي مجتهدين في الحلف بأغلظها وأوكدها[2].

﴿نُفُورًا﴾: نَفَرَ يَنْفِر نُفُورًا ونِفارًا إذا فَرَّ وَذَهَبَ، نفرت الدابة من كذا: أي خافت وتباعدت[3]. نفورًا: أي تباعدًا عن الحق وفرارًا منه[4].

﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾: الكيد للرسول ﷺ[5].

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾: حاق به الشئ يحيق حَيْقًا، أي أحاط به، وحاقَ بهم العذاب، أي أحاط بهم ونزل[6]. ولا يحيق: أي لا يحيط ولا ينزل[7].

ثانيًا- المناسبة:

"هذه الآياتُ متصلة بما سبقها من حوار الكافرين ودحض شبههم وبيان أسباب صدودهم

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 460)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (1/ 486)، تاج العروس، للزبيدي، (7/ 534).

(2) ينظر: السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 231).

(3) ينظر: تهذيب اللغة، للهروي، (15/ 153)، النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، (5/ 92)، لسان العرب، لابن منظور، (5/ 224).

(4) ينظر: زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، (3/ 515)، السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، (3/ 333).

(5) ينظر: السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 231).

(6) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (4/ 1466)، لسان العرب، لابن منظور، (10/ 71)، تاج العروس، للزبيدي، (25/ 211).

(7) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 358)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 231).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونفورهم من دعوة الحق، ووعيدهم بما أصاب من سبقهم من المكذبين، فتلك سنة الله تعالى في الأولين لا تبديل لها ولا تحويل، وهذا من تمام عدله تعالى ودلائل قدرته وشواهد عظمته، وفي إهلاك المكذبين نجاةٌ للمؤمنين ونصرٌ لهم وتلك نعمةٌ جليلةٌ"(1).

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* الجمع بين التبديل والتحويل وعدم الاكتفاء بواحدة منهما، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ خصص كلًا منهما بنفي مستقل لتأكيد انتفائهما، فجمع بينهما تعميمًا لتأكيد العذاب للمسيء، فالعذاب لايبدل بغيره، ولا يتحول عن مستحقه إلى غيره(2).

رابعًا- القراءات:

* قوله تعالى: ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾ فيها قراءتان.

أ- قرأ حمزة بإسكان الهمزة في الوصل ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئۡ﴾.

ب- وقرأ الباقون بكسرها وصلًا ﴿وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾(3).

- وحجة من قرأ بإسكان الهمزة وصلًا: إجراء للوصل مجرى الوقف لتوالي الحركات، وذلك للتخفيف.

- وحجة من كسرها وصلًا: على الأصل، لأنَّه مضاف إليه(4).

- الجمع بين القراءتين: القراءتان بمعنى واحد، وهو المكر بالرسول ﷺ، ومكر هؤلاء المشركين عائد عليهم، فالله ﷻ سيهلكهم كما أهلك الذين من قبلهم، لكن قراءة السكون فيها خفة في اللفظ. والله أعلم.

---

(1) التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (287/6).
(2) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 247)، اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (16/ 158)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (11/ 359).
(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 352).
(4) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 297)، الحجة للقراء السبعة، للفارسي، (6/ 31)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 165).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا- المعنى الإجمالي:

﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ﴾ أي: حلف المشركون بالله وبالغوا في الحلف، واجتهدوا فيه، وقالوا: لئن بعث الله ﷻ نبيًّا نذيرًا، فسوف نؤمن به ونتبعه، ونكون أهدى من اليهود والنصارى وغيرهم، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ﴾ فلمَّا بعث الله ﷻ لهم محمدًا ﷺ نذيرًا، حنثوا في أيمانهم، ونقضوا عهدهم مع الله ﷻ، وكفروا بالرسول محمد ﷺ وكذبوه. ﴿مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا﴾ أي: وما زادتهم رسالته إلا ابتعادًا وهروبا عنه.

﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ﴾ أي: نفروا منه بسبب استكبارهم عن اتباع الحق، وعتوهم وطغيانهم في الأرض، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ أي: ولا يحيط وبال المكر السيىء إلا بمن مكره ودبَّره، ﴿فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ﴾ أي: فهل ينتظر هؤلاء المشركون إلا عادة الله ﷻ وسننه في الأمم المتقدمة، من تعذيبهم وإهلاكهم بتكذيبهم للرسل؟ ﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ أي: لن تتغير ولن تتبدل سننه تعالى في خلقه، ولا يستطيع أحد أن يحوّل العذاب عنهم إلى غيرهم[1].

سادسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

المكر السيء عائد على أهله لا على غيرهم:

لقد اقتضَتْ حكمة الله ﷻ أنْ جعل في هذه الدُّنيا خيرًا وشرًّا، وحقًّا وباطلًا، وجعل في كلِّ زمان ومكان أناسًا يعيثون في الأرض الفساد، وابتلى بعض الناس ببعض؛ ليمحص الله ﷻ عباده، قال تعالى: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمۡ وَمَا يَشۡعُرُونَ﴾** [الأنعام: 123]، والقرآن الكريم قد حذر من المكر المذموم وبيَّن أنَّ عاقبة مكرهم سيئة ونهايتهم وخيمة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾** [الأنفال: 30].

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 482-484)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 559)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 532،533).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمَكْر ضربان: "محمود، وهو: ما يُتَحرّى به أَمر جميل، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران: 54]، ومذموم، وهو: ما يُتحرّى به فعل ذميم، نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾"(1).

وقد اطردت حكمته تعالى بأنَّ من مكر بالباطل مُكر به، ومن احتال احتيل عليه، ومن خادع غيره خُدِعَ به، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ﴾ [النساء:142]، فلا تجد ماكرًا إلا وهو ممكورٌ به، ولا محتالًا إلا وهو محتال عليه، ولا مخادعًا إلا وهو مخدوع عليه، قال تعالى: ﴿ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّيِٕۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلۡأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا﴾ [فاطر: 43]، فهؤلاء الكفار المعاندون أقسموا بالله ﷻ أشد الأَيْمان لئن جاءهم رسول من عند الله تعالى يخوِّفهم عقاب الله ليكوننَّ أكثر اتباعًا للحق من اليهود والنصارى وغيرهم، فلما جاءهم محمد ﷺ ما زادهم ذلك إلا بُعْدًا عن الحق ونفورًا منه، وليس إقسامهم لقَصْد حسن وطلبًا للحق، وإنَّما هو استكبارٌ في الأرض على الخلق، يريدون به المكر السيِّئ، والخداع والباطل، ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله، بمن مكر به ودبره، فهل ينتظر هؤلاء الماكرون إلا العذاب الذي نزل بأمثالهم الذين سبقوهم(2).

ومن أنواع المكر السيء ما يكون بالصد عن الحق والانتصار للباطل، كما حدث للأنبياء–عليهم السلام– والمصلحين، وقد يكون هناك المكر بين الناس على بعضهم البعض بسبب الصراع على المال، أو المكانة، أو الجاه، وهناك المكر بين الدول سببه الأطماع، وحب السيطرة، وإظهار القوة، وهناك المكر السياسي بين الأحزاب، والجماعات، والأنظمة، والشعوب سببه حب السيطرة، والتملك، والاستبداد، وإلغاء الآخر، وعدم فهم واستيعاب متطلبات الحكم الرشيد، كما يحدث في بعض البلدان.

وهذا كله ناتج عن ضعف الإيمان، وخبث النفس، ودناءة الخلق، مما يؤدي إلى انطماس البصيرة، وفساد العمل، نحن بحاجة إلى تصفية قلوبنا من الحقد، والحسد، بحاجة إلى تزكية أخلاقنا بعيدًا عن الكبر، والظلم، والعدوان، وإلى تقوية صفوفنا بعيدًا عن العصبية، والتنافس على الدنيا، وتدبير المؤامرات على بعضنا البعض، كم نحن بحاجة إلى إيمان بالله ﷻ يوجههنا نحو الخير، وبناء مجتمعاتنا وأمتنا بعيدًا عن تصيد الأخطاء، ونشر الأكاذيب، وإشاعة المنكر، وزعزعة الأمن،

---

(1) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروز آبادي، (4/ 516).
(2) ينظر: التفسير الميسر، لنخبة من أستاذة التفسير، (1/ 439).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وسفك الدماء، وتعكير صفو السلم الاجتماعي في البلاد من أجل مصالح تافهة، فلنتعامل جميعًا مع بعضنا البعض بأخلاق العظماء، وسلوك الأتقياء مقتدين برسولنا ﷺ وأصحابه الذين نشروا الخير في الآفاق، وأقاموا العدل في كل البلاد، فلنقف صفًّا واحدًا ضد كل من يحاول الإفساد والمكر والخداع في أرضنا -أرض الإسراء والمعراج- ففي ذلك النجاة والسعادة والحياة الطيبة للجميع.

وقد ذكر ابن القيم أمثلة تطبيقية وعملية من واقع الناس لهذه الآية، ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦۚ﴾ في سياق حديثه عن المتحايلين على الأحكام الشرعية(1).

وسأكتفى بذكر مثال للمكر السيء، ففرعون الظالم مكث سنوات يحيق المكر السيئ، يقتل الرجال ويستحيي النساء، فارتكب كثيرًا من الجرائم وادَّعى لنفسه الألوهية والربوبية من دون الله تعالى، وأرسل الله ﷻ موسى عليه السلام بعد أن رمته أمّه في البحر خوفًا عليه إلى قصر فرعون، وشب موسى وترعرع في ذلك القصر والجيوش تحرسه وفرعون يرعاه، وصدق الله ﷻ إذ يقول في كتابه العزيز: ﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ﴾ [يونس: 21]، فأين ذهب مكر فرعون؟ أين قوته، وجبروته، وسلطانه، وأمواله؟ لقد سخرها الله ﷻ لرعاية موسى عليه السلام، فأخذ فرعون يمكر بموسى عليه السلام ويمن معه ويحيك المؤامرات، والدسائس، والأكاذيب، ويحشد الجنود، ويستعمل القهر والتعذيب، ويجمع السحرة ليناصروه، فلما أيقنوا أنَّ ما جاء به موسى عليه السلام ليس بسحر إنَّما هو الحق آمنوا بالله تعالى وأخذ فرعون يتهمهم بالمكر والخداع.

(1) ينظر: إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، لابن القيم، (1/ 358).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث
النظر إلى آيات الله ﷻ الكونية

قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا* وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر:44-45].

أولًا- المناسبة:

لمَّا توعدهم في الآيات السابقة بسنَّته تعالى في الأولين، دعاهم إلى السير للاعتبار بآثارهم والوقوف على أخبارهم، فإنَّهم كانوا يمرون على ديارهم ويرون آثارهم، وبيَّن سبحانه أنَّه يمهلهم استدراجًا لهم ومكرًا بهم، فإذا حان الأجل، فإن الله ﷻ بصيرٌ بهم محيطٌ بأعمالهم فيجزيهم عليها[1].

ثانيًا- وجوه البلاغة:

* صيغتا المبالغة في قوله تعالى: ﴿عَلِيمًا قَدِيرًا﴾[2].

* الاستعارة المكنية في قوله تعالى: ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ﴾ شبّه الأرض بدابة تحمل على ظهرها أنواع المخلوقات، ثم حذف المشبه به، ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الظهر، بطريق الاستعارة المكنية[3].

* التشابه بين قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾ [فاطر:45]، وقوله تعالى في سورة النحل: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [النحل:61].

---

(1) ينظر: اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (16/ 159)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 76)، تفسير المراغي، (22/ 141)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 281)، التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (6/289-290).

(2) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 533)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 280).

(3) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 249)، اللباب في علوم الكتاب، للنعماني، (16/ 160)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 534)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 280).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد يظن أحدهم أنَّه تكرارٌ، فهذا ليس تكرارا فكل آية متسقة في مكانها، ويمكن بيان ذلك من ثلاثة وجوه:

أولًا– ورد في آية النحل قوله تعالى: ﴿بِظُلۡمِهِم﴾ في سياق ذم عادة وأد البنات، فجاءت الآية عقب ذلك محذرة ومنذرة من عاقبة هذا الفعل، في حين ورد في سورة فاطر ﴿كَسَبُواْ﴾ في سياق طلبِ القرآن من الناس السير في الأرض، والتفكر في خلق الله تعالى، ثمَّ أتبعه ذلك بالحديث أنَّه سبحانه وتعالى لو أراد أن يؤاخذ الناس بأفعالهم المخالفة لشرعه لفعل، وكسبوا تعم الظلم وغيره.

ثانيًا– ورد في آية النحل ﴿عَلَيۡهَا﴾ وفي فاطر ﴿ظَهۡرِهَا﴾ والضمير في الآيتين عائد على الأرض إلا أنَّه في آية النحل دلَّ عليه السياق، وفي آية فاطر قد تقدم ذكر الأرض في الآية التي قبلها، في قوله تعالى: **﴿أَوَ لَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾** [فاطر:44].

ثالثًا– ختمت آية النحل بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ وفي فاطر بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ فختام آية النحل يتحدث عن الزمن والأجل، وأنَّه لا يتقدم ولا يتأخر، بينما ختام آية فاطر يتحدث عن الجزاء، وأنَّ الله سبحانه بصير بأعمال عباده، لا تخفى عليه خافية[1].

فالآيتان متكاملتان، فالآية الأولى مخبرة أنَّ الله ﷻ عالم بأحوال عباده، ظاهرها وباطنها، قليلها وكثيرها، صالحها وطالحها، وأنَّه سبحانه مجازٍ كل إنسان بعمله، في حين أنَّ الآية الثانية متجهة إلى الإنسان من حيث تحديد أجله وعمره في هذه الحياة.

ثالثًا– المعنى الإجمالي:

﴿أَوَ لَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ أولم يسير هؤلاء المشركون ويمروا على القرى المهلكة فيروا آثار دمار الأمم الماضية، كعادٍ، وثمودٍ حين كذبوا رسلهم ماذا صنع الله بهم؟ ﴿وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ﴾ أي: كانوا أقوى من كفار مكة، وأطول أعمارًا، وأشد تمكينًا، ومع ذلك لم تدفع عنهم قوتهم عذاب الله تعالى، ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي

(1) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني، (ص: 161) التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 340).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ أي: أنَّ الله ﷻ عليم بكل شيء، لايخفى عليه شيء في السموات والأرض، وهو قدير على كل شيء لا يغلبه غالب.

﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ﴾ أي: ولو يعاقب الله ﷻ الناس ويكافئهم بما عملوا من الذنوب والمعاصي واجترحوا من الآثام ما ترك على ظهرها من دابة تدب عليها، ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ﴾ ولكن يؤخر عقابهم ومؤاخذتهم بما كسبوا إلى أجل معلوم عنده، محدود لا يقصرون دونه، ولا يجاوزونه إذا بلغوه، ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ أي: فإذا جاء ذلك الوقت جازاهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر، لأنَّه تعالى العالم بشؤونهم المطلع على أحوالهم، وفي الآية وعيدٌ للمجرمين ووعد للمتقين(1).

رابعًا– تحليل المقاصد والأهداف:

1– النظر في أحوال الأمم السابقة، وأخذ العبر والعظات:

دعانا القُرآن الكريم إلى معرفة أحوال الأمم السابقة والتَّبصُّر بعَواقبهم، والتي أَوْلاها القرآن قسطًا كبيرًا من العناية، لأنَّ معرفة القصص المتضمِّن للأمم والأقوام والقبائل، وبَيان أعمالهم وحَضاراتهم، وبَيان أحوال المكذِّبين للوحي والرُّسل، ومعرفة عَواقبهم فيه من العِبَرِ والدُّروس والعظات، والسعي لعدم السير على طريقهم وإلا أصاب المشابهين لهم ما أصاب أسلافهم، مما يجعل من ذلك معتبرًا وإصلاحًا للمستقبل القادم من بعيدٍ، وكيف أنَّ الحقَّ دائم وخالد وباقٍ مهما علا صوتُ الباطل.

والمتأمل في كتاب الله ﷻ يجد دعوات متعددة للنظر في أحوال تلك الأمم، لنحذر ما أحل بهم من العذاب، وجاء هذا التحذير في كثير من آيات القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِكُمۡ سُنَنٞ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران: 137]، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ يَسۡمَعُونَ بِهَاۖ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج:46]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ﴾ [الروم:42]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَكَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعۡجِزَهُۥ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمٗا قَدِيرٗا﴾ [فاطر: 44].

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 485–486)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 560)، صفوة التفاسير، للصابوني، (2/ 533)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (151/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن تيمية: "وإنَّما قص الله تعالى علينا قصص من قبلنا من الأمم لتكون عبرة لنا، فنشبه حالنا بحالهم ونقيس أواخر الأمم بأوائلها، فيكون للمؤمن من المتأخرين شبه بما كان للمؤمن من المتقدمين، ويكون للكافر والمنافق من المتأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المتقدمين"(1).

وقد أخبر في كتابه الكريم أنَّه أهلك أممًا وقرى كثيرة، وأباد عددًا لا يحصى ولا يعد من الأمم الغابرة فلم يبق لهم أثرًا، بل صاروا أثرًا بعد عين، وعبرة لمن اعتبر وأذاقها شتى أنواع العذاب فعذب أقواما بالحجارة، وأقوامًا بالصيحة، وأقوامًا بالرياح، وأخرى بالخسف، ومنها من أهلكها بالغرق والطوفان، وغيرها من أنواع العذاب، وفنيت تلك الأمم ولم يبق منها سوى آيات وعظات لمن يتفكر، قال تعالى: **﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنۢبِهِۦ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾** [العنكبوت: 40].

فعلينا أن نعتبر بحال هؤلاء المكذبين الذين صار مآلهم إلى الهلاك والدمار، وليُعلم أن هذه الأمة لن تُهلك بما أهلكت به الأمم السابقة بهذا العذاب العام، لأنَّ الرسول ﷺ سأل الله ﷻ أن لا يهلك أمته بسنة عامة، قال رسول الله ﷺ: **(سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً، سَأَلْتُ رَبِّي: أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالسَّنَةِ(2) فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يُهْلِكَ أُمَّتِي بِالْغَرَقِ فَأَعْطَانِيهَا، وَسَأَلْتُهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَمَنَعَنِيهَا)**(3).

"قد تهلك هذه الأمة بأن يجعل الله بأسهم بينهم، فتجري بينهم الحروب والمقاتلة، ويكون هلاك بعضهم على يد بعض، لا بشيء ينزل من السماء كما صنع الله تعالى بالأمم السابقة، ولهذا يجب علينا أن نحذر الفتن ما ظهر منها وما بطن، وأن نبتعد عن كل ما يثير الناس بعضهم على بعض، وأن نلزم دائمًا الهدوء، وأن نبتعد عن القيل والقال وكثرة السؤال"(4).

---

(1) مجموع الفتاوى، (28/ 425).
(2) بالسَّنة: أي لا أهلكهم بقحط يعمهم، ينظر: شرح مسلم، للنووي، (10/ 14).
(3) صحيح مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، ح (2890)، (4/ 2216).
(4) تفسير جزء عم، للعثيمين، (ص: 192-193).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- الله ﷻ يمهل ولا يهمل:

إنَّ الله تعالى يمهل الظالم ولا يهمله؛ فهذه سنته في خلقه، وقانونه بين البشر، عاشها الأولون، والأنبياء والمرسلون-عليهم السلام-، ومضت عليها سنة السابقين، فإذا جاء الوعد وحان الحين، فإنَّ أخذه أليمٌ شديدٌ، قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحج: 48]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهۡرِهَا مِن دَآبَّةٖ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرَۢا﴾ [فاطر:45]، وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، قال: قَالَ رَسُولُ ﷺ: **(إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102])[1].

قال ابن مسعود: "لو أخذ الله الخلائق بذنوب المذنبين لأصاب العذاب جميع الخلق حتى الجعلان في جحرها، ولأمسك الأمطار من السماء، والنبات من الأرض فمات الدواب، ولكن الله تعالى يأخذ بالعفو والفضل"[2].

فالله ﷻ عزيز وهاب، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، ولكن من لطف الله ﷻ بعبده الظالم أن يمهله لعله يتوب؛ ويؤخره لعله يقلع، فالظالم قد يغتر بظلمه سنوات، يظلم الناس، والله تعالى يمهله بحلمه عليه، فإذا تمادى في ظلمه فربما أخَّره ليزداد في الإثم؛ ثم يأخذه أخذ عزيز مقتدر؛ لأنَّه قد استحق العقوبة.

يقول ابن الجوزي-رحمه الله-: "ما زلت أسمع عن جماعة من الأكابر وأرباب المناصب أنَّهم يشربون الخمور، ويفسقون، ويظلمون، ويفعلون أشياء توجب الحدود، فبقيت أتفكر أقول: متى يثبت على مثل هؤلاء ما يوجب حداً؟ فلو ثبت فمن يقيمه؟ وأستبعد هذا في العادة؛ لأنَّهم في مقام احترام لأجل مناصبهم، فبقيت أتفكر في تعطيل الحد الواجب عليهم؛ حتى رأيناهم قد نكبوا، وأخذوا مرات، ومرَّت عليهم العجائب، فقوبل ظلمهم بأخذ أموالهم، وأخذت منهم الحدود مضاعفة بعد الحبس الطويل، والقيد الثقيل، والذل العظيم، وفيهم من قتل بعد ملاقاة كل شدة، فعلمت أنَّه ما يُهمل شيء، فالحذر الحذر، فإنَّ العقوبة بالمرصاد"[3].

---

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾ [هود: 102]، ح (4668)، (6/ 74)، صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم، ح (2583)، (4/ 1997).

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (10/ 120).

(3) صيد الخاطر، لابن الجوزي، (ص: 165).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما نراه في بلدنا فلسطين المحاصرة من الظلمة من إفساد وجرائم، وما ارتكبوه من جرائم بشعة لا حصر لها في أرضنا من الحروب التي حدثت، وما فعلوه في الأسري، فالمجرمون لا يحصون ولن يفلتوا من عذاب الله ﷻ أبدًا، فإنَّ الله ﷻ سيحاسبهم عليها، سيأتى الانتقام حتمًا سيكشف الله ﷻ لنا خيانات هؤلاء الظلمة الذين سعوا في الأرض مفسدين.

فالحذر الحذر من الظلم، ولنتب إلى الله تعالى ونعود إليه، والله تعالى نسأل أن يتوب علينا، وألا يؤاخذنا بسوء أفعالنا.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث

الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف

سورة يس (1-27)

ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى سورة يس.

المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يس الآيات (1−12) وظيفة الرسول ﷺ، والبعث.

المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يس الآيات (13−27) الجهر بالدعوة إلى الحق وقصة أصحاب القرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول

مدخل إلى سورة يس

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: اسم السورة، وفضائلها، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها، وترتيبها.

المطلب الثاني: محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة.

المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
اسم السورة، وفضائلها، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها وترتبها

أولًا- اسم السورة:

اسم السورة التوقيفي (يس)، وسبب تسميتها لأنَّ الله ﷻ افتتح السورة بها، قال تعالى: ﴿يسٓ * وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [يس: 1-2]، وفي الافتتاح بها إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم(1)، وبهذا الاسم عنون البخاري والترمذي في كتاب التفسير(2).

قال ابن عاشور: "سميت هذه السورة يس بمسمى الحرفين الواقعين في أولها في رسم المصحف لأَّنها انفردت بهما فكانا مميزين لها عن بقية السور، فصار منطوقهما علمًا عليها"(3).

كما ورد لها بعض الأسماء الأخرى كـ القلب، والدافعة، والقاضية، والمعمة، وهذه الأسماء وردت فيها أحاديث وآثار لكنَّها ضعيفة، وأيضًا سماها البعض العظيمة، وحبيب النجار وهي تسمية غريبة لا يعرف لها سندٌ(4).

ثانيًا- فضائل السورة:

سورة يس من المثاني، ورد في فضلها أحاديث كثيرة، لكنَّ أكثرها مكذوبة وموضوعة، وبعضها ضعيف، ولم نقف على حديث صحيح مخصوص في فضل السورة، ففضائل السور لابد لها من دليل يصح اسناده، وإلا فالأصل عدم الثبوت، فلا داعي لذكرها هنا.

ثالثًا- مكان وزمان نزول السورة:

اختلف العلماء: هل كل آيات السورة مكية، أم أنَّ بعضها مدني كالآتي:

- قال القرطبي: "مكية بالإجماع"(5).

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 341).
(2) ينظر: صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، سورة يس، (6/ 122)، سنن الترمذي، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة يس، (5/ 363).
(3) التحرير والتنوير، (22/ 341).
(4) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي، (4/ 263)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 81)، البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، للأنجري، (4/ 555)، روح المعاني، للألوسي، (11/ 382)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 341)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 287).
(5) الجامع لأحكام القرآن، (15/ 1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– وقيل: مكية إلا آيتين[1]:

الآية الأولى قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12]، قالوا نزلت في بني سلمة حين أرادوا أن يتركوا ديارهم وينتقلوا إلى جوار مسجد الرسول ﷺ، فقال لهم: (يَا بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ)، وليس الأمر كذلك، وإنَّما نزلت الآية بمكة، ولكنَّ احتج بها عليهم في المدينة[2].

الآية الثانية قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:47] قيل: نزلت بالمدينة بشأن المنافقين، لكنَّ الآية صريحة في خطابها مع الذين كفروا، وهكذا يشهد بذلك سياق الآية ذاتها[3].

والذي نراه ونرجحه أنَّ السورة كلها مكية، كما أيده بعض العلماء[4].

أمَّا زمان نزول السورة فقد نزلت في الفترة المتوسطة من حياة المسلمين بمكة، أي فيما بين الهجرة إلي الحبشة والإسراء[5].

رابعًا– عدد آياتها، وترتيبها:

اختلف في عدد آياتها فهي عند الكوفيين ثلاث وثمانون آية، وعند الباقين اثنتان وثمانون، اختلفوا في آية واحدة، وهي قوله تعالى: ﴿يسٓ﴾ عدَّها الكوفيون آية، ولم يعدّها الباقون[6].

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، (4/ 445)، البحر المحيط في التفسير، لأبي حيان، (9/ 47)، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، للثعالبي، (5/ 5)، محاسن التأويل، للقاسمي، (8/ 172)، التسهيل لعلوم التنزيل، لابن جزي، (2/ 179).

(2) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 341).

(3) ينظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، (15/ 37)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، (7/ 60)، محاسن التأويل، للقاسمي، (8/ 172).

(4) ينظر: شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، (ص: 40)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، للسيوطي، (7/ 60)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 341)، إتقان البرهان في علوم القرآن، لفضل عباس، (352/1).

(5) ينظر: أهداف كل سورة ومقاصدها في القرآن الكريم، لشحاته، (ص:324).

(6) ينظر: البيان في عد آي القرآن، للداني، (ص: 211)، روح المعاني، للألوسي، (11/ 382).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي السورة السادسة والثلاثون في ترتيب المصحف، والحادية والأربعون في ترتيب نزول القرآن، نزلت بعد سورة الجن وقبل سورة الفرقان(1).

المطلب الثاني
محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة

أولًا- محور السورة:

تناولت سورة يس ثلاثة مواضيع أساسية وهي الإيمان بالبعث والنشور والجزاء، وقصة أهل القرية، والأدلة والبراهين على وحدانية الله ﷻ.

والمحور الأساس الذي تدور عليه السورة الكريمة: إثبات البعث والنشور(2).

يقول سيد قطب: "والقضية التي يشتد عليها التركيز في السورة هي قضية البعث والنشور، وهي تتردد في مواضع كثيرة في السورة"(3).

ثانيًا- أهداف ومقاصد السورة:

قال سيد قطب: "وهدفها الأول هو بناء أسس العقيدة. فهي تتعرض لطبيعة الوحي وصدق الرسالة منذ افتتاحها، وتسوق قصة أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون، لتحذر من عاقبة التكذيب بالوحي والرسالة... كذلك تتعرض السورة لقضية الألوهية والوحدانية"(4).

وقال ابن عاشور: "قامت السورة على تقرير أمهات أصول الدين على أبلغ وجه وأتمه من إثبات الرسالة، والوحي، ومعجزة القرآن، وما يعتبر في صفات الأنبياء، وإثبات القدر، وعلم الله تعالى، والحشر، والتوحيد، وشكر المنعم، وهذه أصول الطاعة بالاعتقاد والعمل، ومنها تتفرع الشريعة. وإثبات الجزاء على الخير والشر مع إدماج الأدلة من الآفاق والأنفس بتفنن عجيب"(5).

ويمكن إجمال أعظم أهداف ومقاصد هذه السورة بالنقاط الآتية:

1- إثبات صدق الرسول ﷺ، وكل ما جاء به.

2- بيان أحوال المكذبين بالرسل-عليهم السلام-.

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 342).

(2) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 82)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2956).

(3) في ظلال القرآن، (5/ 2956).

(4) المرجع السابق، نفس الجزء والصفحة.

(5) التحرير والتنوير، (22/ 344).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3- تسلية الرسول ﷺ ومواساته.

4- أعمال الناس تحصى عليهم، فتحفظ أخبارهم، وتكتب آثارهم.

5- إثبات البعث بأدلة حسية مشاهدة من الخلق المبتدأ والإبداع الذي لم يسبق له مثيل.

6- ضرب المثل بأهل القرية، إذ كذبوا الناصح لهم وقتلوه فدخلوا النار ودخل الجنة بما قدم من إيمان، وعمل صالح، وهداية، وإرشاد.

7- إثبات القدرة والوحدانية بإحياء الأرض الميتة، وبيان قدرة الله تعالى الباهرة في الكون من تعاقب الليل والنهار، وتسخير الشمس والقمر وغيرهما.

8- بيان أحوال المؤمنين والكفار يوم القيامة[1].

المطلب الثالث
مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها

أولًا- مناسبة السورة لما قبلها:

مناسبة السورة لما قبلها قد سبقت الإشارة إليها عند حديثنا عن مناسبة سورة فاطر لما بعدها[2].

مناسبة السورة لما بعدها سورة الصافات:

تظهر صلة هذه السورة بما بعدها من وجوه:

1- تفصيل أحوال القرون الماضية التي أشير إليها إجمالًا في هذه السورة في قوله تعالى: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾ [يس:31]

2- تفصيل أحوال المؤمنين وأحوال أعدائهم الكافرين يوم القيامة مما أشير إليه إجمالًا في هذه السورة[3].

3- قال أبو حيان: "ومناسبة أولها لآخر يس أنَّه تعالى لما ذكر المعاد وقدرته على إحياء الموتى، وأنَّه هو منشؤهم، وإذا تعلقت إرادته بشيء كان ذكر تعالى وحدانيته، إذ لا يتم ما تعلقت به الإرادة وجودًا وعدمًا إلا بكون المُرِيد واحدًا"[4].

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 342-343)، التفسير الحديث، لدروزة، (3/ 20)، المفصل في موضوعات سور القرآن، للشحود، (ص: 935)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 287-289).

(2) ينظر: (ص:116)، من هذه الرسالة.

(3) ينظر: تفسير المراغي، (23/ 41)، التفسير المنير، للزحيلي، (23/ 60).

(4) البحر المحيط في التفسير، (9/ 89).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فسورة الصافات فيها تفصيل لبعض ما أجمل في سورة يس.

ثالثاً- مناسبة بداية السورة مع نهايتها:

في بداية السورة جاء الحديث عن استحقاق الكفار للعذاب لعنادهم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس:7-9] وفي نهاية السورة نموذج واحد لهؤلاء المعاندين ختم الله ﷻ على قلبه وأعمى بصيرته، فجاء يجادل النبي ﷺ في قضية البعث، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: 78][1].

(1) ينظر: التفسير الموضوعي لسور القرآن، لنخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، (295/6).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني

المقاصد والأهداف لسورة يس الآيات (1-12)

وظيفة الرسول ﷺ، والبعث

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: وظيفة الرسول ﷺ وحاله مع قومه.

المطلب الثاني: إحصاء الأعمال، والبعث.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
وظيفة الرسول ﷺ وحاله مع قومه

قال تعالى: ﴿يسٓ * وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ * تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ * لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ * لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَىٰٓ أَكۡثَرِهِمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ * إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ *وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ * وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ * إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ﴾ [يس: 1-11].

أولًا- المعاني اللغوية:

﴿لَقَدۡ حَقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾: الحَقُّ: خلاف الباطل، وأصل الحق: المطابقة والموافقة، وحق الشيء: إذا وجب، يقال: أحققت كذا أي: أثبته حقًّا[1]. لقد حق القول: أي ثبت ووجب العقاب[2].

﴿أَغۡلَٰلٗا﴾: قيودًا تشد أيديهم إلى أعناقهم[3].

﴿مُّقۡمَحُونَ﴾: الإقماح: رفع الرأس وغض البصر، يقال: أقمح القيد الأسير: إذا ترك رأسه مرفوعًا لضيقه[4]. مقمحون: أي رافعو الرؤوس غاضو الأبصار[5].

﴿سَدّٗا﴾: السد: الحاجز، الفاصل بين شيْئَيْن، وهو بناء في مجرى الماء ليحجزه[6]. سدًا: أي حاجزًا ومانعًا[7].

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (4/ 1460)، مقاييس اللغة، لابن فارس، (2/ 15)، تاج العروس، للزبيدي، (25/ 166).

(2) ينظر: إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود، (5/ 486)، فتح البيان في مقاصد القرآن، للقنوجي، (11/ 271)، أيسر التفاسير، لحومد، (ص: 1080).

(3) ينظر: التفسير الوسيط، لطنطاوي، (12/ 15)، (ص: 63)، من هذه الرسالة.

(4) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (1/ 397)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (8/ 5632)، لسان العرب، لابن منظور، (2/ 566).

(5) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 4)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 232).

(6) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (3/ 66)، معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (2/ 1048).

(7) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: 693)، التفسير الوسيط، لمجموعة من العلماء، (8/ 346)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 232).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ﴾: الغشاء: الغطاء، أَغْشَى اللهُ على بصره أي جعل عليه غِشاءً يُغطِّيه(1). فأغشيناهم: أي ألبسنا أبصارهم غشاوة(2).

ثانيًا– وجوه البلاغة:

* التأكيد بأكثر من مؤكد في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ لأنَّ المخاطب منكر، فقد أُكد كل منها بـ (إنَّ) و (اللام) ويسمى هذا الضرب إنكاريًّا(3).

* التعبير بالفعل المستقبل بصيغة الماضي في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا﴾ لتحقيق وقوعه، كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النحل: 1]، أي سنجعل في أعناقهم أغلالًا(4).

* التنكير في قوله تعالى: ﴿أَغۡلَٰلٗا﴾ للمبالغة في تعظيمها وتهويل أمرها(5).

* الاستعارة التمثيلية في قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ * وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾ شبه حال الكفار في امتناعهم عن الإيمان بمن غلّت يده إلى عنقه بالقيود، فصار مرفوع الرأس خافض البصر، لا يستطيع خفاضًا له ولا التفاتًا، وكذلك شبه حالهم بمن وجد بين سدّين لا يستطيع النفاذ والاهتداء لطريقه(6).

* الطباق بين: ﴿مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ﴾ و ﴿وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ﴾(7).

* اقتران الآية هنا بالواو في قوله تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [يس: 10]، وفي سورة البقرة بغير واو، في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [البقرة: 6]: لأنَّه في يس عطفت بالواو على جملة: ﴿فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ﴾ [يس: 9]، وفي البقرة هي خبر عن اسم إنَّ(8).

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (6/ 2446)، لسان العرب، لابن منظور، (15/ 126)، القاموس المحيط، للفيروز آبادي، (ص: 1318).
(2) ينظر: السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 232)، التفسير الوسيط، للواحدي، (3/ 510).
(3) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 10)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 291).
(4) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 350).
(5) ينظر: إعراب القرآن وبيانه، لدرويش، (8/ 178).
(6) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 10)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 291).
(7) ينظر: المرجعين السابقين، نفس الجزء والصفحة.
(8) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني، (ص: 67)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 352).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

*طباق السلب[1] في قوله تعالى: ﴿ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾[2].

ثالثًا– القراءات:

* قوله تعالى: ﴿يسٓ *وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ ثلاث قراءت.

أ– سكت أبو جعفر على يا وسين ﴿يسٓ﴾ سكتة لطيفة، من غير تنفس، ويلزم منه الإظهار.

ب– وقرأ ورش وابن عامر وشعبة والكسائي ويعقوب وخلف العاشر بإدغام نون ﴿يسٓ﴾ بواو ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾.

جـ– وقرأ الباقون بالإظهار[3].

– وحجة من أدغم: أتى به على الأصل.

– وحجة من أظهر: أنَّ حروف التهجي ليست كغيرها لأنَّها ينوى بها الوقف على كلّ حرف منها[4].

– الجمع بين القراءات: فمن أدغم فقد أتى به على أصل القراءة، ومن أظهر لأنَّ حروف التهجي ليست كغيرها، فيقف القارئ على كل حرف منها، والحروف المقطعة في أوائل بعض السور تبيِّن عظمة هذا القرآن وإعجازه[5].

* قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ﴾ فيها قراءتان[6].

* قوله تعالى: ﴿صِرَٰطٍ﴾ فيها ثلاث قراءات.

أ– قرأ قنبل ورويس بالسين ﴿سِرَٰطٍ﴾.

ب– وقرأ خلف عن حمزة بإشمام الصاد زاي.

جـ– وقرأ الباقون بالصاد ﴿صِرَٰطٍ﴾[7].

---

(1) هو: الجمع بين فعلي مصدر واحد مثبت ومنفي، ينظر: علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، لقاسم، ومحيي الدين، (ص: 68).
(2) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 10)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 291).
(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (1/ 425)، (2/ 18).
(4) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 297)، الحجة للقراء السبعة، للفارسي، (6/ 34).
(5) ينظر: تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر، للباحث: سامي رضوان، رسالة ماجستير، (ص: 106).
(6) ينظر: (ص:59)، من هذه الرسالة.
(7) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (1/ 271، 272).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– وحجة من قرأ بالسين: أنَّها أصل الكلمة، فأبدل منها صادًا لأجل الطاء التي بعدها، ويدل على أنَّ السين هي الأصل لأنَّه لو كانت الصاد هي الأصل لم تردّ إلى السين، وذلك لضعف السين عن الصاد، وليس من أصول كلام العرب أن يردّوا القويّ إلى الضعيف، بل العكس.

– وحجة من قرأ بالإشمام بين الصاد والزاي: أنَّها تؤاخي السّين في الصفير وتؤاخي الطّاء في الجهر.

– وحجة من قرأ بالصاد: أنَّها أخفّ على اللسان[1].

– الجمع بين القراءات: يتبن لنا أنَّ المعنى واحد، والصراط هو: الطريق المستقيم الذي لا اعوجاج فيه. والله أعلم.

* قوله تعالى: ﴿تَنزِيلَ﴾ فيها قراءتان.

أ– قرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر بنصب اللام ﴿تَنزِيلَ﴾.

ب– وقرأ الباقون برفعها ﴿تَنزِيلُ﴾[2].

– وحجة من نصب اللام: على المصدر تنزَّلَ تنزيلَ العزيز الرحيم.

– وحجة من رفعها: أنَّه خبر لمبتدأ محذوف تقديره: هذا تنزيل[3].

– الجمع بين القراءتين: القراءتان متقاربتان في المعنى فالقرآن منزَّل من عند الله ﷻ، فعلى القراءة الأولى يكون الوقف على قوله تعالى: ﴿مُّسْتَقِيمٍ﴾ وقف حسن لأنَّ العامل في النصب الفعل الذي دل عليه الكلام المتقدم في أول السورة، وعلي القراءة الثانية بالرفع يكون الوقف تامًا. والله أعلم[4].

* قوله تعالى: ﴿سَدًّا﴾ في الموضعين فيها قراءتان.

أ– قرأ حفص وحمزة والكسائي وخلف العاشر بفتح السين ﴿سَدًّا﴾.

---

(1) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 62، 63)، الحجة للقراء السبعة، للفارسي، (1/ 49)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (2/ 8).

(2) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 353).

(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 298)، الحجة للقراء السبعة، للفارسي، (6/ 36)، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، لمكي، (2/214)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 167)،

(4) ينظر: المكتفى في الوقف والابتدا، للداني، (ص: 174).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب- وقرأ الباقون بضم السين ﴿سُدًّا﴾[1].

- وحجة من فتح السين ورفعها: أنَّهما لغتان[2].

- الجمع بين القراءتين: لغات من لغات العرب.

رابعًا- المعني الإجمالي:

﴿يسٓ﴾ حرفان افتتح الله ﷻ بهما السورة، والحروف المقطعة في أوائل بعض السور للتحدي والإعجاز، وإثبات أنَّ القرآن كلام الله تعالى، وأنَّ الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنَّه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها[3].

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ قسم من الله تعالى بالقرآن، المحكم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فقد أقسم الله تعالى بهذا الكتاب المحكم، المعجز نظمه، وبديع معانيه، المتقن في تشريعه وأحكامه، الذي بلغ أعلى طبقات البلاغة، على أنَّ محمدًا رسوله ﷺ، وفي هذا القسم تعظيم وتفخيم لشأن الرسول ﷺ.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ أي: إنَّك يا محمد لمن المرسلين من رب العالمين لهداية الخلق.

﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ هذا بيان لطبيعة الرسالة بعد بيان حقيقة الرسول ﷺ، وطبيعة هذه الرسالة الاستقامة فهي قائمة كحد السيف لا عوج ولا انحراف فيه.

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ أي: هذا الصراط والمنهج والدين الذي جئت به منزل من رب العزة، الرحيم بعباده المؤمنين.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ أي: لتنذر يا محمد بهذ القرآن العرب، الذين لم يأتهم رسول نذير من قبله، فهم غافلون عن الحق جاهلون به.

﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لقد وجب العقاب على أكثرهم، لأنَّ الله ﷻ قد ختم عليهم في أُمِّ الكتاب أنَّهم لا يؤمنون بالله تعالى، ولا يصدقون رسوله ﷺ.

---

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 315).

(2) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 231)، حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 430)، الكشف عن وجوه القراءات وعللها وحججها، لمكي، (2/75-76)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 24).

(3) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (1/ 160)، مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 250).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ أَغْلَـٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾ ضرب لهم المثل في عنادهم، فحالهم كحال من جعلت الأغلال والقيود في أيديهم، وردت أيديهم إلى أعناقهم، وربطت بها، فصاروا مرفوعي الرؤوس، غاضي الأبصار، عاجزين عن فعل أي شيء. وهؤلاء الكفار المعاندون لا يرون الحق بالرغم من وضوحه، ولا يلتفتون إليه بسبب عنادهم.

﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ وضرب لهم مثلًا آخر في عنادهم، فحالهم كحال من صاروا بين سدين هائلين، سد من الأمام، وسد من الخلف، وقد أحاط بهم السدان العاليان، فغطيا على عيونهم وحجبا عن الرؤية، فصاروا لا يبصرون. وهؤلاء الكفار المعاندون محبوسون في الكفر والعناد، وقد حجبوا مداركهم وأبصارهم عن الحق، فلا يرونه ولا يقبلونه ولا يهتدون إليه.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ أي: وسواء على هؤلاء المعاندين الذين حق عليهم القول، أي الأمرين كان منك إليهم؛ الإنذار، وعدمه، فإنَّهم لا يؤمنون؛ لأنَّ الله تعالى قد حكم عليهم بذلك، وهذا تسلية له ﷺ، وكشف لحقيقة ما انطوت عليه قلوبهم من الطغيان.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ أي: إنَّما ينفع إنذارك يا محمد من آمن بالقرآن وعمل بما فيه، وخاف الله ﷻ دون أن يراه، فهذا يستحق أن يبشره رسول الله ﷺ بمغفرة الله ﷻ الواسعة، والأجر الكبير الجزيل العظيم عند الله ﷻ[1].

خامسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

1– الحروف المقطعة في أوائل بعض السور للتنبيه والتحدي:

عدد السور المفتتحة بالحروف المقطعة تسع وعشرون سورة، على عدد حروف الهجاء العربية وبلغ عددها أربعة عشر حرفًا بعد حذف المكرر منها، وقد جمع أحدهم هذه الحروف في عبارة (نص حكيم قاطع له سر)، وسورة يس التي نحن بصدد دراستها من ضمن هذه السور.

ولقد وقف المفسرون والبلاغيون وقفة طويلة أمام الحروف المقطعة في بعض فواتح السور، واختلفوا اختلافًا بيِّنًا في تحديد معناها، وبيان المراد بها، وأوردوا في ذلك أقوالًا كثيرة ومن أشهر أقوالهم في معنى الحروف المقطعة في بعض فواتح السور الآتي:

1– هي حروف يتكون منها اسم الله تعالى الأعظم.

---

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 490–496)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/563–566)، صفوة التفاسير، للصابوني، (3/5–7)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (8/154، 155).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- هي أسماء للسور.

3- هي من أسماء القرآن.

4- هي حروف للتنبيه.

5- يشير كل حرف منها إلى غلبة وكثرة وورود ذلك الحرف، أو تلك الأحرف في السورة التي ذكرت فيها.

6- هي من المتشابه التي استأثر الله ﷻ بعلمه لذا قالوا في تفسيرها الله أعلم بمراده منها(1).

والراجح الذي نميل إليه: كما ذهب أكثر أهل العلم إلى أنَّ هذه الأحرف تدل على التحدى والإعجاز، وعلى مصدر القرآن الكريم وأنَّ الخلق عاجزون عن معارضته بمثله، هذا مع أنَّه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها(2).

إنَّ القرآن قد تحدى الكافرين، وطالبهم بالإتيان بمثله، ووردت هذه الأحرف المقطعة في أوائل سور منه، لتدل على أنَّ القرآن مكون من هذه الأحرف، ولغتهم العربية مكونة من هذه الأحرف، فإذا كانوا يزعمون أنَّ القرآن من كلام محمد ﷺ أو غيره من البشر، فها هي الحروف المقطعة، التي صيغ منها القرآن، وهي نفسها التي صيغت منها لغتهم، ها هي أمامهم، فليصوغوا منها كلامًا عربيًّا، مثل هذا الكلام العربي المذكور في القرآن.

ولا زال التحدي قائمًا إلى اليوم وإلى أن يرث الله ﷻ الأرض ومن عليها لكل الأمم وما دام العرب قد عجزوا فغيرهم من الأمم أعجز تلقائيًّا.

إنَّ المتأمل المتدبر المدقّق في خصائص وترتيب هذه الحروف ومواقعها وإحصائياتها العديدة ليواجه أن هذه الحروف لها سرٌ عظيمٌ وإعجازٌ هائل علاوة على معانيها وإن خفيت علينا فلا نعلم منها إلا اليسير.

2- تقرير رسالة النبي ﷺ:

أقسم الله ﷻ بالكتاب، قال تعالى: ﴿يسٓ * وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ * تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [يس: 1-5]، فأقسم بمن أخبر عنه بمن نقل المخبر، أقسم بكتاب الله ﷻ بالنبي ﷺ، فجمع الله ﷻ بهاتين الآيتين، ﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ * إِنَّكَ لَمِنَ

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (1/ 205، 206)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (1/ 160)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (1/ 207).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 250)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (1/ 160).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 2-3]، أنَّكم علمتم من أنا بأنِّي أنا الله بواسطة هذا المرسل بهذا الكتاب، فأنا أقسم بهذا الكتاب الذي أنتم عجزتم أن تأتوا بمثله أنَّ هذا النبي هو نبي، فإن المقسم به، ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ [يس: 2]، دليل على صدق المقسم عليه، ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [يس: 3]، كافٍ في الدلالة على نبوته، وأنَّه مرسل من ربه، قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [العنكبوت: 51]، فمن أنكر القرآن، فقد أنكر نبوة محمد ﷺ، فهو رسول الله ﷺ بإجماع المسلمين، بإجماع أهل العلم والإيمان من أهل السنة والجماعة، هو رسول الله حقًّا، من كذب بذلك فهو كافر، ومن قال إنَّه رسول للعرب دون العجم فهو كافر فهو رسول الله ﷺ إلى جميع الثقلين الجن والإنس، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: 158]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبأ: 28]، هو رسول الله ﷺ إلى الجميع من أجاب دعوته واتبع شريعته فاز بالسعادة والجنة والكرامة، ومن حاد عن سبيله واتبع غير هداه باء بالخيبة والندامة.

3- الإنذار وعدمه سواء للكفار:

بعث الله ﷻ الرسل مبشرين ومنذرين، مبشرين لمن أطاعهم بالنصر والتأييد والجنة والكرامة، ومنذرين لمن عصاهم بالندامة والنار، وفي بعثتهم إقامة الحجة، وقطع المعذرة، وهداية للخلق، وبيانًا للحق، وإرشادًا للعباد إلى أسباب النجاة، وتحذيرًا لهم من أسباب الهلاك حتى لا يقول قائل ما جاءنا من بشير ولا نذير، قال تعالى: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: 6].

عن ابن عباس- رضي الله عنهما-، **قال: (لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء: 214]، **صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الصَّفَا، فَجَعَلَ يُنَادِي: يَا بَنِي فِهْرٍ، يَا بَنِي عَدِيٍّ- لِبُطُونِ قُرَيْشٍ- حَتَّى اجْتَمَعُوا فَجَعَلَ الرَّجُلُ إِذَا لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَخْرُجَ أَرْسَلَ رَسُولًا لِيَنْظُرَ مَا هُوَ، فَجَاءَ أَبُو لَهَبٍ وَقُرَيْشٌ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلًا بِالوَادِي تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَ عَلَيْكُمْ، أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ؟ قَالُوا: نَعَمْ، مَا جَرَّبْنَا عَلَيْكَ إِلَّا صِدْقًا، قَالَ: فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ:**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبًا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: 1-2])[1].

"لما أقسم تعالى على رسالته وأقام الأدلة عليها، ذكر شدة الحاجة إليها واقتضاء الضرورة لها فقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [يس: 6] وهم العرب الأميون، الذين لم يزالوا خالين من الكتب، عادمين الرسل، قد عمتهم الجهالة، وغمرتهم الضلالة، وأضحكوا عليهم وعلى سفههم عقول العالمين، فأرسل الله تعالى إليهم رسولًا من أنفسهم، يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين، فينذر العرب الأميين، ومن لحق بهم من كل أمِّي، ويذكر أهل الكتب بما عندهم من الكتب، فنعمة الله به على العرب خصوصًا، وعلى غيرهم عمومًا. ولكن هؤلاء الذين بعثت فيهم لإنذارهم بعدما أنذرتهم، انقسموا قسمين: قسم رد لما جئت به، ولم يقبل النذارة، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 7] أي: نفذ فيهم القضاء والمشيئة، أنَّهم لا يزالون في كفرهم وشركهم، وإنَّما حق عليهم القول بعد أن عرض عليهم الحق فرفضوه، فحينئذ عوقبوا بالطبع على قلوبهم"[2].

وقد وصف الله ﷻ حال هؤلاء في سورة البقرة فقال تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: 171]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: 80]، فهؤلاء المكذبون هم المعنيون بالتهديد لا تنفع فيهم دعوتك وإنذارك لأنَّهم مطبوع على قلوبهم، قال تعالى: ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يس: 10]، وإنَّما ينفع إنذارك الذين يخشون ربهم بالغيب، ويقيمون الصلاة، والفريقان لا يستويان لأنَّ مثلهم مثل الأعمى والبصير، والظلمات والنور، والظل والحرور، والأحياء والأموات، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾ [يس: 11].

(1) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ *وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: 214-215]، ح (4770)، (6/ 111).

(2) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: 692).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثاني
إحصاء الأعمال، والبعث

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُواْ وَءَاثَٰرَهُمْۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12].

أولًا- المعاني اللغوية:

﴿وَءَاثَٰرَهُمْۚ﴾: الأثر: الخبر المرويّ والسنَّة الباقية، يقال: لم نجد له أثرًا أي خبرًا(1). وءاثارهم: أي ما سنوه من حسن أو سيء(2).

﴿أَحْصَيْنَٰهُ فِيٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾: أحصى الشيء عرف قدره، يقال: أحصى الكتابَ أي حَفِظَه وأَحْصَى عَدَدَ الحَاضِرِين أي عدهم(3). أحصيناه في إمام مبين: أي أثبتناه وحفظناه(4).

ثانيًا- المناسبة:

لما ذكر في الآيات السابقة أمر الرسالة وهو أصل من الأصول الثلاثة، ذكر بعدها أصلًا آخر وهو البعث والنشور(5).

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* جناس ناقص في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نُحْيِ﴾ لتغيير بعض الحروف(6).

* الاستعارة في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يقول ابن عاشور: "استعارة الموتى للمشركين، واستعارة الإحياء للإنقاذ من الشرك، والقرينة هي الانتقال من كلام إلى كلام لما يومىء إليه الانتقال من سبق الحضور في المخيلة فيشمل المتكلم مما كان يتكلم في شأنه إلى الكلام فيما خطر له. وهذه الدلالة من مستتبعات المقام وليست من لوازم معنى التركيب. وهذا من أدق

---

(1) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 574)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (1/ 175)، تاج العروس، للزبيدي، (10/ 13).

(2) ينظر: النكت والعيون، للماوردي، (5/ 9)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 232).

(3) ينظر: المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (1/ 180)، معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (1/ 511).

(4) ينظر: بحر العلوم، للسمرقندي، (3/ 95)، التفسير الوسيط، لطنطاوي، (12/ 16)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 232).

(5) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 257)، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 100)، صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 6).

(6) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 10)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 291).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التخلص بحرف (إن) لأنَّ المناسبة بين المنتقل منه والمنتقل إليه تحتاج إلى فطنة، وهذا مقام خطاب الذكي المذكور في مقدمة علم المعاني"(1).

* تقديم الإحياء وتأخير الكتابة، مع العلم أنَّ الكتابة قبل الإحياء في قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ﴾ لأنَّ الكتابة معظمة لأمر الإحياء، لأنَّ الإحياء إن لم يكن للحساب لا يعظم والكتابة في نفسها إن لم تكن إحياء وإعادة لا يبقى لها أثر أصلًا فالإحياء هو المعتبر والكتابة مؤكدة معظمة لأمره، فلهذا قدم الإحياء(2).

رابعًا– المعني الإجمالي:

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ هذا وعد من الله ﷻ للمؤمنين المنتفعين بالإنذار، ووعيد منه للكافرين المعرضين عن الإنذار فالله ﷻ سيحيي الموتى جميعًا يوم القيامة، وقد كتب ما قدَّموا في الدنيا من خير وشر، ومن صالح الأعمال وسيئها وءاثارهم التي خلفوها بعد موتهم، وأثرت في الناس من بعدهم، وآثار خطاهم إلى الطاعة أو المعصية، فكل شيء كان أو هو كائن أحصيناه، فأثبتناه في أمِّ الكتاب، وهو الإمام المبين(3).

خامسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

كتابة كل عمل يصدر عن الإنسان، سواء كان خيرًا أم شرًا:

وردت كثير من الآيات الكريمة التي تدل على أنَّ الله ﷻ كتب مقادير المخلوقات، والمقصود بهذه الكتابة، الكتابة في اللوح المحفوظ، وهو الكتاب الذي لم يفرط فيه الله ﷻ من شيء، فكل ما جرى ويجري فهو مكتوب عند الله، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: 12]، وقال تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: 38]، والمقصود بالكتاب هنا اللوح المحفوظ، فالله ﷻ أثبت فيه جميع الحوادث(4)، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾ [الأنبياء: 105]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: 70]، وهذه الآية من أوضح الأدلة الدالة على

---

(1) التحرير والتنوير، (22/ 354، 355).

(2) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (26/ 258).

(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 297)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (566/6)، صفوة التفاسير، للصابوني، (3/6–7)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (156/8).

(4) ينظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للسعدي، (ص: 255).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

علمه المحيط بكل شيء، وأنَّه علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب الله ﷻ ذلك في كتابه اللوح المحفوظ، فالآية جمعت بين المرتبتين[1]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾ [يس: 12].

ومن السنة النبوية ما رواه عبد الله بن عمرو بن العاص –رضي الله عنهما–، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: (**كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، قَالَ: وَعَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**)[2]، وفي الحديث الطويل الذي رواه علي ﷺ بيان أنَّ كل نفس قد كتب مكانها من الجنة والنار، وقد كتبت شقية أو سعيدة، عَنْ عَلِيٍّ ﷺ، قَالَ: (**كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ فَأَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ**[3]**، ثُمَّ قَالَ: مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ وَمَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ إِلَّا كُتِبَ مَكَانُهَا مِنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا قَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتَابِنَا، وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ السَّعَادَةِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنَّا مِنْ أَهْلِ الشَّقَاءِ، فَسَيَصِيرُ إِلَى عَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ، قَالَ: أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾** [الليل: 5–6])[4].

فالله ﷻ يحصي لنا أعمالنا؛ الصالحة والطالحة فكل شيء مسجل خيرًا وشرًا، فأعمالنا الجليلة مسجلة والصغيرة مسجلة، فإذا علم الإنسان أنَّ الله ﷻ يحصي عليه كل حركاته، وسكناته، وخواطره، وأنفاسه، ونواياه، فهذا يستدعي أن يكون منضبطًا، وعليه أن يكون في وضع يستحي فيه من الله ﷻ، فيجب أن تراقب قلبك، ولتعلم أن الله ﷻ يراقبك[5].

ومن الآداب التي ينبغي أن يتحلى بها المؤمن أن يحصي هو أيضًا أخطاءه ويحصي أفعاله ويحصي أيامه، ولكن يجب أن تُعلِّم نفسك أن تُحصي أيّامك، أن تقول: مضى من عمري كذا، فهل بقي لي بِقدر ما مضى؟! كيف مضَتْ هذه السنوات الثلاثون، أو الأربعون، إذا مضى من عمري أكثر ممَّا بقي، وهذا الذي مضى كلمْح البصر، فالذي بقي أقلّ، فكيف أشغل هذه الأيام والليالي؟ كيف سأُنظِّم برنامجي؟ وكيف سأطلب العلم؟ وما العمل الذي سألقى به الله ﷻ؟ فالعبد إذا أحصى أخطاءه واستغفر الله تعالى منها كان هذا حافزًا لطاعة ربه وابتعاده من الغفلة.

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (5/ 452).

(2) صحيح مسلم ، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى –عليهما السلام–، ح (2653)، (4/ 2044).

(3) المخصرة: هو ما أخذه الإنسان بيده واختصره من عصا لطيفة وعكاز لطيف وغيرهما، فنكس: أي خفض رأسه، ينكت: أي يخط بها خطا يسيرا مرة بعد مرة، ينظر: شرح مسلم، للنووي، (8/ 195).

(4) صحيح البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: 9]، ح (4948)، (6/ 171).

(5) ينظر: الإيمان بالقدر، لصلابي، (ص: 43–47).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث

المقاصد والأهداف لسورة يس الآيات (13-27)

الجهر بالدعوة إلى الحق وقصة أصحاب القرية

ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: قصة أصحاب القرية.

المطلب الثاني: وجوب الجهر بالدعوة إلى الحق.

المطلب الثالث: بشارة المؤمن عند الموت.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الأول
قصة أصحاب القرية

قال تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ * إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ * قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ *قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ * وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ * قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ * قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [يس: 13-19].

أولًا- المعاني اللغوية:

﴿ٱلۡقَرۡيَةِ﴾: قرى أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، سميت قرية لاجتماع الناس فيها، جمع قرى، يقال: قريت الماء في المقراة: أي جمعته[1]. والقرية: قيل هي أنطاكية[2].

﴿فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ﴾: عز فلان يعز عزا وعِزَّةً وعَزَازَةً أي صار عَزِيزًا، أي قوي بعد ذِلَّة، وأعزه الله أي قواه وَجعله عَزِيزًا، يقال: عزز المَاء الأَرْض لبدها وَشَدَّدَهَا[3]. فعززنا بثالث: أي قويناهما وشددناهما به[4].

﴿تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾: الطيرة: هو ما يتشاءم به من الفأل الرديء، يقال: تطيَّر من الغراب: أي تشاءم به أو منه[5]. تطيرنا بكم: أي تشاءمنا بكم[6].

---

(1) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (5/ 78)، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، للحميري، (8/ 5455)، تاج العروس، للزبيدي،(39/ 282).

(2) ينظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 580)، التفسير الواضح، لحجازي، (3/ 177)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 368).

(3) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (3/ 885)، تاج العروس، للزبيدي، (15/ 219)، المعجم الوسيط، لمجمع اللغة العربية، (2/ 598)

(4) ينظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 580)، التفسير الواضح، لحجازي، (3/ 177)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 369).

(5) ينظر: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، (2/ 728)، لسان العرب، لابن منظور، (4/ 511)، معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (2/ 1430).

(6) ينظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 580)، التفسير البسيط، للنيسابوري، (18/ 466)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 369).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ﴾: شؤمكم كفركم المصاحب لكم(1).

﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ﴾: ذكر الشيء خلاف النسيان، يقال ذكَّرتُ صديقي بدينه: أي جعلته يستحضره ويسترجعه، ويعيده إلى ذهنه، وذّكَّرَ الخطيب الناس أي وعظهم وخوفهم(2). أَئِنَ ذكرتم: أي أَئِن وعظتم تطيرتم(3).

ثانيا– المناسبة:

بعد عرض قضية الوحي والرسالة، وقضية البعث والحساب، في هذه الصورة التقريرية، يعود السياق ليعرضهما في صورة قصصية، تلمس القلب بما كان من مواقف التكذيب والإيمان وعواقبهما معروضة كالعيان، فإذا استمر المشركون على عنادهم واستكبارهم، كان إهلاكهم يسيرًا كأهل هذه القرية، وتكون قصتهم مع رسل الله تعالى، كقصة قوم النبي ﷺ معه(4).

ثالثًا– وجوه البلاغة:

* تقديم الجار والمجرور في قوله تعالى: ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ﴾ للاهتمام بأمر المرسل إليهم(5).

* التأكيد بأكثر من مؤكد في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ﴾ أكد بـ (إِنَّ) و (اللام) لأنَّ المخاطب منكر، وهذا التأكيد يسمى إنكاريًا(6).

* جناس الاشتقاق في قوله تعالى: ﴿ٱلۡمُرۡسَلُونَ * إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ﴾ و﴿تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ﴾ و ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم﴾(7).

(1) ينظر: التفسير البسيط، للنيسابوري، (18/ 466)، تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 580)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 232).

(2) ينظر: مقاييس اللغة، لابن فارس، (2/ 358)، معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدق فريق عمل، (1/ 814).

(3) ينظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 580)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 232)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 369).

(4) ينظر: نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، (16/ 103)، في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2960).

(5) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 360).

(6) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 10)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 291).

(7) ينظر: التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 300).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا – القراءات:

* قوله تعالى: ﴿فَعَزَّزْنَا﴾ فيها قراءتان.

أ- قرأ شعبة بتخفيف الزاي الأولى ﴿فَعَزَزْنَا﴾.

ب- وقرأ الباقون بتشديدها ﴿فَعَزَّزْنَا﴾[1].

- وحجة من خفف الزاي: من عزَزَ يقال عززت القوم: بمعنى قويتهم، وهو متعدى بمفعول واحد محذوف، والتقدير: فقوينا المرسلين برسول ثالث.

- وحجة من شدد الزاي: من عزَّز على معنى قوينا أيضًا، عززت القوم بمعنى قويتهم[2].

- الجمع بين القراءتين: القراءتان بمعنى واحد، فالله ﷻ أيد الرسولين الأولين برسول ثالث، ليشد من عضدهما ويسندهما. والله أعلم.

* قوله تعالى: ﴿ذُكِّرْتُم﴾ فيها قراءتان.

أ- قرأ أبو جعفر بتخفيف الكاف ﴿ذُكِرْتُم﴾.

ب- وقرأ الباقون بتشديدها ﴿ذُكِّرْتُم﴾[3].

- وحجة من خفف الكاف: أنَّه فعل ماض مبني للمجهول من (الذِّكْر)

- وحجة من شددها: أنَّه فعل ماض مبني للمجهول من (التذكُّر)[4].

- الجمع بين القراءتين: القراءتان بمعنى واحد، تقريع للكفار فلإن ذكرتم فطائركم معكم. والله أعلم.

خامسًا – المعنى الإجمالي:

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ يأمر الله ﷻ رسوله محمد ﷺ أن يذكر لكفار قريش قصة أصحاب القرية، مثلًا في العناد والكفر، ولم تذكر الآيات اسم تلك القرية، ولم يرد اسمها في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، لكن قال بعض المفسرين إنَّها أنطاكية والله أعلم، وقد كان أصحاب هذه القرية كافرين، فبعث الله ﷻ لهم رسلًا، لكنَّهم كفروا بهم وكذبوهم.

---

(1) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 353).

(2) ينظر: الحجة في القراءات السبع، لابن خالويه، (ص: 298)، الحجة للقراء السبعة، للفارسي، (6/ 38)، حجة القراءات، لابن زنجلة، (ص: 597)، الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 167).

(3) ينظر: النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، (2/ 353).

(4) ينظر: الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، لمحيسن، (3/ 168).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد ما أشارت الآية السابقة إلى القصة إشارة مجملة، شرعت في تفصيل ما جرى بين الرسل وأصحاب القرية، فقال تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ لقد أرسل لهم رسولين اثنين، فقاما بدعوتهم إلى الله تعالى، لكن القوم كذبوا وأصروا على كفرهم، فأيَّد الله ﷻ الرسولين برسول ثالث، أي قواهما به، وانضم معهما إلى الدعوة، وخاطب الرسل الثلاثة القوم قائلين: نحن رسل الله تعالى مرسلون لهدايتكم، ﴿قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ أي: ليس لكم فضلٌ علينا وما أنتم إلا بشر مثلنا، فكيف أوحى الله تعالى إليكم دوننا؟

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ﴾ أي: لم ينزل الله شيئًا من الوحي والرسالة، ما أنتم إلا قوم تكذبون في دعوى الرسالة، فردَّ الرسل على اعتراض أصحاب القرية بأن قالوا لهم: ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ الله ﷻ يعلم أنَّا رسله إليكم، ولو كذبنا عليه لانتقم منَّا أشد الانتقام، ولكنَّه سيعزنا وينصرنا عليكم، وستعلمون لمن تكون عاقبة الدار، ﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ وما علينا إلا أن نبلغكم ما أرسلنا به إليكم، فإذا أطعتم كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن لم تجيبوا فلكم الشقاوة والعذاب.

تطور حوار أهل القرية للرسل من التكذيب والإنكار إلى التهديد والوعيد، فلما لم يجدوا ما يجيبون به الرسل، وانهزموا في ميدان الحوار والجدال لجأوا إلى الاتهام، فقالوا لهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ إنَّا تشاءمنا بكم، فإن أصابنا بلاء فمن أجلكم، لئن لم تنتهوا عمَّا ذكرتم من أنَّكم أرسلتم إلينا بالبراءة من آلهتنا، والنهي عن عبادتنا لنرجمنكم.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ ردَّ الرسل الثلاثة على تشاؤم القوم قائلين: تشاؤمكم ملازم لكم، وتطيركم عليكم، وهو معكم لا يفارقكم أبدًا، وسببه سوء أعمالكم، وقبح كفركم، فتشائمكم في غير مكانه، وأنتم قوم مسرفون متجاوزون للحد فى الظلم والعدوان[1].

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 499-503)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 568-570)، صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 7، 8)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (8/159، 160).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادسًا- تحليل المقاصد والأهداف:

1- القصص القرآني للعبرة والعظة:

قال تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:13].

لم يعتمد القرآن الكريم أسلوبًا واحدًا لإيصال رسالته إلى الناس، بل تعددت أساليبه وتنوعت، فهو حينًا يعتمد أسلوب القصص، وحينًا أسلوب الحوار، وحينًا آخر يعتمد أسلوب ضرب المثل، وتارة يعتمد أسلوب التربية النفسية والتوجيه الخلقي، إلى غير ذلك من الأساليب التي لا تخفى على من تأمل وتدبر كتاب الله ﷻ.

وأسلوب القصة من الأساليب التي اعتنى القرآن الكريم بها عناية خاصة؛ إنَّ فيها عبرًا جمَّة وفوائد للأمة.

قال ابن عاشور: "أبصر أهل العلم أنَّ ليس الغرض من سوقها قاصرا على حصول العبرة والموعظة مما تضمنته القصة من عواقب الخير أو الشر، ولا على حصول التنويه بأصحاب تلك القصص في عناية الله تعالى بهم أو التشويه بأصحابها فيما لقوه من غضب الله تعالى عليهم كما تقف عنده أفهام القانعين بظواهر الأشياء وأوائلها، بل الغرض من ذلك أسمى وأجل. إنَّ في تلك القصص لعبرًا جمَّة وفوائد للأمة ولذلك نرى القرآن يأخذ من كل قصة أشرف مواضيعها ويعرض عما عداه ليكون تعرضه للقصص منزها عن قصد التفكه بها"(1).

وقد ألمح القرآن إلى هذا في أكثر من آية من ذلك قوله تعالى: ﴿فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: 176]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: 111]، وتأمَّلْ كيف جاء لفظ ﴿عِبْرَةٌ﴾ منكرًا ليفيد الشمول والعموم؛ ففي قصصهم عبرة عن كل شيء، وفي كل شيء من قصصهم عبرة، ولكنْ مَن يستخرجُ تلك الدرر والجواهر؟!!.. إلا من آتاه الله عقلا نيرًا وقلبًا مبصرًا، ولذلك جعل العبرة في الآية السابقة قاصرة على أولي الألباب(2)، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: 37]، إلى غير ذلك من الآيات التي تبين اعتماد القرآن أسلوب القصص.

(1) التحرير والتنوير، (1/ 64).
(2) ينظر: مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، للرازي، (18/ 522).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2- حرمة التطير والتشاؤم في الإسلام:

التطير قديم الوجود في الأمم؛ فقد أخبرنا الله ﷻ أن فرعون وقومه تطيروا بموسى عليه السلام ومن معه، قال تعالى: ﴿**فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَـٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ**﴾ [الأعراف: 131]، وقبل ذلك تشاءم قوم ثمود بصالح عليه السلام، قال تعالى: ﴿**قَالُوا۟ ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَـٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ**﴾ [النمل: 47]، وكذلك تطير أصحاب القرية بالرسل الثلاثة، قال تعالى: ﴿**قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ * قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ**﴾ [يس: 18-19]، وكان الرد عليهم جميعًا: أنَّ ما حل بهم من شر، أو نقص في نفس، أو مال، أو ما نزل بهم من عقوبة ما هو إلا من قِبَل أنفسهم بسبب كفرهم، وعنادهم، واستكبارهم، وما زال الناس وإلى يومنا هذا يتطيرون، وتطيُّرهم دليل ضعف توكُّلهم على ربهم، ونقص عقولهم فأي شأن للطير أو غيره بمستقبل الإنسان وقدره؟!

وللناس في التشاؤم أيام معينة، أو ساعات محددة، أو أعداد معينة، مما لا ينقضي منه العجب، فمنهم من يتشاءمون بنعيق البوم، والغراب، ورؤية الأعور، والأعرج، والمعتوه، ومنهم من يتشاءمون بالأسماء، والأيام، والحيوان، والأشخاص، وبعضهم يتشاءم بيوم الأربعاء، ويقول: إنَّه يوم نحس وشؤم، ومنهم من يتشاءم بشهر شوال، ولاسيما في النكاح، وهذا كله يقدح في عقيدة المرء لمخالفته لصدق التوكل على الله تعالى واعتقاد أنَّ النفع والضر لا يأتي إلا من قبله.

فالتطير محرم مخل بالتوحيد، وقد نفى النَّبيُّ ﷺ تأثيره، وجعله شركًا، أمَّا نفي تأثيره، فعن رسول الله ﷺ قال: (**لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ**)[1]، حيث نفى تأثير الطيرة، وأمَّا جعلُهُ عليه السلام الطيرة شركًا، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عَنْ رسول الله ﷺ قال: (**الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ**)[2]، وإنَّما جعل التطير شركًا لاعتقادهم أنَّ ذلك يجلب نفعًا أو يدفع ضررًا؛ فكأنَّهم أشركوه مع الله ﷻ، وهذا الاعتقاد منافٍ لقوله تعالى: ﴿**وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ**

(1) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الجُذام، ح (5707)، (7/ 126).
(2) سنن أبي داود، كتاب الطب، باب في الطيرة، ح (3910)، (4/ 17)، قال الألباني: صحيح، صحيح سنن أبي داود، للألباني، (474/2).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

﴿فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦۚ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يونس: 107]، فالله ﷻ هو النافع الضار، وهذه الطيور لا تعلم الغيب، ولا تدل على المخبَّأ من الأمور بوجه[1].

قال ابن القيم: "التطير هو التشاؤم من الشيء المرئي أو المسموع فإذا استعملها الإنسان فرجع بها من سفره وامتنع بها مما عزم عليه فقد قرع باب الشرك بل ولجه وبرىء من التوكل على الله تعالى وفتح على نفسه باب الخوف والتعلق بغير الله تعالى والتطير مما يراه أو يسمعه وذلك قاطع له عن مقام قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: 5]، وقوله تعالى: ﴿فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [هود: 123]، وقوله تعالى: ﴿عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: 88]، فيصير قلبه متعلقًا بغير الله تعالى عبادة وتوكلا فيفسد عليه قلبه وإيمانه"[2].

فالطيرة تنافي حقيقة الإسلام، ويفتح باب الوسواس والهموم على المتطير، قال ابن القيم: "واعلم أنَّ من كان معتنيا بها قائلا بها كانت إليه أسرع من السيل الى منحدر فتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه وينكد عليه عيشه"[3].

وقد بيَّن لنا النبي ﷺ أنَّه لا يجوز أن يلتفت المسلم إلى الطيرة فترده عن حاجته، وعليه أن يمضي متوكِّلًا على الله مُردِدًا الذكرَ الوارد في ذلك؛ فعن عبد الله بن عمرو –رضي الله عنهما–، قال: قال رسول الله ﷺ: **(مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا كَفَّارَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: أَنْ يَقُولَ أَحَدُهُمْ: اللهُمَّ لَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ، وَلَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ)**[4].

أمَّا الفأل فمحبوب مندوب إليه، لما فيه من إدخال السرور على النفس مع حسن الظن بالله ﷻ، عن أنس ﷺ، عن النبي ﷺ قال: **(لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ الصَّالِحُ: الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ)**[5].

(1) ينظر: إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، للفوزان، (2/ 5-7).
(2) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، (2/ 246).
(3) المرجع السابق، (2/ 230، 231).
(4) مسند أحمد، مسند المكثرين من الصحابة، مسند عبد الله بن عمرو بن العاص–رضي الله عنهما–، ح (7045)، (11/ 623)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الألباني: صحيح، سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، للألباني، (3/ 54).
(5) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل، ح (5756)، (7/ 135).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال العلماء: "وإنَّما أحب الفأل لأنَّ الإنسان إذا أمل فائدة الله تعالى وفضله عند سبب قوي أو ضعيف فهو على خير في الحال وإن غلط في جهة الرجاء فالرجاء له خير وأمَّا إذا قطع رجاءه وأمله من الله تعالى فإنَّ ذلك شر له والطيرة فيها سوء الظن وتوقع البلاء ومن أمثال التفاؤل أن يكون له مريض فيتفاءل بما يسمعه فيسمع من يقول يا سالم أو يكون طالب حاجة فيسمع من يقول يا واجد والله أعلم"[1].

المطلب الثاني
وجوب الجهر بالدعوة إلى الحق

قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ *ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرًا وَهُم مُّهۡتَدُونَ * وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ *ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ * إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ *إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ * قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس: 20-27].

أولًا- المعانى اللغوية:

﴿يَسۡعَىٰ﴾: سعى الشخص للشيء أي ذهب ومشى إليه بسرعة، وسعَى في حاجة أخيه: تسبّب له في قضائها[2]، يسعى: أي يسرع في مشيه لنصح قومه[3].

﴿فَطَرَنِي﴾: أي خلقنى وأبدعني[4].

---

(1) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي، (14/ 219).

(2) ينظر: تاج العروس، للزبيدي، (38/ 279) معجم اللغة العربية المعاصرة، لأحمد مختار بمساعدة فريق عمل، (2/ 1070).

(3) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، للشربيني، (3/ 344)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 233)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 371).

(4) ينظر: تفسير الجلالين، للمحلي والسيوطي، (ص: 581)، السراج في بيان غريب القرآن، للخضيري، (ص: 233)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 371)، (ص:120)، هذه الرسالة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا- المناسبة:

عطف على قصة التحاور الجاري بين أصحاب القرية والرسل الثلاثة لبيان حال المعاندين من أهل القرية وحال الرجل المؤمن منهم الذي وعظهم بموعظة بالغة، كان يسكن في أقصى المدينة فجاء يشتد سعيًا على قدميه فأمر ونهى وصارح القوم بإيمانه وتوحيده فقتلوه[1].

ثالثًا- وجوه البلاغة:

* التقديم والتأخير في ﴿رَجُلٌ﴾ قدِّمت في سورة القصص في قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ بِكَ لِيَقۡتُلُوكَ فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص:20]، وتأخيرها هنا، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ [يس:20]، لاختلاف المقام فيهما ففي الآية الأولى تقدم رجل لتسليط الضوء عليه ولفت الذهن إليه وما يحمله من نبأ المؤامرة، بوصوله إلى موسى عليه السلام يتغير الموقف ويخرج موسى متخفيًا مترقّبًا، أمَّا في الآية الثانية فالمقام يقتضي تسليط الضوء ولفت الانتباه إلى المدينة بصفة أساسية لا إلى الرجل، فتظهر المدينة على غفلتها وعدم اتباعها المرسلين ثم إرادة الرجل هدايتهم، فتأخير الرجل هنا يبين أنَّه لم يكن محتاجًا للسرعة والعجلة ومسابقة الزمن بالقدر العظيم الذي كان يحتاجه المقام الأول[2].

* الإطناب في قوله تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرًا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ لزيادة الحث على الاتباع[3].

* الاستفهام في قوله تعالى: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ للتوبيخ[4].

رابعًا- المعنى الإجمالي:

﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسۡعَىٰ﴾ أي: وجاء من أقصى مدينة هؤلاء القوم الذين أرسلت إليهم هذه الرسل رجل يسعى إليهم؛ وذلك أن أهل هذه المدينة عزموا واجتمعت آراؤهم على قتل هؤلاء الرسل الثلاثة فيما ذكر، فبلغ ذلك هذا الرجل، وكان منزله أقصى المدينة، وكان مؤمنًا، ولم

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 365)، أيسر التفاسير، للجزائري، (4/ 371).

(2) ينظر: البرهان في توجيه متشابه القرآن، للكرماني، (ص: 194)، التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 365، 366).

(3) ينظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور، (22/ 367)، صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 10)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 300).

(4) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 10)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 300).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يرد ذكر اسمه في حديث صحيح عن رسول الله ﷺ، وقد ذكر بعض المفسرين أنَّ اسمه حبيب النجار والله أعلم. ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ أي: اتبعوا الرسل الكرام الداعين إلى توحيد الله ﷻ، وإنَّما قال ﴿يَٰقَوۡمِ﴾ تأليفًا لقلوبهم واستمالة لها لقبول النصيحة، ثم كرر القول تأكيدًا وبيانًا للسبب فقال: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ أي: اتبعوا هؤلاء الرسل الصادقين المخلصين، الذين لا يسألونكم أُجرة على الإيمان، وهم على هدى وبصيرة فيما يدعونكم إليه من توحيد الله ﷻ.

﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ أي: وما يمنعني من إخلاص العبادة للذي خلقني وحده لا شريك له، وإليه مرجعكم بعد الموت فيجازي كلاً بعمله.

﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ أي: كيف أتخذ من دون الله آلهة لا تسمع ولا تنفع ولا تغني عن عابدها شيئاً؟ ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ أي: هي في المهانة والحقارة بحيث لو أراد الله تعالى أن يُنزل بي شيئًا من الضر والأذى وشفعت لي لم تنفع شفاعتهم ولم يقدروا على إنقاذي، فكيف وهي أحجار لا تسمع ولا تنفع ولا تشفع؟ ولا يقدرون على إنقاذي من عذاب الله ﷻ.

﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ أي: إنِّي إن عبدت غير الله واتخذت الأصنام آلهة لفي خسران ظاهر جلي.

بعد ما قدم الرجل حجته الدعوية لقومه، خطا خطوته الأخيرة، وهي إعلان إيمانه، فقال لهم: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ إنّي آمنت بربكم، فاسمعوا كلامي[1].

خامسًا– تحليل المقاصد والأهداف:

وجوب إبلاغ دعوة الحق والتنديد بالشرك مهما كان العذاب قاسيًا:

إنَّ الدفاع عن العقيدة الصحيحة والمنهج الحق؛ مطلب كل داعية مؤمن بالله ﷻ ورسُله، وكذلك الحث على سرعة الاستجابة للحق متى ما ظهرت علامته، واتضحت دواعيه، ثم الدعوة إليه دون بطء أو تكاسل؛ والدعوة إلى الحق والهدى بعد معرفته وتبيّنه؛ صفة المسلم الصادق، يفعل ذلك ويؤديه حسب قدرته، باذلًا لذلك كل وقته، ومستمرًا عليه حتى لو أدى به ذلك إلى القتل وإزهاق الروح؛ لأنَّه يعلم أنَّه لن يموت إلا بإذن الله ﷻ.

(1) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 504–508)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 570، 571)، صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 8)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (163/8).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ساق لنا القرآن الكريم قصة أصحاب القرية، الرجل الذي جاءَ من أقْصى المدينة يَسعى، قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ *ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [يس: 20-21]، فإنَّ هذا المؤمن الشهيد حينما استشعر حقيقة الإيمان؛ تحركت هذه الحقيقة في ضميره فلم يطق عليها سكوتًا، ولم يقبع في داره بعقيدته وهو يرى الضلال من حوله، والجحود، والفجور، ولكنَّه سعى بالحق الذي استقر في ضميره، وتحرك في شعوره، سعى به إلى قومه وهم يكذبون، ويتوعدون، ويهددون، فجاء يسعى ليقوم بواجبه في دعوة قومه إلى الحق، وفي كفهم عن البغي، وفي مقاومة اعتدائهم الأثيم الذي يوشكون أن يصبوه على المرسلين، فنجد في الآيات الكريمة وصفًا لهذا المؤمن الشهيد بالسعي، الذي تخلَّق بخلق الشجاعة الأدبية في الصَّدْع بالحق، يجاهر قومه بكلمةِ الحق التي لا تُبالي بعاطفة، ولا تضعُف أمامَ منفعة، ولا تنهزم خشيةً من مضرَّة، إنَّها استجابة الفِطرة السليمة لدعوةِ الحق المستقيمة، فيها الصِّدق، واستقامة الإدراك، فهذا رجلٌ سمِع الدعوةَ فاستجاب لها بعدَما رأى فيها مِن دلائل الحقِّ والمنطق ما يتحدَّث عنه في مقالتِه لقومه، وقد استخدم الرجل أسلوب الإقناع في الجانب الدعوي مع قومه أنَّه قال لهم: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ *ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ * إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ *إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يس: 21-24]، حيث أخرج الحجة عليهم في معرض المخاطبة لنفسه تأليفًا لهم، ونبه على أنَّ عبادة العبد لمن فطره أمر واجب في العقول، مستهجن تركها، قبيح الإخلال بها.

فبُعد المسافة لا يَنبغي أن يشكِّل حائلًا دون بذْل الناصِح نصحه إلى مَن يحتاج إليه، بل على الناصح أن يجتازَ المسافة البعيدة إلى أهل الغي، ما دام ذلك في استطاعته، كما فعل هذا الرجل[1].

يقول ابن عاشور: "يفيد أنَّه جاء مسرعا وأنه بلغه هم أهل المدينة برجم الرسل أو تعذيبهم، فأراد أن ينصحهم خشية عليهم وعلى الرسل، وهذا ثناء على هذا الرجل يفيد أنَّه ممن يقتدى به في الإسراع إلى تغيير المنكر"[2]. فعار علينا نحن المسلمين أن نجبن عن دفاعنا عن أهل الحق، وأهل الباطل يتشجعون في دفاعهم عن باطلهم، لا بارك الله فى حياة الذل.

(1) ينظر: في ظلال القرآن، لسيد قطب، (5/ 2963).
(2) التحرير والتنوير، (22/ 366).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المطلب الثالث
بشارة المؤمن عند الموت

قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: 26-27].

أولًا- المناسبة:

استئناف بياني لما ينتظره سامع القصة من معرفة ما لقيه من قومه بعد أن واجههم بذلك الخطاب الجزل، وهل اهتدوا بهديه أو أعرضوا عنه وتركوه أو آذوه كما يؤذى أمثاله من الداعين إلى الحق المخالفين هوى الدهماء فيجاب بما دل عليه قوله: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾ وهو الأهم عند المسلمين وهم من المقصودين بمعرفة مثل هذا ليزدادوا يقينًا وثباتًا[1].

ثانيًا- وجوه البلاغة:

* مجاز بالحذف في قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ﴾[2].

ثالثًا- المعنى الإجمالي:

يبدو أنَّ القوم المجرمين ساءهم إعلان الرجل إسلامه، فهجموا عليه وقتلوه، ولقي الله شهيدًا، حتى قيل له: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ أي: لمَّا دخل الجنة وعاين ما أكرمه الله ﷻ بها لإيمانه وصبره تمنَّى أن يعلم قومه بحاله، ليعلموا حسن مآله.

﴿بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ بالسبب الذي من أجله غفر لي ربي ذنوبي، وأكرمني بدخول جنات النعيم[3].

رابعًا- تحليل المقاصد والأهداف:

بشرى المؤمن عند الموت لا سيما الشهيد فإنَّه يرى الجنة رأي العين:

دخول الجنة هدف كل مؤمن موحد بالله ﷻ، كل مسلم يقضي حياته على هذه الأرض على أمل الدخول في الجنة، لكن دخولها يحتاج إلى جهد كبير، وعمل عظيم، ليحصل المؤمن

---

(1) ينظر: التحرير والتنوير، (22/ 370).
(2) ينظر: صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 10)، التفسير المنير، للزحيلي، (22/ 300).
(3) ينظر: جامع البيان، للطبري، (20/ 509)، تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، (6/ 571)، صفوة التفاسير، للصابوني، (3/ 9)، التفسير المنهجي، لمجموعة من العلماء، (8/164).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

على مبتغاه، الجنة هي جائزة المؤمنين، الذين يخافون الله ﷻ ويتقونه في حياتهم الدنيوية، والذين يجتهدون ويتسابقون على عمل الطاعات، التي أمرهم الله بها ورسوله ﷺ وتقربهم منه سبحانه، ويبتعدون عن الأعمال التي تغضب الله ورسوله ﷺ.

فهذا الرجل المؤمن جاء يسعى ليقول قول الحق فجاهد في سبيل الله ﷻ فدخل الجنة، قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ [يس: 26]، فالمجاهدون الذين يقاتلون ابتغاء مرضاة الله ونصرًا لدينه لهم درجات عالية عند الله ﷻ، الله ﷻ يصطفي الشهداء من عباده المؤمنين، ليس كل من يقتل يقال عنه شهيد؛ لأنَّ الشهادة يسبقها أعمال صالحة، وسيرة عطرة، وحياة قضيت في طاعة الله تعالى، ونصر دينه، واتباع سنة رسوله ﷺ، أعد الله ﷻ لهم مكانة عالية، فالشهداء في عليين بجوار رب عظيم كريم، أعد لهم جنات من نعيم وحور عين، لذلك كل من يرغب بدخول الجنة عليه أن ينصر دين الله تعالى، ويعمل على نشره، والدفاع عن أمته من كيد الكائدين وظلم الظالمين.

قصة قتل مؤمن آل ياسين ينبغي أن يعتبر بها الناس جميعًا، ويوقنوا أنَّ في اتباع المصلحين الفلاح والنجاة، وأنَّ في مخالفتهم الهلاك والبوار.

ونرى الرجلَ المؤمن وقد اطَّلع على ما آتاه الله في الجنَّة مِن المغفرة والكَرامة، جزاء ما تملكه مِن الشجاعة في الصَّدْع بالحق، يتمنَّى لو يراه قومه ويَرون ما آتاه ربُّه من الرِّضا والكَرامة؛ ليعرفوا الحقَّ معرفة اليقين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الخاتمة

الحمد لله الذي هداني لهذا وما كنّت لأهتدي لولا أن هداني الله تعالى.

فإنّي أحمدَ اللهَ ﷻ أن وفقني ويسر لي إتمامَ الرسالة، والوصول إلى خاتمتها، بعد دراسة ممتعةٍ لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والأربعين من الآية 24 من سورة سبأ إلى الآية 27 من سورة يس، ومن خلال هذه الدراسة توصلت الباحثة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات ومن أهمها:

أولًا- النتائج:

1- مقاصد القرآن هي أصل مقاصد الشريعة، وعليها تدور مقاصد الشريعة، ومنها تستمد.

2- علم المقاصد القرآنية من أجلّ العلوم المعينة على فهم كتاب الله تعالى.

3- الصحابة ﷺ كانوا يحزبون القرآن بالسور لا بالآيات ولا بالحروف.

4- ورد لفظ ﴿قُلْ﴾ في سورة سبأ في خمسة عَشْرَ موضعًا، وكلُّها أوامر حقيقية يوجه بها الله ﷻ نبيه محمدًا ﷺ لينفذ مقولها.

5- عالمية رسالة النبي ﷺ لجميع الإنس والجن في كل زمان ومكان إلى يوم القيامة.

6- لا يُعفي اللهُ ﷻ الأتباع من تبعة الكفر ولذلك يعذبهم ومن يتبعونهم في النار.

7- البسط والتضييق بيد الله ﷻ للامتحان والابتلاء.

8- ما يقرب إلى الله ﷻ ويدني منه هو الإيمان والعمل الصالح، وليس الأموال والأولاد.

9- الحق على مرّ الأيام لا يزداد إلا قوةً وظهورًا، والباطل على مر الأيام لا يزداد إلا زهوقًا.

10- فتح الرحمة والإمساك بيد الله ﷻ.

11- تكرار تسلية النبي ﷺ في سورة فاطر وتنوعت أساليبها، لتثبيت النبي ﷺ والتخفيف عنه.

12- من ابتغى العزة بغير الله ﷻ فقد ذل.

13- الأعمار كالأرازق مقدرة محددة في صحيفة كل إنسان.

14- افتقار الناس جميعًا إلى الله ﷻ.

15- الهدي والضلال بيد الله ﷻ، وما على الرسول إلا البلاغ.

16- العلم سبيل الخشية، فمن لا علم له بالله ﷻ فلا خشية له.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

17- ميراث القرآن لأمة محمد ﷺ، وورثته على ثلاثة أقسام الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق بالخيرات، كلهم يدخلون الجنة.

18- الإعذار لمن بلَّغَه الله ﷻ من العمر ستون سنة.

19-عجز المشركين عن الإتيان بدليل يدل على صدق دعوتهم لغير الله ﷻ مهما حاولوا.

20- الله ﷻ يمهل ولا يهمل.

21- ورد في سورة يس أحاديث كثيرة تدل على فضائلها، أكثرها مكذبوه وموضوعة، وبعضها ضعيف، فلا يوجد حديث صحيح يصح الاعتماد عليه.

22- الحروف المقطعة في أوائل بعض السور للتحدي والإعجاز.

23- حرمة التطير فى الإسلام.

24- وجوب الجهر بالحق مهما كان العذاب قاسيًا.

25- قَصَّ القرآن علينا بعض القصص للتذكير بأحوال المكذبين الذين كذبوا أنبياءهم وذلك لأجل أخذ العبر والعظات.

ثانيًا- التوصيات:

1- أوصى نفسي وإياكم بتطبيق هذه الدراسة على أرض الواقع، فهذا الكتاب فيه الرشاد والصلاح والفوز.

2- قيام الوعاظ بنشر مثل هذه الدراسات للناس بطريقة سهلة موجزة حتي تعمّ الفائدة.

3- ترجمة هذه البحوث إلى لغات أخرى لأنَّه سوف يكون مَدْعاةً لدخول غيرِ المسلمين فى الإسلام.

4- وأخيرًا: أوصى كليةَ أصول الدين خصوصًا قسم الحديث الشريف بدراسة وجمع الأحاديث الصحيحة دون الضعيف منها، التي تدل على فضائل سور القرآن، من أجل وجود أحاديث في كتب التفاسير ضعيفة يعتقد الناس أنَّها صحيحة، والعكس كذلك.

وقبل الختام: أسألُ اللهَ ﷻ أن يتقبل مني هذا العمل، ويجعله خالصًا لوجهه الكريم، فما كان من توفيق فمن الله ﷻ، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي ومن الشيطان، واللهَ تعالى أسألُ العفو والغفران، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفهارس العامة

أولًا: فهرس الآيات القرآنية.

ثانيًا: فهرس أطراف الأحاديث النبوية.

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم.

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع.

خامسًا: فهرس المحتويات.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

أولًا: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الفاتحة		
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	2	30
﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾	5	245
﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ * صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾	7-6	169
البقرة		
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾	6	227
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ... ﴾	26	136
﴿وَقُلۡنَا ٱهۡبِطُواْ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّۖ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُسۡتَقَرٌّ ... ﴾	36	137
﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾	111	47
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ﴾	162	199
﴿إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ وَتَقَطَّعَتۡ ... ﴾	166	66
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءًۚ ... ﴾	171	234
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾	207	186
﴿أَوۡ كَٱلَّذِي مَرَّ عَلَىٰ قَرۡيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحۡيِۦ هَٰذِهِ...﴾	259	151
﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ ... ﴾	284	207
آل عمران		

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾	3	188
﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾	9	55
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ ...﴾	10	75
﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ...﴾	29	207
﴿وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ﴾	54	213
﴿بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾	79	11
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾	110	194
﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ ...﴾	137	217
﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ جَآءُو بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ...﴾	184	171
النساء		
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن ...﴾	13	173
﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَٰلِدًا فِيهَا ...﴾	14	173
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ ...﴾	87	43
﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا﴾	117	90
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ ...﴾	136	60
﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾	142	213
﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ ...﴾	163	189
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ...﴾	165	174

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ ...﴾	166	96
المائدة		
﴿ٱلۡيَوۡمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِۚ ...﴾	3	69
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ ...﴾	36	199
﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ ... ﴾	41	13
﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَا ٱلتَّوۡرَىٰةَ فِيهَا هُدٗى وَنُورٞۚ يَحۡكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ ...﴾	44	60
﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ...﴾	48	188
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوۡلِيَآءَۘ بَعۡضُهُمۡ ...﴾	51	68
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ...﴾	82	104
﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ... ﴾	116	88، 91
الأنعام		
﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ...﴾	1	30
﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ...﴾	38	236
﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	45	33
﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾	50	167
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا جَرَحۡتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبۡعَثُكُمۡ ... ﴾	60	149
﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ قُلۡ ... ﴾	91	95
﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِي بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلۡقُرَىٰ ... ﴾	92	188

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَدۡ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنۡ أَبۡصَرَ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ عَمِيَ فَعَلَيۡهَاۚ ... ﴾	104	52
﴿وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلۡأٓيَٰتِ وَلِيَقُولُواْ دَرَسۡتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ ... ﴾	105	11
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا فِي كُلِّ قَرۡيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجۡرِمِيهَا لِيَمۡكُرُواْ فِيهَاۖ وَمَا يَمۡكُرُونَ ... ﴾	123	72، 212
﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ ... ﴾	153	37
﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ يَأۡتِيَ رَبُّكَ أَوۡ يَأۡتِيَ بَعۡضُ ءَايَٰتِ ... ﴾	158	111
﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾	162	48، 158
﴿لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرۡتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾	163	48 ، 158
﴿وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ...﴾	164	163
﴿وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ ٱلۡأَرۡضِ...﴾	165	204
الأعراف		
﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ ... ﴾	27	137
﴿وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾	33	13
﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ... ﴾	36	198
﴿قَالَ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ وَلَٰكِن لَّا تَعۡلَمُونَ﴾	38	65
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاوَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ... ﴾	40	61
﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ...﴾	59	51
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ...﴾	65	51
﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمۡ صَٰلِحٗاۚ...﴾	73	51

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿فَوَقَعَ ٱلۡحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾	118	104
﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ ... ﴾	131	244
﴿وَقَالُواْ مَهۡمَا تَأۡتِنَا بِهِۦ مِنۡ ءَايَةٖ لِّتَسۡحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحۡنُ ... ﴾	132	111
﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا... ﴾	158	50
﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾	176	243
﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ﴾	191	154
الأنفال		
﴿وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ ... ﴾	30	212
التوبة		
﴿فَلَا تُعۡجِبۡكَ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُمۡۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي ...﴾	55	72
﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ سِرَّهُمۡ وَنَجۡوَىٰهُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾	78	206
يونس		
﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ...﴾	10	122
﴿قُلِ ٱللَّهُ أَسۡرَعُ مَكۡرًاۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكۡتُبُونَ مَا تَمۡكُرُونَ﴾	21	214
﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمۡ عَمَلُكُمۡۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ ...﴾	41	38
﴿فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَمَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ ...﴾	72	103
﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ ...﴾	90	108، 110
﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَۖ وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ ...﴾	107	114، 124،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
		245
هود		
﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا...﴾	6	114
﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِۚ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ...﴾	24	167
﴿فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا ...﴾	27	73
﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ...﴾	29	102
﴿يَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًاۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱلَّذِى فَطَرَنِىٓۚ أَفَلَاتَعْقِلُونَ﴾	51	102
﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾	88	245
﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾	102	219
﴿وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾	104	54
﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦۚ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ﴾	105	54
﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ...﴾	116	74
﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِى ...﴾	120	136
﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾	123	245
يوسف		
﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	2	14
﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ ...﴾	70	164
﴿قَالُواْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓۖ إِنَّا نَرَىٰكَ ...﴾	78	164

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ﴾	79	164
﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ ...﴾	111	243
الرعد		
﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ ...﴾	4	177، 179
﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ ...﴾	14	155
﴿كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ...﴾	17	103
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ...﴾	31	55
إبراهيم		
﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن ... ﴾	4	169
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾	7	ج، 87، 130
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾	28	68
﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ... ﴾	34	129
الحجر		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾	9	188
النحل		
﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾	1	227
﴿وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ...﴾	9	18
﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	18	129

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾	25	161
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ ...﴾	36	172
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن ...﴾	61	215
﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَـٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن ...﴾	93	169
﴿مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً ...﴾	97	173
﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ ...﴾	125	37
الإسراء		
﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾	15	174 ، 163
﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ... ﴾	16	74 ،72
﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا﴾	30	39
﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ ۚ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ... ﴾	59	96
﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾	81	104 ،100
﴿وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴾	90	96
الكهف		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَـٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾	1	30
﴿فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُواْ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾	6	131
﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ... ﴾	21	151
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا... ﴾	30	195

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصفحة	رقمها	طرف الآية
85	46	﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ...﴾
135	50	﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِآدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ ...﴾
		مريم
152	82-81	﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا * كَلَّاۚ سَيَكْفُرُونَ ... ﴾
164	93	﴿إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴾
173	97	﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾
		طه
131	3- 1	﴿طه * مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ * إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ﴾
12	27	﴿وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي﴾
197	74	﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾
206	98	﴿إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾
173	124	﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾
		الأنبياء
100	18	﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ ...﴾
44	47	﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ ...﴾
236	105	﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ ٱلصَّٰلِحُونَ﴾
50	107	﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾
		الحج

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ...﴾	5	149، 150
﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡ...﴾	23	195
﴿أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ أَوۡ ءَاذَانٞ ...﴾	46	167، 217
﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ أَمۡلَيۡتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٞ ثُمَّ أَخَذۡتُهَا وَإِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾	48	219
﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ ...﴾	65	206
﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ...﴾	70	236
المؤمنون		
﴿أَيَحۡسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٖ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمۡ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ ...﴾	55	72
﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ * لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ ...﴾	64	74
﴿وَلَوۡ رَحِمۡنَٰهُمۡ وَكَشَفۡنَا مَا بِهِم مِّن ضُرّٖ لَّلَجُّواْ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾	75	110
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾	101	43
الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	1	51
﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا﴾	57	102
﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا﴾	75	83
الشعراء		
﴿فَأَنجَيۡنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾	119	65
النمل		

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿قَالُواْ ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾	47	244
﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾	80	234
القصص		
﴿وَجَآءَ رَجُلٞ مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلۡمَلَأَ يَأۡتَمِرُونَ ... ﴾	20	247
﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	40	65
﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ ...﴾	56	169
﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴾	74	208
العنكبوت		
﴿وَلَيَحۡمِلُنَّ أَثۡقَالَهُمۡ وَأَثۡقَالٗا مَّعَ أَثۡقَالِهِمۡۖ وَلَيُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَمَّا ... ﴾	13	66
﴿فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ ... ﴾	40	218
﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ ... ﴾	51	233
الروم		
﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ...﴾	22	177، 178
﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ ...﴾	42	217
السجدة		
﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا ...﴾	12	108، 198
﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ﴾	17	194
الأحزاب		
﴿وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعۡنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا ﴾	67	67

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَـٰتِ ... ﴾	73	32
سبأ		
﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ...﴾	1	30، 32، 33
﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾	2	33
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَـٰلِمِ ...﴾	3	34، 207
﴿لِّيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾	4	34
﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ ...﴾	6	29
﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾	13	130، 191
﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ...﴾	15	29
﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ... ﴾	24	36،38
﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾	25	36، 65
﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ ﴾	26	41، 48
﴿قُلْ أَرُونِيَ الَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِ شُرَكَاء كَلاَّ بَلْ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾	27	45، 48
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ... ﴾	28	50، 67، 174، 233
﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	29	52
﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لاَّ تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلاَ تَسْتَقْدِمُونَ ﴾	30	52،55
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ ... ﴾	31	58، 64
﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ ... ﴾	32	63،63، 67

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ ... ﴾	33	65،63،63
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴾	34	73،71
﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾	35	75،71
﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء وَيَقْدِرُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ ... ﴾	36	81 ،77،76
﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ ... ﴾	37	79
﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُوْلَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴾	38	79
﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاء مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن ... ﴾	39	79
﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلائِكَةِ أَهَؤُلاء إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُون ﴾	40	91 ،88
﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُم ... ﴾	41	88
﴿فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ... ﴾	42	88
﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلاَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ ... ﴾	43	101 ،93
﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾	44	93
﴿وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ... ﴾	45	95،93
﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ ... ﴾	46	97
﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَى ... ﴾	47	102،97
﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ ﴾	48	97
قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾	49	100 ،97
﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ ... ﴾	50	97

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾	51	34، 106
﴿وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾	52	33، 106،110
﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾	53	106
﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ ...﴾	54	34، 106
فاطر		
﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلائِكَةِ رُسُلا أُولِي ...﴾	1	30،113،120، 121
﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلا مُرْسِلَ ...﴾	2	113، 114، 123، 125
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ ...﴾	3	38، 129
﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الأُمُورُ﴾	4	126، 174
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا ...﴾	5	131،136، 137
﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ ...﴾	6	131، 137
﴿الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ...﴾	7	114، 131
﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ ...﴾	8	130، 131
﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ ...﴾	9	140، 149
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ ...﴾	10	140، 151
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ ...﴾	11	140، 153
﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ...﴾	12	117، 140

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ... ﴾	13	91، 117، 140
﴿إِن تَدْعُوهُمْ لا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ ... ﴾	14	140
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾	15	157، 158
﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾	16	114 ، 157
﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾	17	157
﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ ... ﴾	18	65، 160 ، 163
﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ﴾	19	114، 165
﴿وَلا الظُّلُمَاتُ وَلا النُّورُ﴾	20	114 ، 165
﴿وَلا الظِّلُّ وَلا الْحَرُورُ﴾	21	165
﴿وَمَا يَسْتَوِي الأَحْيَاء وَلا الأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ ... ﴾	22	114،165، 168
﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾	23	165
﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلاَّ خَلا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	24	170، 173
﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ ... ﴾	25	118، 170، 174
﴿ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾	26	118، 170
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا ... ﴾	27	175
﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ ... ﴾	28	159، 175

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ... ﴾	29	184
﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾	30	184
﴿وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ... ﴾	31	184، 188
﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ ... ﴾	32	114، 117، 189
﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ... ﴾	33	117، 189
﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾	34	189
﴿الَّذِى أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلا يَمَسُّنَا ... ﴾	35	189
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ ... ﴾	36	117
﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِى كُنَّا ... ﴾	37	116، 196
﴿إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾	38	203
﴿هُوَ الَّذِى جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِى الأَرْضِ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَلا ... ﴾	39	203
﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا ... ﴾	40	203
﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا ... ﴾	41	114، 203
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَى مِنْ ... ﴾	42	116، 118، 210
﴿اسْتِكْبَارًا فِى الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ ... ﴾	43	114، 118، 210
﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ... ﴾	44	215

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ... ﴾	45	215
يس		
﴿يس ﴾	1	220، 226
﴿وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ﴾	2	220، 233
﴿إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾	3	226، 233
﴿عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	4	117، 232
﴿تَنزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴾	5	226، 232
﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ﴾	6	117، 226
﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلَى أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ ﴾	7	226
﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلالاً فَهِيَ إِلَى الأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴾	8	226
﴿وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ ... ﴾	9	226
﴿وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ ﴾	10	226
﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَن بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ ... ﴾	11	226
﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ ... ﴾	12	221، 237، 236
﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾	13	239، 243
﴿إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾	14	239
﴿قَالُوا مَا أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَا أَنزَلَ الرَّحْمَن مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ تَكْذِبُونَ﴾	15	239
﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴾	16	239

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَمَا عَلَيْنَا إِلاَّ الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾	17	239
﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا ...﴾	18	239، 244
﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾	19	244
﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾	20	246
﴿اتَّبِعُوا مَن لاَّ يَسْأَلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	21	246
﴿وَمَا لِي لاَ أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾	22	246
﴿أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَن بِضُرٍّ لاَّ تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ ...﴾	23	246
﴿إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ﴾	24	246
﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾	25	246
﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾	26	246، 250
﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾	27	246، 250
﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ﴾	31	223
﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾	38	117
﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾	39	117
﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ﴾	41	117
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ...﴾	47	221
﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ﴾	55	117
﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ...﴾	64-63	117

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾	78	224، 149
الصافات		
﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ * فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾	147	111
ص		
﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾	2	151
﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ... ﴾	29	1، 20
الزمر		
﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ ...﴾	9	181
﴿ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ...﴾	15	199
﴿لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ...﴾	20	83
﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ...﴾	21	180
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ ...﴾	38	163
غافر		
﴿وَأَنذِرۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡأٓزِفَةِ إِذِ ٱلۡقُلُوبُ لَدَى ٱلۡحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ ... ﴾	18	43
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ يُخَفِّفۡ عَنَّا يَوۡمٗا مِّنَ ...﴾	49	199
﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾	51	137
﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡأَعۡمَىٰ وَٱلۡبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ...﴾	58	167
﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ...﴾	84	109
فصلت		
﴿فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ ...﴾	39	146

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
الشورى		
﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا ...﴾	18	54
﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ﴾	19	39
﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾	28	122
﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	53	169
الزخرف		
﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ ...﴾	20	209
﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ...﴾	32	78
﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾	74	198
الأحقاف		
﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ...﴾	4	47، 208
﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ...﴾	5	154
محمد		
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْحَقَّ ...﴾	3	103
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾	24	1
ق		
﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾	37	243
الذاريات		
﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	56	48

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

طرف الآية	رقمها	الصفحة
النجم		
﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ	9	18
﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾	38	163
المجادلة		
﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ...﴾	22	69
الصف		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ ...﴾	13-10	186
المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	8	144
الطلاق		
﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾	7	114
الملك		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ ...﴾	2	103
الحاقة		
﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾	17	83
المعارج		
﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴾	11	199
نوح		
﴿إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	4	54
الجن		

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الصفحة	رقمها	طرف الآية
206	28	﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ ....﴾
		الإنسان
195	21	﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ ...﴾
		عبس
162	37-34	﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ * وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ﴾
		الطارق
159	10-5	﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ...﴾
		الأعلى
138	17-16	﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا * وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ﴾
		الليل
237	6-5	﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ * وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾
		البينة
13	5	﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾
		المسد
100، 234	2-1	﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانيًا: فهرس أطراف الأحاديث النبوية

م	طرف الحديث	الصفحة
1	أُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِثَوْبٍ مِنْ حَرِيرٍ فَجَعَلُوا	195
2	أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَنْكِبِي، فَقَالَ: كُنْ فِي الدُّنْيَا	138
3	أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ	194
4	أَعْذَرَ اللَّهُ إِلَى امْرِئٍ أَخَّرَ أَجَلَهُ، حَتَّى بَلَّغَهُ سِتِّينَ سَنَةً	198
5	أُعْطِيتُ خَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ قَبْلِي	51
6	أَعْمَارُ أُمَّتِي مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى السَّبْعِينَ	200
7	اقْرَءُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ يَاتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ	187
8	أَمَّا أَهْلُ النَّارِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، فَلَا يَمُوتُونَ فِيهَا، وَلَا يَحْيَوْنَ	197
9	أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ	181
10	إِنَّ الله ﷻ خَلَقَ آدَمَ مِنْ قَبْضَةٍ قَبَضَهَا مِنْ جَمِيعِ الأَرْضِ	178
11	إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ	75
12	إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ	219
13	إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ	111
14	أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ	208
15	أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ، قَالَ: مَنْ طَالَ	201
16	أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ	121
17	إِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ، وَلاَ غَائِبًا إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ	100
18	إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا	173
19	آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ	195
20	أَيْ عَمِّ قُلْ: لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ	169
21	تَعَاهَدُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ	12
22	تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ	74

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	طرف الحديث	الصفحة
23	ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ	87
24	ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ – أَوْ قَالَ يُنْزِلُ اللهُ – مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أَوِ الظِّلُّ	150
25	دَخَلَ ﷺ مكة وَحَوْلَ الْبَيْتِ سِتُّونَ وَثَلَاثُ مِائَةِ نُصُبٍ	100
26	دَعُوا النَّاسَ يَرْزُقِ اللهُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ	78
27	سَأَلْتُ رَبِّي ثَلَاثًا، فَأَعْطَانِي ثِنْتَيْنِ وَمَنَعَنِي وَاحِدَةً	218
28	سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ عِنْدَ اللهِ؟	48
29	سَأَلَنِي نَافِعُ بْنُ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، فَقَالَ لِي: فِي كَمْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ فَقُلْتُ	23، 24
30	سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ	187
31	صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: يَا صَبَاحَاهْ	100
32	الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ	187
33	الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ	122
34	الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، ثَلَاثًا، وَمَا مِنَّا إِلَّا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ	244
35	فَإِذَا آتَاكَ اللَّهُ مَالًا فَلْيُرَ أَثَرُ نِعْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَكَرَامَتِهِ	75
36	فَوَاللَّهِ لاَ الفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا	137
37	فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ	103
38	كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ	66
39	كَتَبَ اللهُ مَقَادِيرَ الْخَلَائِقِ	237
40	كَلِمَتَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ، خَفِيفَتَانِ عَلَى	122
41	كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ	237
42	لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ	124
43	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ	136
44	لاَ عَدْوَى وَلاَ طِيَرَةَ، وَلاَ هَامَةَ وَلاَ صَفَرَ، وَفِرَّ مِنَ المَجْذُومِ كَمَا تَفِرُّ مِنَ الأَسَدِ	244
45	لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ الصَّالِحُ	245
46	لاَ يَزَالُ قَلْبُ الكَبِيرِ شَابًّا فِي اثْنَتَيْنِ: فِي حُبِّ الدُّنْيَا وَطُولِ الأَمَلِ	201

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

م	طرف الحديث	الصفحة
47	لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: 214]، صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ	233
48	اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا يَحُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ	182
49	اللهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ	14
50	لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ	77
51	لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، لَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ وَلَا بِالنَّصَارَى	69
52	مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ	85، 86
53	الْمِرَاءُ فِي الْقُرْآنِ كُفْرٌ	62
54	مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ	65
55	مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ	67
56	مَنْ رَدَّتْهُ الطِّيَرَةُ مِنْ حَاجَةٍ، فَقَدْ أَشْرَكَ	245
57	مَنْ قَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ قِبَلِ نَفْسِهِ	122
58	مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللَّهَ	ج
59	مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ، أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ	24
60	مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَنْعَمُ لَا يَبْأَسُ، لَا تَبْلَى ثِيَابُهُ وَلَا يَفْنَى شَبَابُهُ	195
61	نَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى حَصِيرٍ فَقَامَ وَقَدْ أَثَّرَ فِي	137
62	وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ	52
63	وَلَا أَحَدَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ	174
64	وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ	11
65	وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ	152
66	وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ	181
67	يَعْرَقُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ	43
68	يُقَالُ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الْجَنَّةِ خُلُودٌ لَا مَوْتَ	199

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثًا: فهرس الأعلام المترجم لهم

م	اسم العلم	الصفحة
1	العز بن عبد السلام	18
2	الشاطبي	19
3	ابن الـهاد	23
4	السخاوي	23
5	الزرقاني	25
6	عامر بن عبد قيس	113
7	أمامة الباهلي	187
8	ابن بطال	200

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعًا: فهرس المصادر والمراجع

1- إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، المؤلف: أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الغني الدمياطيّ، شهاب الدين الشهير بالبناء (المتوفى: 1117هـ)، تحقيق: أنس مهرة، الناشر: دار الكتب العلمية– لبنان، الطبعة: الثالثة، 1427هـ-2006م.

2- إتقان البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أ. د. فضل حسن عباس، دار النفائس للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1430هـ -2010م.

3- الإتقان في علوم القرآن، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة: 1394هـ-1974م.

4- أثر اختلاف الإعراب فى تفسير القرآن الكريم، دراسة تطبيقية من سورة العنكبوت إلى سورة غافر، إعداد الطالبة: إيمان محمد عامر، إشراف: د. عبد السلام حمدان اللوح، رسالة ماجستير، 1433هـ- 2012م.

5- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، المؤلف: القاضي محمد بن محمد العمادي (المتوفى: 982هـ)، خرج أحاديثه وعلق عليه: الشيخ محمد صبحي حسن حلاق، الناشر: دار الفكر، الطبعة: الأولى، 1421هـ- 2001م.

6- أساس البلاغة، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت– لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.

7- أسباب النزول، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، الناشر: دار الإصلاح– الدمام، الطبعة: الثانية، 1412هـ - 1992م.

8- الاستذكار، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ-2000م.

9- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، المؤلف: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: 463هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل– بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ - 1992م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

10- أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان، المؤلف: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو 505هـ)، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا، دار النشر: دار الفضيلة.

11- الإسلام يتحدى، المؤلف: وحيد الدين خان، ترجمة: ظفر الدين خان، مراجعة وتقديم: د. عبد الصبور شاهين، دار البحوث العلمية–بيروت– الكويت، الطبعة: الأولى، 1970م.

12- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى : 1393هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع –بيروت– لبنان، 1415هـ - 1995م.

13- إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1423هـ –2002م.

14- إعراب القرآن الكريم، المؤلف: أحمد عبيد الدعاس، أحمد محمد حميدان، إسماعيل محمود القاسم، الناشر: دار المنير ودار الفارابي– دمشق، الطبعة: الأولى، 1425هـ.

15- إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: 1403هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية–حمص– سورية، الطبعة: الرابعة، 1415هـ.

16- إعراب القرآن، المؤلف: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (المتوفى: 338هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، 1421هـ.

17- إعلام الموقعين عن رب العالمين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1991م.

18- الأعلام، المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: 1396هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، 2002 م.

19- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: مكتبة المعارف– الرياض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

20- أمهات مقاصد القرآن وطرق معرفتها ومقاصدها، تأليف: د. عز الدين بن سعيد كشنيط الجزائري، إشراف: د. عبد الستار حامد الدباغ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع-عمان- الأردن، الطبعة: الأولى، 2012م.

21- إنباه الرواة على أنباه النحاة، المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: 646هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ.

22- الانتصارات الإسلامية في كشف شبه النصرانية، المؤلف: سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري، أبو الربيع، نجم الدين (المتوفى: 716هـ)، تحقيق: سالم بن محمد القرني، الناشر: مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة: الأولى، 1419هـ.

23- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى 1418هـ.

24- أهداف كل سورة ومقاصدها فى القرآن الكريم، تأليف: د. عبد الله محمود شحاته، الناشر: الهيئة العامة المصرية للكتاب، 1976م.

25- أوضح التفاسير، المؤلف: محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (المتوفى: 1402هـ)، الناشر: المطبعة المصرية، الطبعة: السادسة، 1383هـ - 1964م.

26- إيجاز البيان عن معاني القرآن، المؤلف: محمود بن أبى الحسن بن الحسين النيسابوري أبو القاسم، نجم الدين (المتوفى: نحو 550هـ)، تحقيق: د. حنيف بن حسن القاسمي، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

27- أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، المؤلف: جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، الناشر: مكتبة العلوم والحكم- المدينة المنورة، الطبعة: الخامسة، 1424هـ- 2003م.

28- أيسر التفاسير، المؤلف: د. أسعد محمود حومد، راجعه فضيلة الأستاذ الشيخ: محمد متولى الشعراوي، وأحمد حسن مسلم، (بدون ناشر)، الطبعة: الرابعة، 1419هـ- 2009م.

29- الإيمان باليوم الآخر، المؤلف: عَلي محمد محمد الصَّلاَّبي، الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، الطبعة: الأولى.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

30- الإيمان حقيقته، خوارمه، نواقضه عند أهل السنة والجماعة، المؤلف: عبد الله بن عبد الحميد الأثري، الناشر: مدار الوطن للنشر-الرياض، الطبعة: الأولى، 1424هـ-2003م.

31- بحر العلوم، المؤلف: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي (المتوفى: 373هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ على محمد معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع-بيروت-لبنان،1413هـ-1993م.

32- البحر المحيط في التفسير، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر – بيروت، 1420هـ.

33- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: 1224هـ)، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الناشر: د. حسن عباس زكي – القاهرة، 1419هـ.

34- البرهان في علوم القرآن، المؤلف: أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (المتوفى: 794هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، الطبعة: الأولى، 1376هـ - 1957م.

35- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة، 1416هـ - 1996م.

36- البيان في عدّ آي القرآن، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)، تحقيق: غانم قدوري الحمد، الناشر: مركز المخطوطات والتراث- الكويت، الطبعة: الأولى، 1414هـ- 1994م.

37- تاج العروس من جواهر القاموس، المؤلف: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

38- تاريخ قضاة الأندلس، المؤلف: أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسي، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، الناشر: دار الآفاق الجديدة – بيروت – لبنان، الطبعة: الخامسة، 1403هـ - 198م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

39- تأويلات أهل السنة، المؤلف: محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي (المتوفى: 333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2005م.

40- التبيان في آداب حملة القرآن، المؤلف: أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: 676هـ)، حققه وعلق عليه: محمد الحجار، الناشر: دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- لبنان، الطبعة: الثالثة، 1414هـ - 1994م.

41- التبيان في إعراب القرآن، المؤلف: أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (المتوفى : 616هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: عيسى البابي الحلبي وشركاه.

42- التبيان في تفسير غريب القرآن، المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد الهائم المصري، تحقيق: د. فتحي أنور الدابولي، الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1992م.

43- التجارة في القرآن الكريم، المؤلف: أبو الوفاء عبد المغني عبد العزيز عمر، (بدون ناشر)، 1427هـ-2006م.

44- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، المؤلف: محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: 1393هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر - تونس، 1984م.

45- تحزيب القرآن، المؤلف: د. عبد العزيز بن علي الحربي، الناشر: دار ابن حزم- بيروت- لبنان، الطبعة الأولى، 1431هـ - 2010م.

46- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، المؤلف: أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: 745هـ)، تحقيق: سمير المجذوب، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م.

47- تذكرة الحفاظ، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ- 1998م.

48- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي (المتوفى: 544هـ) ، تحقيق: سعيد أحمد أعراب الناشر: مطبعة فضالة المحمدية- المغرب، الطبعة: الأولى، 1983م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

49- التسهيل لعلوم التنزيل، المؤلف: الإمام العلامة المفسر أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزي الكلبي، الغرناطي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، الناشر: شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم- بيروت، الطبعة: الأولى، 1416هـ- 1996م.

50- تصديق القرآن للكتب السماوية وهيمنته عليها، المؤلف: إبراهيم عبد الحميد سلامة، الناشر: الجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة: الثانية عشر،1400هـ-1980م.

51- التفسير البسيط، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ): تحقيق: أصل تحقيقه في (15) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1430هـ.

52- التفسير الحديث، المؤلف: دروزة محمد عزت، الناشر: دار إحياء الكتب العربية- القاهرة، الطبعة: 1383هـ.

53- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، المؤلف: محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى: 1354هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990م.

54- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: 774هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية، 1420هـ - 1999م.

55- تفسير القرآن الكريم بالقراءات القرآنية العشر من خلال سور سبأ- فاطر- يس- الصافات- ص، إعداد الباحث: سامي خليل رضوان، إشراف: د. زكريا إبراهيم الزميلي، رسالة ماجستير، 1430هـ- 2009م.

56- تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: 489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، غنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن- الرياض- السعودية، الطبعة: الأولى، 1418هـ- 1997م.

57- التفسير القرآني للقرآن، المؤلف: عبد الكريم يونس الخطيب (المتوفى: بعد 1390هـ)، الناشر: دار الفكر العربي- القاهرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

58- تفسير المراغي، المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، 1365هـ-1946م.

59- التفسير المظهري، المؤلف: محمد ثناء الله المظهري، تحقيق: غلام نبي التونسي، الناشر: مكتبة الرشدية- الباكستان، الطبعة: 1412هـ.

60- التفسير المنهجي، المؤلف: أ. د. فضل عباس، أ. د. أحمد نوفل، أ. د. صلاح الخالدي، أ. د. أحمد شكري، أ. د. جمال أبو حسانن الناشر: دار المناهل، الطبعة الأولى، 2005م.

61- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، المؤلف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر المعاصر - دمشق، الطبعة: الثانية، 1418هـ.

62- التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، المؤلف: إعداد نخبة من علماء التفسير وعلوم القرآن، بإشراف: أ، د مصطفى مسلم 1431هـ-2010م.

63- التفسير الميسر، المؤلف: نخبة من أساتذة التفسير، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- السعودية، الطبعة: الثانية، 1430هـ - 2009م.

64- التفسير الواضح، المؤلف: محمد محمود الحجازي، الناشر: دار الجيل الجديد- بيروت، الطبعة: العاشرة، 1413هـ.

65- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، 1393هـ - 1973م.

66- التفسير الوسيط للقرآن الكريم، المؤلف: محمد سيد طنطاوي، الناشر: دار نهضة للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة- القاهرة، الطبعة: الأولى، 1998م.

67- التفسير الوسيط، المؤلف: د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، الناشر: دار الفكر- دمشق، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

68- تفسير جزء عم، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، إعداد وتخريج: فهد بن ناصر السليمان، الناشر: دار الثريا للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الثانية، 1423هـ - 2002م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

69- تفسير مقاتل بن سليمان، المؤلف: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي البلخى (المتوفى: 150هـ)، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، الناشر: دار إحياء التراث– بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ.

70- التفسير والمفسرون، المؤلف: د. محمد السيد حسين الذهبي (المتوفى: 1398هـ)، الناشر: مكتبة وهبة– القاهرة.

71- تهذيب اللغة، المؤلف: محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، 2001م.

72- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، المؤلف: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: 1376هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى 1420هـ –2000م.

73- الثقات، المؤلف: محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: 354هـ)، الناشر: دائرة المعارف العثمانية–الهند، الطبعة: الأولى، 1393 هـ - 1973م.

74- جامع الأصول في أحاديث الرسول، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير (المتوفى : 606هـ)، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: مكتبة الحلواني، 1389هـ–1969م.

75- جامع البيان في تأويل القرآن، المؤلف: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 2000م.

76- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه (صحيح البخاري)، المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

77- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية– القاهرة، الطبعة: الثانية، 1384هـ - 1964م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

78- الجدول في إعراب القرآن الكريم، المؤلف: محمود بن عبد الرحيم صافي (المتوفى: 1376هـ)، الناشر: دار الرشيد، دمشق- مؤسسة الإيمان- بيروت، الطبعة: الرابعة، 1418هـ.

79- جمال القراء وكمال الإقراء، المؤلف: علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني المصري الشافعي، أبو الحسن، علم الدين السخاوي (المتوفى: 643هـ)، تحقيق: د. مروان العطيَّة، د. محسن خرابة، الناشر: دار المأمون للتراث- دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى 1418هـ - 1997م.

80- الجنة والنار، المؤلف: عمر بن سليمان بن عبد الله الأشقر العتيبي، الناشر: دار النفائس للنشر والتوزيع- الأردن، الطبعة: السابعة، 1418هـ - 1998م.

81- الجواهر الحسان في تفسير القرآن، المؤلف: أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف الثعالبي (المتوفى: 875هـ)، تحقيق: الشيخ محمد علي معوض، الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1418هـ.

82- حجة القراءات، المؤلف: عبد الرحمن بن محمد، أبو زرعة ابن زنجلة (المتوفى: حوالي 403هـ)، حقق الكتاب ومعلق حواشيه: سعيد الأفغاني، الناشر: دار الرسالة.

83- الحجة في القراءات السبع، المؤلف: الحسين بن أحمد بن خالويه، أبو عبد الله (المتوفى: 370هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، الناشر: دار الشروق- بيروت، الطبعة: الرابعة، 1401هـ.

84- الحجة للقراء السبعة، المؤلف: الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسيّ الأصل، أبو علي (المتوفى: 377هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي، بشير جويجابي، راجعه ودققه: عبد العزيز رباح، أحمد يوسف الدقاق، الناشر: دار المأمون للتراث- دمشق- بيروت، الطبعة: الثانية، 1413هـ - 1993م.

85- حدائق الأزاهر في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر، المؤلف: محمد بن محمد بن محمد، أبو بكر ابن عاصم القيسي الغرناطي (المتوفى: 829هـ)، تحقيق: عبد اللطيف عبد الحليم، (بدون ناشر).

86- حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

87- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: 756هـ)، تحقيق: د. أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.

88- الدر المنثور، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، الناشر: دار الفكر – بيروت.

89- دراسات فى مناهج التفسير مركز نون للتأليف والترجمة، الناشر: جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، الطبعة: الأولى، 1433هـ- 2012م.

90- دلائل النبوة، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، الناشر: دار النفائس- بيروت، الطبعة: الثانية، 1406هـ - 1986م.

91- ديوان الإسلام، المؤلف: شمس الدين أبو المعالي محمد بن عبد الرحمن بن الغزي (المتوفى: 1167هـ)، تحقيق: سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1411هـ - 1990م.

92- ذيل طبقات الحنابلة، المؤلف: زين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن الحسن، السَلامي، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: 795هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، الناشر: مكتبة العبيكان- الرياض، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2005م.

93- الرزق فى القرآن، المؤلف: سليمان الصادق، الناشر: مكتبة الملك فهد-مكة المكرمة، 1424هـ.

94- روح البيان في تفسير القرآن، المؤلف: الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي الخلوتي (المتوفى: 1127هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1424هـ- 2003م.

95- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

96- زاد المسير في علم التفسير، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار الكتاب العربي– بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

97- زهر الأكم في الأمثال والحكم، المؤلف: الحسن بن مسعود بن محمد، أبو علي، نور الدين اليوسي (المتوفى: 1102هـ)، تحقيق: د. محمد حجي، د. محمد الأخضر، الناشر: دار الثقافة، الدار البيضاء– المغرب، الطبعة: الأولى، 1401هـ - 1981م.

98- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (المتوفى: 977هـ)، الناشر: مطبعة بولاق– القاهرة، 1285هـ.

99- السراج في بيان غريب القرآن، المؤلف: محمد بن عبد العزيز بن أحمد الخضيري، الناشر: مكتبة الملك فهد الوطنية– المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، 1429هـ- 2008م.

100- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، جـ 1- 4، 1415هـ - 1995م، جـ 6، 1416هـ - 1996م.

101- سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني (المتوفى: 273هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية.

102- سنن أبي داود، المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: 275هـ)، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا– بيروت.

103- سنن الترمذي، المؤلف: محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي– مصر، الطبعة: الثانية، 1395هـ - 1975م.

104- سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، 1405هـ - 1985م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

105- السيرة النبوية لابن هشام، المؤلف: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد جمال الدين، تحقيق: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ الشلبي، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الثانية، 1375هـ - 1955م.

106- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، المؤلف: محمد بن محمد بن عمر بن علي ابن سالم مخلوف (المتوفى: 1360هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، الناشر: دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة: الأولى، 1424هـ - 2003م.

107- شرح السنة، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: 516هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي- دمشق- بيروت، الطبعة: الثانية، 1403هـ - 1983م.

108- شرح رياض الصالحين، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار الوطن للنشر- الرياض، 1426هـ.

109- شرح مسلم (صحيح مسلم بشرح النووي)، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت- لبنان، 1407هـ -1987م.

110- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، المؤلف: القاضي عياض بن موس اليحصيي السبتي المغربي، الناشر: دار الفكر، 1423هـ- 2002م.

111- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، الناشر: دار المعرفة- بيروت- لبنان، الطبعة: 1398هـ- 1978م.

112- شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، المؤلف: نشوان بن سعيد الحميرى اليمني (المتوفى: 573هـ)، تحقيق: د. حسين بن عبد الله العمري، د. مطهر بن علي الإرياني، د. يوسف محمد عبد الله، الناشر: دار الفكر المعاصر- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1420هـ - 1999م.

113- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: 393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة 1407هـ - 1987م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

114- صحيح الجامع الصغير وزياداته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1389هـ - 1969م.

115- صحيح سنن أبى داود، للإمام الحافظ سلمان بن الأشعث السجستاني، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998م.

116- صفوة التفاسير، المؤلف: محمد علي الصابوني، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع– القاهرة، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م.

117- صيد الخاطر، المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: 597هـ)، الناشر: دار القلم– دمشق، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.

118- الطبقات الكبرى، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء، البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: 230هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت، الطبعة: الأولى، 1410هـ - 1990م.

119- طبقات المفسرين، المؤلف: محمد بن علي بن أحمد، شمس الدين الداوودي المالكي (المتوفى: 945هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت.

120- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المؤلف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه (المتوفى: 745هـ)، الناشر: المكتبة العنصرية– بيروت، الطبعة: الأولى، 1423هـ.

121- طلائع البشر في توجيه القراءات العشر، فضيلة الشيخ محمد الصادق قمحاوى، دار العقيدة، الطبعة: الأولى 1427هـ - 2006م.

122- العزة في القرآن دارسة موضوعية، إعداد الطالب: وائل بن محمد بن علي جابر، إشراف: الشيخ الدكتور سليمان الصادق البيرة، 1430هـ- 2009م.

123- عقيدة التوحيد في القرآن الكريم، المؤلف: محمد أحمد محمد عبد القادر خليل ملكاوي، الناشر: مكتبة دار الزمان، الطبعة: الأولى، 1405هـ- 1985م.

124- عقيدة المسلم في ضوء الكتاب والسنة، المؤلف: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الناشر: مطبعة سفير–الرياض.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

125- علم مقاصد السور، إعداد: د. محمد بن عبد الله الربيعة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى، 1423هـ -2011م.

علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)، المؤلف: د. محمد أحمد قاسم، د. محيي الدين ديب، الناشر: المؤسسة الحديثة للكتاب- طرابلس- لبنان، الطبعة: الأولى، 2003م.

126- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين العينى (المتوفى: 855هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت.

127- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، المؤلف: محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1405هـ.

128- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (المتوفى: 850هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميه - بيروت، الطبعة: الأولى 1416هـ - 1996م.

129- غريب الحديث، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان، الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، الطبعة: الأولى، 1384هـ - 1964م.

130- غريب القرآن، المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (المتوفى: 276هـ)، تحقيق: أحمد صقر، الناشر: دار الكتب العلمية، 1398هـ- 1978م.

131- الفائق في غريب الحديث والأثر، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار المعرفة- لبنان، الطبعة: الثانية.

132- فتح الباري شرح صحيح البخاري، المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار المعرفة- بيروت، 1379هـ.

133- فتحُ البيان في مقاصد القرآن، المؤلف: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: 1307هـ)، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر- صَيدَا - بَيروت، 1412هـ - 1992م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

134- فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن، المؤلف: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري، زين الدين أبو يحيى السنيكي (المتوفى: 926هـ) ، تحقيق: محمد علي الصابوني، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1403هـ - 1983م.

135- فتح القدير، المؤلف: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ)، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب- دمشق-بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ.

136- فضائل القرآن للقاسم بن سلام، المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: 224هـ)، تحقيق: مروان العطية، ومحسن خرابة، ووفاء تقي الدين، الناشر: دار ابن كثير -دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1995م.

137- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، المؤلف: محمد عَبْد الحَيّ بن عبد الكبير ابن محمد الحسني الإدريسي، المعروف بعبد الحي الكتاني (المتوفى: 1382هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثانية، 1982م.

138- في ظلال القرآن، المؤلف: سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: 1385هـ)، الناشر: دار الشروق- بيروت- القاهرة، الطبعة: السابعة عشر،1412هـ.

139- القاموس الفقهي لغةً واصطلاحًا، المؤلف: د. سعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر- دمشق- سورية، الطبعة: الثانية 1408هـ - 1988م.

140- القاموس المحيط، المؤلف: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، الطبعة: الثامنة، 1426هـ- 2005م.

141- القضاء والقدر، المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)، تحقيق: محمد بن عبد الله آل عامر، الناشر: مكتبة العبيكان- الرياض- السعودية، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2000م.

142- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، المؤلف: أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسلطان العلماء (المتوفى: 660هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية- القاهرة، 1414هـ - 1991م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

143- قواعد التدبر الأمثل لكتاب الله تعالى، المؤلف: عبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم- دمشق، الطبعة: الرابعة، 1430هـ- 2009م.

144- القول المفيد على كتاب التوحيد، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: 1421هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي- المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، 1424هـ.

145- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، المؤلف: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1407هـ.

146- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها توجيهها، المؤلف: أبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: د. محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة 1404هـ - 1984م.

147- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، المؤلف: أبو البقاء، أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، (المتوفى: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة- بيروت، 1419هـ-1998م.

148- اللباب في علوم الكتاب، المؤلف: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1419هـ -1998م.

149- لسان العرب، المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: 711هـ)، الناشر: دار صادر- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1414هـ.

150- لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، المؤلف: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري (المتوفى: 465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب- مصر، الطبعة: الثالثة.

151- لمسات بيانية، المؤلف: فاضل بن صالح بن مهدي بن خليل البدري السامرائي، الناشر: دار عمان للنشر والتوزيع-عمان الأردن، الطبعة الثالثة، 1423هـ-2003م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

152- مباحث في علوم القرآن، المؤلف: مناع بن خليل القطان (المتوفى: 1420هـ)، الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الثالثة، 1421هـ - 2000م.

153- مجلة البيان، (الافتقار إلى الله لب العبودية)، (238 عددا)، تصدر عن المنتدى الإسلامي.

154- مجلة الجامعة الإسلامية، (ضوابط الحوار مع الآخر)، د. سعد عبد الله عاشور، يناير 2008م.

155- مجلة الجامعة، د. محمد النجار، 2005م.

156- مجلة الدراسات الاجتماعية، (الحوار مع المشركين وأهل الكتاب)، د. فائزة أحمد سالم بافرج ، عدد30 يناير-يونيو 2010م.

157- مجموع الفتاوى، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة النبوية، 1416هـ- 1995م.

158- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى، 1422هـ.

159- المحيط في اللغة، المؤلف: كافي الكفاة الصاحب إسماعيل بن عبّاد، تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين، عالم الكتب-بيروت، الطبعة الأولى، 1414هـ- 1994م.

160- مختار الصحاح، المؤلف: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: 666هـ)، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، الناشر: المكتبة العصرية- بيروت- صيدا، الطبعة: الخامسة، 1420هـ - 1999م.

161- مختصر معارج القبول، المؤلف: أبو عاصم هشام بن عبد القادر بن محمد آل عقدة، الناشر : مكتبة الكوثر – الرياض، الطبعة: الخامسة، 1418هـ.

162- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: 751هـ)، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، 1416هـ -1996م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

163- مدارك التنزيل وحقائق التأويل، المؤلف: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (المتوفى: 710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي، الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت، الطبعة: الأولى، 1419هـ - 1998 م.

164- مسند الإمام أحمد بن حنبل، المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1421هـ - 2001م.

165- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ، المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت

166- مشكاة المصابيح، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين التبريزي (المتوفى: 741هـ)، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1985م.

167- مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور ويسمى: (المقصد الأسمى في مطابقة اسم كل سورة للمسمى)، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، الناشر: مكتبة المعارف- الرياض، الطبعة: الأولى 1408هـ- 1987م.

168- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المؤلف: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو 770هـ)، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت.

169- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، المؤلف: محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى : 510هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1420هـ.

170- معاني القرآن وإعرابه، المؤلف: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج (المتوفى: 311هـ)، الناشر: عالم الكتب- بيروت، الطبعة الأولى، 1408هـ - 1988م.

171- معجم الأدباء (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: 626هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الأولى، 1414هـ - 1993م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

172- معجم الفروق اللغوية، المؤلف: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو 395هـ)، تحقيق: الشيخ بيت الله بيات، ومؤسسة النشر الإسلامي، الناشر: مؤسسة النشر الإسلامي، الطبعة: الأولى، 1412هـ.

173- المعجم الكبير، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ)، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، الناشر: مكتبة ابن تيمية- القاهرة، الطبعة: الثانية.

174- معجم اللغة العربية المعاصرة، المؤلف: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: 1424هـ) بمساعدة فريق عمل، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، 1429هـ- 2008م.

175- معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر، المؤلف: عادل نويهض، الناشر: مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر -بيروت- لبنان، الطبعة: الثالثة، 1409هـ - 1988م.

176- معجم المؤلفين، المؤلف: عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشق (المتوفى: 1408هـ)، الناشر: مكتبة المثنى- بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت، 1959م.

177- المعجم الوسيط، المؤلف: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة.

178- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، 1399هـ- 1979م.

179- مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت، الطبعة: الثالثة، 1420هـ.

180- المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى: 502هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية- دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، 1412هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

181- المقاصد العامة للشريعة، المؤلف: يوسف حامد العلم، الناشر: المعهد العالمي للفكر الإسلامي- الرياض، الطبعة: الثانية، 1514هـ- 1994م.

182- مقاصد القرآن من تشريع الأحكام، المؤلف: د. عبد الكريم حامدي، الناشر: دار ابن حزم، 1430هـ -2009م.

183- المكتفى في الوقف والابتدا، المؤلف: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (المتوفى: 444هـ)، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، الناشر: دار عمار، الطبعة: الأولى 1422هـ - 2001م.

184- منادمة الأطلال ومسامرة الخيال، المؤلف: عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (المتوفى: 1346هـ)، تحقيق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي- بيروت، الطبعة: الثانية، 1985م.

185- المناهج التفسيرية، المؤلف: العلامة المحقق جعفر السبحانى الناشر: مؤسسة الإمام الصادق عليه السلام، 1409هـ.

186- مناهل العرفان في علوم القرآن، المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: 1367هـ)، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة: الثالثة.

187- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: 728هـ)، تحقيق: محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، 1406هـ - 1986م.

188- منهج القرآن الكريم في دعوة المشركين إلى الإسلام، المؤلف: د. حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي، الناشر: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية- المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، 1424هـ- 2004م.

189- الموافقات، المؤلف: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: 790هـ)، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، الطبعة: الأولى 1417هـ- 1997م.

190- موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المؤلف: محمد راتب النابلسي، الناشر: دار المكتبي- سورية- دمشق، الطبعة: الثانية 1426هـ - 2005م.

191- موسوعة الرد على المذاهب الفكرية المعاصرة، جمع وإعداد : علي بن نايف الشحود.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

192- الموسوعة العقدية، المؤلف: مجموعة من الباحثين بإشراف الشيخ عَلوي بن عبد القادر السقاف، الناشر: موقع الدرر السنية على الإنترنت، 1433هـ.

193- الموسوعة القرآنية، المؤلف: إبراهيم بن إسماعيل الأبياري (المتوفى: 1414هـ)، الناشر: مؤسسة سجل العرب، الطبعة: 1405هـ.

194- الموطأ، المؤلف: مالك بن أنس، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، الناشر: مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان- أبو ظبي- الإمارات، الطبعة: الأولى، 1425هـ - 2004م.

195- النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، المؤلف: محمد بن عبد الله دراز (المتوفى: 1377هـ)، اعتنى به: أحمد مصطفى فضلية، الناشر: دار القلم للنشر والتوزيع، 1426هـ- 2005م.

196- النشر في القراءات العشر، المؤلف: شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف (المتوفى: 833 هـ)، تحقيق: علي محمد الضباع، الناشر: المطبعة التجارية الكبرى.

197- نظرة القرآن الكريم إلى الترف والمترفين، للباحثة: مريم صالح، إشراف: د. مسعد النبراوي، رسالة ماجستير، 1987م.

198- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، المؤلف: إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ)، الناشر: دار الكتاب الإسلامي- القاهرة.

199- النكت والعيون، المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: 450هـ)، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت - لبنان.

200- النهاية في غريب الحديث والأثر، المؤلف: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: 606هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، محمود محمد الطناحي، الناشر: المكتبة العلمية- بيروت، 1399هـ - 1979م.

201- الهادي شرح طيبة النشر في القراءات العشر، المؤلف: محمد محمد محمد سالم محيسن (المتوفى: 1422هـ)، الناشر: دار الجيل- بيروت، الطبعة: الأولى، 1417هـ - 1997م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

202- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه، المؤلف: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: 437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة- جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، 1429 هـ - 2008 م.

203- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، المؤلف: إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: 1399هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي- بيروت- لبنان، 1951هـ.

204- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: 911هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوين الناشر: المكتبة التوفيقية- مصر.

205- الوافي بالوفيات، المؤلف: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط، وتركي مصطفى، الناشر: دار إحياء التراث- بيروت، 1420هـ- 2000م.

206- الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، الناشر: دار القلم الدار الشامية- دمشق- بيروت، الطبعة: الأولى، 1415هـ.

207- الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: 468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، وآخرون، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، 1415هـ - 1994م.

208- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المؤلف: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان البرمكي الإربلي (المتوفى: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، الناشر: دار صادر- بيروت، 1900م.

209- يا صاحب الستين، المؤلف: علي بن سعيد بن دعجم، الناشر: دار القاسم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامسًا: فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
بسملة	أ
إهداء	ب
شكر وتقدير	ج
المقدمة	
أولًا: أهمية الموضوع وأسباب اختياره.	1
ثانيًا: أهداف الدراسة.	2
ثالثًا: الدراسات السابقة.	2
رابعًا: منهجية البحث.	2
خامسًا: خطة البحث.	3
التمـهيد **التعريف بالدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب**	
المبحث الأول: التعريف بالدراسة التحليلية، ومتطلباتها	10
المطلب الأول: المقصود بالدراسة التحليلية.	11
المطلب الثاني: متطلبات الدراسة التحليلية.	13
المبحث الثاني: تعريف المقاصد والأهداف، وبيان أهميتها	17
المطلب الأول: تعريف مقاصد وأهداف السور والآيات.	18
المطلب الثاني: أهمية معرفة مقاصد وأهداف السور.	20
المبحث الثالث: التعريف بتحزيب القرآن الكريم، ومشروعيته	22
المطلب الأول: تعريف تحزيب القرآن.	23
المطلب الثاني: مشروعية تحزيب القرآن الكريم.	24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة سبأ الآيات (24-54)**	
المبحث الأول: مدخل إلى سورة سبأ	**28**
المطلب الأول: اسم السورة، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها، وترتيبها.	**29**
المطلب الثاني: محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة.	**30**
المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها.	**32**
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (24- 27) الهدى والضلال	**35**
المطلب الأول: النّاس على طريقين هدى أو ضلال.	**36**
المطلب الثاني: الله ﷻ هو الذي يحكم ويفصل بين المحقّين والمبطلين.	**41**
المطلب الثالث: الرد على المشركين.	**45**
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (28-30) رسالة محمد ﷺ وعمومها	**49**
المطلب الأول: وظيفة الرسول ﷺ.	**50**
المطلب الثاني: الاستعجال بالوعد والوعيد دليل على الجهل بوظيفة الرسول ﷺ .	**52**
المبحث الرابع : المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (31-33) إنكار المشركين للقرآن، والحوار بين المستضعفين والمستكبرين فى الآخرة	**57**
المطلب الأول: إنكار المشركين للقرآن.	**58**
المطلب الثاني: حوار بين المستضعفين والمستكبرين في الآخرة.	**63**
المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (34-42) تسلية للنبي ﷺ، واغترار المترفين، والوعد والوعيد	**70**
المطلب الأول: تسلية للنبي ﷺ، واغترار المترفين.	**71**
المطلب الثاني: الأرزاق بيد الله ﷻ للامتحان والابتلاء.	**76**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: الإيمان والعمل الصالح قربة إلى الله تعالى.	79
المطلب الرابع: مصير الكفار يوم القيامة.	88
المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (43-50) عناد المشركين، والدعوة إلى التأمل والتفكر	**92**
المطلب الأول: عناد المشركين.	93
المطلب الثاني: الدعوة إلى التأمل والتفكر في الخلق.	97
المبحث السابع: المقاصد والأهداف لسورة سبأ الآيات (51 -54) تهديد الكفار، وإيمانهم حين معاينة العذاب	**105**
الفصل الثاني **الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة فاطر**	
المبحث الأول: مدخل إلى سورة فاطر	**112**
المطلب الأول: اسم السورة، وفضائلها، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها، وترتيبها.	113
المطلب الثاني: محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة.	115
المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها.	116
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (1-8) بعض أدلة القدرة الإلهية، وبيان رحمته ترغيبًا وترهيبًا	**119**
المطلب الأول: قدرة الله تعالى.	120
المطلب الثاني: رحمة الله ﷻ بالخلق.	123
المطلب الثالث: النداء الأول تذكير وتسلية.	126
المطلب الرابع: النداء الثاني أسباب الغرور.	131
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (9-14) آيات الله ﷻ في الكون الدالة على قدرته	**139**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
المبحث الرابع: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (15-28)غني الله ﷻ عن خلقه وعدله فيهم	**156**
المطلب الأول: النداء الثالث افتقار العباد إلى الله ﷻ.	**157**
المطلب الثاني: المسئولية الفردية فلا يحمل أحد وزر أحد.	**160**
المطلب الثالث: لا تتساوى الأضداد المؤمن والكافر.	**165**
المطلب الرابع: تسلية النبي ﷺ، وبيان وظيفته.	**170**
المطلب الخامس: العلم يدعو إلى الإيمان.	**175**
المبحث الخامس: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (29-37) فضل تلاوة القرآن، وإقامة الصلاة، والإنفاق، وجزاء المؤمنين والكافرين	**183**
المطلب الأول: فضل تلاوة القرآن وإقامة الصلاة والإنفاق.	**184**
المطلب الثاني: حال السعداء من ورثة كتاب الله ﷻ.	**189**
المطلب الثالث: جزاء الكافرين بالعذاب.	**196**
المبحث السادس: المقاصد والأهداف لسورة فاطر الآيات (38-45): دلائل الإيمان، وأسباب الصدود	**202**
المطلب الأول: من دلائل العظمة وشواهد القدرة.	**203**
المطلب الثاني: من أسباب الصدود.	**210**
المطلب الثالث: النظر إلى آيات الله ﷻ الكونية.	**215**
الفصل الثالث الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف سورة يس الآيات (1-27)	
المبحث الأول: مدخل إلى سورة يس	**219**
المطلب الأول: اسم السورة، وفضائلها، ومكان وزمان نزولها، وعدد آياتها، وترتيبها.	**220**
المطلب الثاني: محور السورة، وأهداف ومقاصد السورة.	**222**

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الموضوع	الصفحة
المطلب الثالث: مناسبة السورة لما قبلها، وما بعدها، وبداية السورة مع نهايتها.	223
المبحث الثاني: المقاصد والأهداف لسورة يس الآيات (1-12) وظيفة الرسول ﷺ، والبعث	225
المطلب الأول:، وظيفة الرسول ﷺ وحاله مع قومه.	226
المطلب الثاني: إحصاء الأعمال، والبعث.	235
المبحث الثالث: المقاصد والأهداف لسورة يس الآيات (13-27) الجهر بالدعوة إلى الحق وقصة أصحاب القرية	238
المطلب الأول: قصة أصحاب القرية.	239
المطلب الثاني: وجوب الجهر بالدعوة إلى الحق.	246
المطلب الثالث: بشارة المؤمن عند الموت.	250
الخاتمة	
أولاً: النتائج.	252
ثانياً: التوصيات.	253
الفهارس	
فهرس الآيات القرآنية.	255
فهرس أطراف الأحاديث النبوية.	277
فهرس الأعلام المترجم لهم.	280
فهرس المصادر والمراجع.	281
فهرس المحتويات.	303
ملخص الدراسة باللغة العربية.	308
Abstract	309

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ملخص الرسالة

لقد تضمنت هذه الرسالة الدراسة التحليلية لمقاصد وأهداف الحزب الرابع والأربعين من القرآن الكريم (من الآية 24 من سورة سبأ إلى الآية 27 من سورة يس)، واشتملت هذه الدراسة على مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، ومجموعة فهارس على النحو الآتي:

المقدمة: فقد اشتملت على أهمية الموضوع وأسباب اختياره، وأهدافه، والدراسات السابقة، ومنهجية البحث.

التمهيد: وقد اشتمل على التعريف بالدراسة التحليلية، ومتطلباتها، وتعريف المقاصد والأهداف، وبيان أهميتها، وتعريف تحزيب القرآن الكريم، ومشروعيته.

ثم تناولت الباحثة في الفصول الثلاثة المقاصد والأهداف في الحزب الرابع والأربعين من القرآن الكريم، جاعلة لكل فصل من الفصول الثلاثة مبحثًا كمدخل إلى السورة، مقسمة الفصل لعدة مباحث، ثم تناولت كل مطلب على حدة، كل مطلب منها يحمل هدفًا أو مقصدًا أو أكثر من مقاصد وأهداف القرآن فى السورة.

وقد سلكت الباحثة المنهج الاستقرائي التحليلي الموضوعي فى التفسير، تناولت دراسة كل مبحث بما تضمنه من مطالب دراسة تحليلية على هذا الترتيب، المعاني اللغوية، والمناسبة، ووجوه البلاغة، والإعراب، والقراءات إن وجدت، والمعنى العام، وتحليل المقاصد والأهداف.

وفي نهاية الرسالة ذكرت الباحثة أهم النتائج والتوصيات، إضافة إلى مجموعة فهارس تسهل الوصول للمعلومة بأقل جهدٍ وأقصر وقت.

تم بحمد الله

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

Abstract

In this research the reseacher have included an analytical study for the objectives and purposes of the forty-fourth party from the Quran (verse 24 of Surah Saba to 27 of Surah Yasin), this study consists of an introduction, preface, three chapters, a conclusion, and a group indexes as follows:

Introduction: it included the importance of the subject and its reason ,its goals ,the previous study, and research methodology

.

Preface : The researcher have included a definition of analytical study with its requirements, the definition of objectives and target with its importance, and the definition of Quran factionalism including its legitimacy.

Then the researcher at the three chapters dealt intents and purposes of the fourty fourth party of the Holy Quran, making for each of the chapters a study as approach to the surah, divided chapter for several sections, then she dealt with every demand alone , Every demand carries targets and destination or more than targets and objectives of the Quran in the Surah.

Researcher analytical and objective approach has been followed in the interpretation,,,, dealt with the study as what demand in the analytical study in this order , linguistic meanings the occasion , the rhetoric faces, the express, the readings, if there any, the general meaning , and the analysis of the purposes and objectives.

At the end of the research, the researcher said that the most important results and recommendations in addition to indexes which facilitate access to information with minimal effort and a shorter time range.

Done by God's goodness

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com